السنة السادسة عشرة / يوليو ٢٠٢٥ / العدد: ٢٦

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

- الإيمان بالحشر والآخرة سبب السعادة الزوجية وأساس الحياة الاجتماعية
- الأبعاد النفسية في أسلوب النورسي لإثبات عقيدة الآخرة
- حفيف الأرواح ومزامير الاستعداد -تأملات في رسائل النور حول الساعة والآخرة
- براهين التعرف على الله عند الاستاذ بديع الزمان النورسي: برهان العلوم التجريبية أنموذجا
- الفطرة دليلا على الإيمان عند بديع الزمان النورسي

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

المدير المسؤول: سعيد يوجه saidyuce@iikv.org

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل nureditor@iikv.org

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

سكرتير التحرير

د. محمد الهادي وناس

muhammedhadi@iikv.org

هيئة التحرير

أ.د. إسحاق أوزكال؛ أ.د. فرهاد أكبر شواني

أ.د. أميد نجم الدين المفتي؛ أ.د. عبد الكريم عكيوي

اللجنة الاستشارية

أ.د. محمد خليل جيجيك؛ أ.د. زياد الدغامين؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛ أ.د. عبد اللطيف البوعزيزي؛ أ.د. فيروز عثمان صالح؛ أ. د. نادية محمود مصطفى.

الإخراج الفني

عبد الرحمن سيداغلو، محمد أوزون

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 En-Nur

الطباعة

العدد: 26/ يوليو 2025

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 212 656 49 97

المركز الرئيسي

Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 pbx
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

1- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية يناير- يوليو، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' القرآن الكريم والسنّة المطهّرة وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب العلم المنجز بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

2- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية التراث والإنسانية في مختلف مجالات التدين العقيدة، والشريعة، والأخلاق بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد السادس والعشرون ..... أ.د. عمار جيدل: 3

الدراسات والبحوث

- الإيمان بالحشر والآخرة سبب السعادة الزوجية وأساس الحياة الاجتماعية .....
..... أ. د. إسحاق أوزكل: 10
- الأبعاد النفسية في أسلوب النورسي لإثبات عقيدة الآخرة .....
..... أ.د. محمد خليل شيشك: 28
- حفيف الأرواح ومزامير الاستعداد- تأملات في رسائل النور حول الساعة والآخرة
..... د. فرهاد أكبر الشواني: 45
- الفطرة دليلا على الإيمان عند بديع الزمان النورسي
..... الزبير المصلوحي: 76
- الفطرية، الأصول البنائية، والمميزات الإنسانية.....
..... محمد منصف: 97
- براهين التعرف على الله عند الاستاذ بديع الزمان النورسي:
برهان العلوم التجريبية أنموذجا ..... محمد الحيان: 125
- مقاصد القصص القرآني في رسائل النور .....
لبديع الزمان سعيد النورسي ..... أسماء الشايب: 144
- معلومات عن النشر في المجلة 167
- الإشتراك السنوي / Contents 168

كلمة العدد السادس والعشرون

أ.د. عمار جيدل

يعد العمل وفق مقاييس العلم الصحيح من أهمّ عوامل البعث الحضاري المنشود، وكلّ علم لا يرفع من منسوب العمل -هو في الغالب-؛ إشغال عن الوظيفية الوجودية للإنسان في الحياة، وليس لهذا المسلك من مهمّة غير التباهي بالقول في المعرفة، رغبة من المشتغل بذلك في التموضّع في سلطة القول في المعرفة، وهؤلاء في الغالب الأعم ينتجون ثرثرة تسمى علما، ذلك أنّ العلم يهتف بالعمل إمّا استجاب له وإمّا ارتحل. ومنح التقدير على القول المعرفي الجاف موسومي، أيامه قليلة؛ مهما طالت، والأدهى أن يكون العلم الجاف البعيد عن ميادين العمل مما يغري بنا الأعداء ويشجّعهم على الإساءة إلينا، وذلك بالرغم من التظاهر بتقدير الذين يشجعون المجتمعات الإسلامية على الإغراق في في العلم وإهمال العمل يمقتضى ذلك العلم.

وقد نبّه الأستاذ النورسي إلى هذه الحقيقة في رسالته الموّجة إلى النواب، ومضمونه توجيه للمسلمين إلى العناية بالعمل القائم على العمل. قال الأستاذ النورسي:" إنّ خصومكم وأعداء الإسلام الأفرنج قد استغلوا ولا يزالون يستغلون إهمالكم أمهّر الدين حتى استكيع أن أقول: إنّ الذين يستغلون تهاونكم هذا يصرون بالإسلام بمثل ما يضر به أعداؤكم فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام وسلامة الأمة تحويل هذا الإهمال إلى أعمال".206 المثنوي.."

إن الضُعف في ميادين العمل بمقتضى الدين يغري بنا الأعداء ويشجّعهم على الإساءة إلينا، وبه يضمنون مرور الغزو الفكري والعقدية والحضاري للمجتمعات الإسلامية، يمتاز الإسلام بأنّه دين عملي وليس دينا معرفيا جافا، فليس معارف مجرّدة؛ إنّها معارف تنطبع في النفس، فيكون لها سلطان على الأنفاس، وما الأعمال والأفعال والأقوال إلى مجموع أنفاس، فمن حرص على ما قلّ ضمن اندراج ما جلّ في خط الإيمان العملي، وإيمان شامل لحقائق الإيمان؛ يستبعد الإيمان التجريدي والتقليدي، ويؤسّس عمليا للإيمن التحقيقي، الإيمان الذاتي، وبهذا يكون العمل علامة أولية على حصول الإيمان التحقيقي، هذا هو مقتضى الفطرة السويّة المتجدّدة بالإيمان التحقيقي، وهي بهذه السمة تفرض التجدّد المستمر، وذلك بجرعات المدروسة للتذكير بالإيمان التحقيقي، وهي

أنفد وسيلة في دفع النسخ المعدّلة من الفطرة، تلك النسخ التي تصنع مخابر الفساد والإفساد والتفاهة والضياع، وتتعهّده مؤسساته بالعناية لأجل الحفاظ على مستويات منشودة من الضياع الإيماني والتيه الحضاري.

يتمحور العدد -الذي بين أيدينا من مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية- على فكرتين مركزيتين، أولاهما أنّ الإيمان التحقيقي هو إكسير الحياة، وهو الضامن لإنسانية الإنسان، إذ هو إنساني بقدر تحقّقه بالإيمان التحقيقي هو صورته العملية، وهو في الوقت نفسه الوسيلة الفعاّلة للحفاظ على إنسانية الإنسان وتعهّد بقائها بالتطعيم الإيماني النَفَسِيَ المستمر، فالإيمان مشروع دائم يستغرق كلّ ميادين العفل الإنساني، ذلط أنّه سعي لا يعرف الراحة، وإذا احتاج إليها، فهي جزء من الرحلة الإيمانية التحقيقية.

وبيّنات ما سبق الإلماع إليه، المقال الأول من العدد، وهو من تأليف الأستاذ الدكتور إسحاق أوزكل، واختار له عنوان: "الإيمان بالحشر والآخرة سبب السعادة الزوجية وأساس الحياة الاجتماعية"، والعنوان غني ببيان أهمية الإيمان في استجلاب السعادة المبنعثة من الإيمان والحفاظ عليها، سعادة فردية ومجتمعية وجماعية، وهي بهدا رسالة إلهية للإنسانية، والتأكيد على أنّها رسالى للإنسانية، هو ما يجعل الدعوة إليها مستمرة دائمة ما دامت الإنسانية في عالم الوجود.

وحوى العدد بعده مقالا ثانيا من تأليف الأستاذ الدكتور محمد خليل شيشك، ضمّنه الأثار النفسية للإيمان بالآخرة ومسالك إثباتها، وعنوانه: " الأبعاد النفسية في أسلوب النورسي لإثبات عقيدة الآخرة"، وواضح أنّ أ د: خليل شيشك يرمي إلى التأكيد على أنّ معارف الإيمان ليست معارف للمعرفة المجرّدة التي تغرق العقل في معارف نظرة، أو تكون منالة لأجل التباهي، بل المعرفة الإيمانية يخالط القلب وتعطيه وجهة الحياة، وزتطهّر العقل مما علق به أدران الفلسفات، فلهذه الرسالة هدف واضح؛ يتلخّص في إصلاح النفس، وتحليتها بأصول الخير، وتحثّه على العمل به، وهو أنفذ وسيلة لتيسير نشره، واسهل أسلوب لتطعيم المؤمن بمعارف الإيمان وتجديده، وذلك فيه ما يحمي المؤمن من الوقوع في أسر الدنيا ومفاتنها، فالإيمان بعقيدة الآخرة رسالة علمية بأفق عملي صريح، حتى أن الإيمان بدونها كأنّه ليس شيئا مذكورا.

ولم يحد المقال الثالث من العدد عن الأفق نفسه، وهو من تأليف الأستاذ الدكتور فرهاد إبراهيم الشواني، وقد عنونه بـ "حفيف الأرواح ومزامير الاستعداد - تأملات في رسائل النور حول الساعة والآخرة-" واختار بهذا المقال تحقيق جملة من الأهداف،

أهمّها: استحضار الجمع في النظر إلى مسألة الآخرة بين العقل والجدان والروح. واهتبال السانحة لبيان مفهوم الاستعداد في رسائل النور، بقصد إبراز دور الإيمان التحقيقي واهميته حين تجدّده في إيقاظ الهمم وتحفيزها لإصلاح الدنيا بوصفه الطريق الإجبابر للظفر بالسعادة الأخروية.

وتأكيد الأساتذة على الرسالة العملية للعلم بحقائق الإيمان، ذلك أن الإيمان التحقيقي ليس إلاّ رسالة عملية بالقمام الأول، وكلّ ما سبقت الإشارة إليه يؤكّد أنّ أنفذ أسلوب لتحقيق رسالة الإسلام، هو التركيز النواحي العملية، وما العلم إلاّ طريقا لها، وجملة ما سبق دليل على أنّ الإسلام دين الفطرة السويّة، هذه الفطرة هي القلعة التي بقيت عضيّة عن التبديل، لأنّ حقائق الإيمان عن الفطرة ابنجست وبها بقيت وهي في الوقت نفسه الأفق الذي تروم حقائق الإيمان بلوغه، من هنا فإنّ الإيمان التحقيقي هو دعوة منهج لاستعادة الفطرة السويّة، وما نشرناه من المقالات في هذا العدد يخدم هذه الفكرة في إطارها العام، وأمّا المقالات اللاحقة بهذا الصدد، فإنّها صريحة في خدمه هذا الإيمان العملي، فهي بمثابتة تعهّد للفطرة بالسقاية، ولكن من باب خفي، فالمقالات تسقيه بالتذكير وتحميه بالتأكيد على وجوب الوفاء بمتطلبات صدق الانتساب إلى خط الإيمان، ويتجلى ذلك بأداء العبادات كما أمر الله، والعمل على جعل الإيمان العملي مشروع حياة.

إنّ حروب إفساد الفطرة وتنويع أساليبها مما لم يخل منه عصر ولا مصر، إلاّ أنّها في العهد الأخير أصبحت أفتك تخريبا، فصارت حروب على الفطرة خطرا داهما، تبذل له الأموال الطائلة، والبرامج المتنوّعة، وخطؤها المروّع يُرى بالعين المجرّدة، وإذا فسدت الفطرة فعلى الأخلاق السلام، وعلى الإنسانية السلام، لهذا فإنّ الحفاظ على الفطرة من أولويات الأوليات في هذه العصر، والتجنّد للقيام بهذه المهمّة، لا يقصر نفعه على المسلمين فحسب، بل يعمُّ الإنسانية كلّها، إذ يتجاوز النفع المسلمين، بل يشمل كل أفراد الأسرة الإنسانية، فيحفظ لها وجودها، وصفاءها وجودة إيمانها، وتزيودها بما يحفظ النوع الإنساني، وييوجد فيها قنوات صرف الكاقات البشرية في العمل البنّاء لحضار الإنسانية ومستقبلها، ذلك أنّ الفطرة استئصال للتفاهة وما تفرّع عنها من جنون أصاب الأسرة الإنسانية، منها على سبيل المثال لا الحصر المثلية.

إنّنا في مجلة النور اخترنا أن نكون في مقدّمة صفوف الأسرة الإنسانية تصوّرا وتصرّفا، قولا وعملا؛ في التذكير بالفطرة والعمل على استعادتها، ثم الحفاظ عليها. لا

شكّ أنّ التذكير بالفطرة ووجوب استعادتها ثم الحفاظ عليها، من أخص مهمّات الرامين إلى الحفاظ على الأسرة الإنسانية، بالحفاظ على الإنسان، وذلك باسترجاع أنسه بالله، الذي هو أساس أنسه مع نفسه ثم مع ما ومن حلوه المخلوقات.

كان من حظ العدد أن نشر مقالات تخدم مركزية العمل في الإيمان، وأنّ الإيمان التحقيق ما هو إلاّ وسيلة فعّالة لستعادة الفطرة، ضمّنا العدد المقال الرابع للباحث زبير المصلوحي، وقد اختار له عنوان بـ:"الفطرة دليلا على الإيمان عند بديع الزمان النورسي" تجلى في هذه المقالة أنّ الفطرة هي الدليل والمرشد والأفق، والسبيل الفعّال لاستعادة الإنسانية رشدها، وذلك بما تحويه من أصول نظرية قويمة في أصل خِلْقَتها، والتي بها تستجلب ما ضيّعته في التاريخ – بفعل الفلسفات المادية بمختلف أشكالها- من مميزاتها الإنسانية السامقة.

وكان المقال الخامس للباحث محمد منصف، والذي كان عنوانه ناطقا بما سبقت الإشارة إليه:"الفطرية، الأصول البنائية، والمميزات الإنسانية". والفطرة التي هي الخِلْقة ليست سوى استيعاب جملة العناصر الخِلْقِية في الإنسانية، الفطرة تراعي العقل والقلب والسواعد، وتستوعب كلّ شعاب الحياة، ومن شواهد ذلك أنّ الشهود على الله لا تكاد تحصى عدا، الشواهد الظاهرة والباطنة، توحّدت شهادتاهم في الدلالة على الحق سبحانه وتعالى، ولا يتعامى عنها إلاّ منكوص الفطرة، فمن أجال النظر بعين صدق الانتساب إلى الله بالعبدية؛ نطقت أمامه الشهود على وجود الحق، فهو سبحانه وتعالى يتعرّف إلينا في أنفاسنا، ولكّننا متفاتون في تلقي كلمات هؤلاء الشهود، ولهذا نوّع الأستاذ النورسي مسالك البرهنة على التعرّف على الله تعالى.

فكان المقال السادس ملخص بحث أكاديمي للباحث محمد الحيّان، وقد اختار له عنوان: "براهين التعرف على الله عند الاستاذ بديع الزمان النورسي: برهان العلوم التجريبية أنموذجا"، ويستشف من المقال أنّ الكون كتاب شاهد على الحق تعالى، فيكون الواقع الكوني مشتملا على ما لاحصر له من الأدلة على الحق، فتكون العلوم التجريبية من الشهود الإضافية، فيكون الكون الذي هو من عالم الخلق، ميدان عرض شهود الحق في الكائنات، مما يدلّ على أنّ له تجليات فيما لا حصر له من المعارف المبثوثة في الكون، وما يأتي به عالم الكائنات ليس إلاّ صورة مندرجة في سياق الدليل الفطري، ذلك بأنّ الفطرة ليست إلاّ الخِلْقَة، والخلق محيل على الحق سبحانه وتعالى، وهي بهذا المعنى مَعَارِض تتضمن ما نقوى على حصره من البراهين الفطرية والفكرية على الحق

سبحانه وتعالى، لهذا لا تستثني أي جزئية من عالم المكوّنات من حيث كونها شاهدا ناطقا، سَمِعَه من سَمِعَه، وتعامى من تعامى.

وكان المقال السابع ختام العدد، وهو من إنجاز الباحثة أسماء شايب، والذي يُعدُ ملخّص بحثها الأكاديمي، وهو الموسوم بـ"مقاصد القصص القرآني في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي". أكّدت الباحثة أنّ رسائل النور ليست إلاّ تفسيرا لكتاب الله الكريم، وهي نابعة من فيض القرآن الكريم ونوره، وبيّنت الباحثة أنّ الأستاذ اعتمد في تفسير القصص القرآني على قاعدة أنّ المثال الجزئي حتى وإنْ كان في حادثة خاصة، يشتمل على دساتير كُلِيَّة واسعة وقوانين عامة طويلة، وطبّق هذا المنهج على بعض القصص القرآني، واستخلص منها القضايا الكبرى، وخاصة تلك التي عليها مدار الإسلام، فكانت مقاصد القصص القرآني عند الأستاذ النورسي شاملة متكاملة ففيها المقصد العقدي المرسّخ لإيمان التحقيقي، فضلا عن مقصد هو ثمرة من ثمار الإيمان، وهو تحقيق القصد التربوي، الجالب بفضل الله تزكية النفس والثبات على ذلك، ومن المقاصد التي رام تحقيقها السير في اتّجاه المقصد الحضاري، طمعا في تحقيق رؤية حضارية قوامها إيمان تحقيقي وإصلاح فكري وتزكية النفس والمجتمع،و الانتثال من المناجاة الفردية إلى المناجاة الجماعية التي تتجلى فعلا عمليا يعبّر عن إيمان عملي يتجاوز الاهتمام باستجلاب المعرفة للمعرفة، وميدانه العملي هو شعاب الحياة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل..

* * *

الدراسات والبحوث

الإيمان بالحشر والآخرة سبب السعادة الزوجية وأساس الحياة الاجتماعية

أ. د. إسحاق أوزكل[1]

– ملخص –

يهدف البحث إلى بيان تأثير الإيمان بالحشر والآخرة على الحياة الزوجية والاجتماعية للإنسان من خلال رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي. فالإيمان يكسب الحياة الزوجية سعادة ويزيدها طمأنينة وسكينة، ولاسيما إذا تخلق الزوجان بالأخلاق الإسلامية المستفادة من الحقائق الإيمانية التي لا تعد الزوج أو زوجة رفيق الحياة الدنيوية فحسب، وإنما الصاحب في الحياة الأبدية وهو ما يضفي معاني الإخلاص والوفاء على هذه الرابطة الإيمانية القيمة. فلا شك أن الحياة الإنسانية تزدهر لما تكون السلوكات والمعاملات نابعة عن حقائق الإيمان حيث يرتبط العمل بالعلم ويكون قرينا له في شعاب الحياة.

كما يبين الباحث أن للإيمان بالآخرة أهمية بالغة فهو يعطي للحياة معناها ويفتح لها آفاقا أخروية تشمل فائدتها كل فئات المجتمع الشباب والأطفال والشيوخ، ذلك أن الإيمان بالآخرة يواسي الشيوخ ففي مواجهة ألم الفراق ويمنح الأمل للشباب في مباشرة الحياة، ويشحن الهمم وينشر قيم السماحة والطمأنينة وهو ما يؤدي إلى تماسك الأسرة وعدم تفككها أمام ما يعرض لها من التحديات.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، الحشر، السعادة الزوجية، الحياة الإجتماعية، النورسي.

Faith in Resurrection and the Hereafter as a Source of Marital Happiness and a Foundation for Social Life

Prof. Dr. Ishak Özgel

–Abstract–

This study aims to explore the impact of faith in resurrection and the hereafter on marital and social life, based on *The Risale-i Nur* by Bediuzzaman Said Nursi. Faith instills happiness, serenity, and tranquility in marital life—especially when both spouses embody Islamic morals derived from faith-based truths. Such a worldview perceives the spouse not merely as a companion in worldly life, but also as a partner in eternal life, thus adding profound dimensions of sincerity and loyalty to this spiritually grounded bond. Undoubtedly, human life flourishes when actions and behaviors are rooted in the realities of faith, where knowledge and practice are intertwined throughout life's paths.

The researcher further emphasizes the significant role of belief in the hereafter, asserting that it imparts meaning to life and opens up transcendent horizons that benefit all segments of society—youth, children, and the elderly alike. Faith in the hereafter consoles the elderly in the face of separation and loss, grants hope to the youth as they engage with life, energizes the spirit, and promotes values of compassion and inner peace. These outcomes contribute to family cohesion and protect it from disintegration amid life's various challenges.

Keywords: Faith, Resurrection, Marital Happiness, Social Life, Said Nursi.

* * *

مقدمة:

تتناول هذه المقالة موضوع تأثير الإيمان بالآخرة في حياتنا الاجتماعية عند سعيد النورسي. ومن المناسب أن نبدأ بتحديد السمة المميزة الأساسية لفكر سعيد النورسي قبل الدخول في الموضوع. يُعتبر وصف رسائل النور بكونها كتابًا يتناول حقائق الإيمان وصفًا صحيحًا، ولكن هذه الرسائل لا تعرض حقائق الإيمان عرضا جافا أو مجرد نقل لنقاش علمي، بل توضح كيفيات انعكاس حقائق الإيمان على الحياة الاجتماعية للإنسان، ومسالك تثبيته، وكيف ينبغي أن تنعكس هذه الحقائق في حياة الأفراد والمجتمعات.

1. ترابط الإيمان والعمل:

إنّ لترابط الإيمان بالعمل أهمية خاصة في الإسلام، إذ أن هناك علاقة وثيقة بين الإيمان والعمل. فالإيمان يؤثر في جميع مجالات الحياة. فلا يمكن فصل الإيمان عن العمل .إن مسألة ‘‘هل العمل جزء من الإيمان؟’’ التي تُطرح في العلوم الإسلامية، ولاسيما في مبحث علم الكلام، ليست إلا قضية معرفية إبستمولوجية، فالواقع أن الإيمان والعمل مرتبطان ارتباطًا لا يقبل الانفكاك، وهذا ظاهر في نصوص القرآن الكريم أيضًا.

إن العديد من المشكلات التي يعاني منها المسلمون اليوم إنما هي نتيجة سوء فهمهم الفصل المعرفي بين الإيمان والعمل، فَفُهِم على أنه فصل حقيقي، مما يسّر شيوع الفهم العلماني في أوساط المسلمين في العصور المتأخرة.

يجب التأكيد على هذا الترابط من أجل معالجة المشاكل الاجتماعية والفردية التي ظهرت في العالم الإسلامي، وإعطاء الأولوية لهذا الأمر في انشاء الحياة الإسلامية والحفاظ عليها مرة جديدة. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى التأكيد أكثر على وحدة الإيمان والعمل .وسأحاول توضيح هذه المسألة من خلال الرباعية المتمثلة: في: القيم، والتفكر، والعواطف، والأعمال.

لكي يسود الإسلام في جميع مجالات الحياة، يجب أن يتم التغيير وفق هذه الأسس الأربعة بالترتيب. لأن بداية السلوك الصحيح تكون من القيم الصحيحة، والقيم في جوهرها تعني الإيمان. فانطلاقًا من القيم الصحيحة، يظهر الفكر الصحيح، ثم تتشكل العاطفة والسلوك بناءً على هذا الأساس .إن هذه المنظومة تُبرز بأسلوب بالغ التأثير والوضوح أن القيم تُغير من نظرتنا إلى حقيقة الأشياء، وأن الوصول إلى حقيقة الأشياء لا يكون إلا من خلال القيم الصحيحة. ويمكن تلخيص هذا المبدأ بالعبارة البليغة: "مَنْ أحسن رؤيتَه حَسُنتْ رويّته وجمُل فكره ومن جمُل فكره تمتّع بالحياة والتذ بها.[2]"

وعلى هذا الأساس، نجد أن القرآن الكريم في ترتيبه لمسار التغيير والتحول يُشير إلى هذه الحقيقة. فالرسول ﷺ، حين جاءه الوحي، كان في عصر الجاهلية التي سادها الظلم والفساد تحنث في غار حراء، فجاءه الخطاب الإلهي الأول .فلو تخيلنا أنفسنا نعيش في ذلك العصر، كيف كان سيكون أول خطاب من الله؟ غالبًا ما تكون هناك توقّعات ان يكون الخطاب يهدف مباشرةً التغيّر في السلوك الظاهر. لم يكن كما نتوقع،

بل جاء بان التغيير يبدأ من نظام القيم وقراءة الكون باسم الخالق.

قال تعالى: " اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ ﴿٣﴾ اَلَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾[3].

إنَّ هذه الآية التي وردت في بداية نزول الوحي تُعدُّ أوضح دليل على أن المنهج الإلهي يقدّم القيم والتفكر في بناء الحياة الإسلامية، وهذا هو أيضًا ما بدأ به الإمام بديع الزمان، حين دعا إلى قراءة كتاب الكون. بتعبيره المشهور "المعني الحرفي"[4] ‘‘ووفقًا لتعبير رسائل النور، فإن هذا أحد أركانها الأربعة الأساسية وأهمها.

إن فهم الإيمان بالآخرة في إطار ترابط الإيمان والعمل يظهر من خلال القيمة التي تنسب للحياة الدنيا. وكما هو معلوم، فإن القرآن ذكر أوصاف متعددة للحياة الدنيا، من بينها كونها مؤقتة، مما يدل على وجود الآخرة، ويُفيد ضرورة أن يُقَدِّر قيمة الدنيا باعتبارها زائلة.

وفي القرآن، نجد، أن للحياة الدنيا ثلاث صفات أساسية: أنها حق، وأن لها أجلاً، وأنها ابتلاء. ودلائل هذه الصفات هي الكون. ومن ثم، فإن عالم الفكر والقيم عند الإنسان، يجب أن يقوم على قراءة الكتاب المنزل بالحق، والكون المخلوق بالحق، ليعيش الإنسان حياته وفق القيم الحقّة.

2. علاقة الإيمان بالآخرة بالحياة عند سعيد النورسي

صرّح بديع الزمان سعيد النورسي بأنّ أعظم ما يُحتاج إليه في هذا الزمان، وأهمّ ما ينبغي الاشتغال به، وأولى ما يُقدَّم على غيره، هو إنقاذ الإيمان، ومن أجل هذه الغاية أُلّفت رسائل النور.

يرى سعيد النورسي أن أعظم نقص في هذا العصر ان لا يكون الإيمان إيمانا تحقيقيا. فمعظم المشكلات التي يعاني منها العالم والمجتمعات الإسلامية ترجع إلى عدم تجسيد حقائق الإيمان في النفس وشعاب الحياة، وإهمال العمل الذي هو أهمّ ما يتجلى فيه، ذلك أنّ المطلوب هو العمل يمقتضى الإيمان. وسبب ذلك هو بقاء الإيمان على مستوى التقليد دون الوصول إلى التحقيق. فإذا ما طبعت أصول الإيمان الحياة كما طلب الشارع الحكيم، كانت وسيلة فعّالة لنيل السعادة، تمامًا كما كان الحال في عصر السعادة عهد النبوة.

من هنا يجب أن يكون الإيمان بالآخرة مؤثرًا في العلاقات الاجتماعية، لأن الإيمان

بالآخرة هو الذي يحدّد القيم المرتبطة بالدنيا والإنسان. وعلى هذا الأساس، تجد الأفكار والسلوكيات موقعها الصحيح. وإذا ما تأسست الأسرة على هذا الإيمان، فإنها تبلغ ما تستحقه من قيمة ومكانة.

وقد تناول سعيد النورسي هذا الموضوع بالتفصيل في رسالته المعروفة بـ 'رسالة الحشر'، وهي الكلمة العاشرة ضمن رسائل النور، حيث قدّم فيها شروحات نظرية وعملية لإثبات الحشر.

هذه المقدمة نقطتان: سنذكر أولا وباختصار نتيجةً واحدة جامعة من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية لعقيدة الحشر، مبيّنين مدى ضرورة هذه العقيدة للحياة الإنسانية ولاسيما الاجتماعية. ونورد كذلك حجة كلية واحدة -من بين الحجج العديدة لعقيدة الإيمان بالحشر- مبيّنين أيضا مدى بداهتها ووضوحها حيث لا يداخلها ريب ولا شبهة.سنشير إلى أربعة أدلة على سبيل المثال وكنموذج قياسي من بين مئات الأدلة على أن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته وسعادته.

وبعد هذا التحديد، يشرح الأستاذ – في سياق عقيدة البعث والنشور – الدور الحاسم الذي تؤديه أصول الإيمان في توجيه السلوك، من خلال أمثلة تشمل **الأطفال**، و**الشيوخ**، و**الشباب**، و**العائلات**. ويبدأ ببيان فائدتها للأطفال قائلًا :" إن **الأطفال** الذين يمثلون نصفَ البشرية، لا يمكنهم أن يتحمّلوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعة أمامَهم من حالات الموت والوفاة إلاّ بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من "الإيمان بالجنة". ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب. فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور. فيحاور الطفلُ المؤمن بالجنة نفسَه: إن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي، أصبح الآن طيرا من طيور الجنة، فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء، ويعيش أفضل وأهنأ منّا.[5] وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالجنة، لهدم الموتُ الذي يصيب أطفالا أمثاله -وكذلك الكبار- تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطّم نفسياتِهم، ولدمّر حياتَهم ونغَّصها فتبكي عندئذٍ جميعُ جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم. فإمّا أن تموت أحاسيسُهم وتغلظ مشاعرُهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة."[6]

وثانيًا، يبيّن كيف أنّ الإيمان بالآخرة يواسي الشيوخ في مواجهة ألم الفراق الناتج عن اقتراب الموت، ويمنحهم السكينة والطمأنينة "إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية، إنما يتحمّلون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ"الإيمان بالآخرة". ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلةِ حياتِهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلاّ في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة. وإلاّ فلولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات -الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة- ضراما روحيا واضطرابا نفسيا وقلقا قلبيا، ولضاقتْ عليهم الدنيا بما رحُبت، ولتحولت سجنا مظلما رهيبا، ولانقلبت الحياةُ إلى عذاب أليم قاسٍ."[7]

ثالثًا، يتناول الفائدة التي تنعكس على حياة الشباب، حيث يقدّم ملاحظة لافتة للنظر تتمثل في أن فكرة الجحيم في عقيدة الآخرة تتحوّل – في هذا السياق – إلى مظهر من مظاهر الرحم "إن **الشباب** والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدّئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيشَ أنفسهم ونزواتِها، ولا يؤمّن السيرَ الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوفُ من نار جهنم. فلولا هذا الخوفُ من عذاب جهنم لقَلَبَ هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيمٍ تتأجّج على الضعفاء والعجائز، حيث "الحُكم للغالب" ولَحَوّلوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة."[8]

والفئة الرابعة هي **الحياة الأسرية،** وهي التي سنتناولها بشيء من التفصيل في بحثنا هذا. وقبل أن يشرع الأستاذ في بيان القيمة التي تضيفها عقيدة البعث إلى الحياة الأسرية، يشير أولًا إلى مكانة الأسرة في الحياة الاجتماعية، ويُبرز أهميتها بقوله "إن الحياة العائلية هي مركزُ تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنةُ سعادتها وقلعتُها الحصينة وملجأها الأمين."[9]

بحسب الأستاذ، فإن سعادة الحياة الأسرية – التي تُعدّ أهمّ جزء في المجتمع– لا تتحقّق إلا من خلال عقيدة البعث. وتكمن الأهمية البالغة لهذا الطرح في أنه يُسلّط الضوء على نقطة جوهرية كثيرًا ما تُغفل في عصرنا الحالي، حيث ازدادت حالات الطلاق وتفاقمت الخلافات الأسرية، سواء في بلادنا أو في غيرها، رغم كثرة الاقتراحات التي

تهدف إلى تقوية الروابط الأسرية.

إذ إن معظم هذه الحلول لا تتناول جوهر المشكلة، بل تقتصر على المظاهر السطحية، ولذلك غالبًا ما تبقى دون نتائج ملموسة، أو تفشل في تحقيق النجاح المنشود. ذلك لأنّ المحاولات التي لا تقوم على تصحيح منظومة القيم، تشبه تنقيةِ الماء دون تنظيف مجرى النهر الموحل، كمن يصبّ الماء مرارًا، فلا يلبث أن يعود عكرًا، لأنّ أصل المجرى لم يُطهَّر بعد.

أما الأستاذ، فيدعو إلى الالتفات إلى مجرى النهر نفسه، ويؤكد أن السعادة الحقيقية في الأسرة لا يمكن أن تُبنى إلا على قيمة صحيحة وأساس راسخ. فالتركيز على موقع عقيدة الحشر في الحياة الأسرية يُعدّ تنبيهًا إلى جانب غالبًا ما يُغفل الحديث عنه، رغم كونه قيمة حاسمة ومؤثرة في غاية الأهمية. وبتعبير مختصر وبليغ: الزواج، وفق هذه العقيدة، يتحوّل إلى شراكة أبدية في الآخرة. وعليه، فإن جميع العلاقات والمشاعر والسلوكيات في الأسرة التي تأسّست على الإيمان بالآخرة، سوف تتشكّل وفقًا لهذه القيمة الكبرى

للأسرة، كما وصفها القرآن الكريم، هي رابطة تعدّ من آيات الله سبحانه وتعالى. وقد بيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآية أنّه جعل بين الزوجين مودة ورحمة، وأنّ في هذا الكيان موطنًا للسكون والاستقرار .وَمِنْ اٰيَاتِهٖٓ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجاً لِتَسْكُنُٓوا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾[10].

ومع ذلك، فإن الاضطرابات داخل هذا الكيان الأسري قد أخذت في التزايد يومًا بعد يوم. بل إن هذه الاضطرابات بدأت تنتشر حتى في الأُسر المتديّنة والمحافظة، الأمر الذي يُنذر بخطر جسيم قد يهدد سلامة البنية الاجتماعية برمّتها.

وعلى الرغم من أنّ المشكلات الأسرية في زمن الأستاذ النورسي كانت، من حيث الكمّ والنوع، أقل بكثير مما نشهده اليوم، إلا أنّ شعوره العميق وقلقه الكبير حيال بوادر الانهيار في هذا البناء المجتمعي كانا واضحين للغاية .وتُظهر ردة فعله تجاه الأخبار التي بلغته في هذا الشأن مدى إدراكه لخطورة الأمر وأهميته "لما كنت في هذه السنة معتزلاً الناس مبتعداً عن الحياة الاجتماعية، نظرتُ إلى الدنيا نزولا عند رغبة إخوة وأخوات من النوريين، فسمعت من أغلب من قابلني من الأصدقاء، شكاوى عن حياتهم الأسرية. فتأسفت من الأعماق وقلت: "أوَ دَبّ الفسادُ في هذه الحياة أيضاً؟ إن الحياة الأسرية هي

قلعة الإنسان الحصينة، ولاسيما المسلم، فهي كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة".[11]

إنّ وراء هذا التعجّب محاولة لفهم السبب الذي أوصل المسألة إلى هذا الحد، وإنّ ما يلفت الانتباه هنا هو مدى دقّة اقتراح الحلّ من قِبل الأستاذ، رغم أنّه لم يخض تجربة الزواج شخصيًا، وقضى جزءًا كبيرًا من حياته بعيدًا عن الأجواء الأسرية. فبحسب رؤيته، يكمن الحلّ في تطبيق التربية الإسلامية واقعًا معيشًا. ولا شكّ أن مثل هذا الطرح قد يردده كثير من الناس، إلا أنّ تَصَوُّر الأستاذ لكيفية تحقيق هذا الهدف، وتشخيصه للمسألة، وما قدّمه من مقترحات عملية، كل ذلك يُعدّ في غاية الأصالة والتميّز. فهو يرى أن التربية الإسلامية الحقيقية لا تتحقق إلا من خلال وعي عقيدة الحشر وإشعاعها في مجريات الحياة اليومية

"إن الحياة العائلية هي مركزُ تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنةُ سعادتها وقلعتُها الحصينة وملجأها الأمين. وأن بيت كل فرد هو عالَمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفيّة إلاّ بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوّةٍ محترمة مرموقة، وأخوةٍ خالصة نقية، وصداقةٍ وفيّة نزيهة."[12]

إنّ الخطوة الأولى في تكوين الأسرة تتمثّل في التقاء الجنسين لتأسيس بيت جديد. وغالبًا ما تتمّ هذه الزيجات بناءً على توجيهات وتوقعات متعددة. والعالم القيمي الكامن وراء هذه التوقعات هو ما يُحدِّد طبيعة العلاقات في هذا البيت الجديد ومدى استمراريتها.

فالزيجات التي تُعقد لأجل الجمال أو الثروة أو لتلبية حاجات دنيوية محضة، غالبًا ما تفقد بريقها عند زوال هذه القيم المؤقتة، أو عند عدم تحقق الآمال المنشودة، مما يؤدي إما إلى الانفصال، أو إلى الاستمرار في ظل مشكلات دائمة. ولهذا، من الضروري التساؤل عن الأسس التي تقوم عليها العلاقة الزوجية .وفي هذا السياق، نُذكِّر بحديث نبوي شريف يُستشهد به كثيرًا: قال النبي ﷺ: "تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[13].

ورغم معرفة كثير من المسلمين بهذا الحديث، إلا أنّه لا يُنظر إليه – يا للأسف –

على أنه قيمة مركزية تُبنى عليها الحياة الزوجية، فلا يظهر أثره في واقع كثير من الزيجات. وهنا يبرز ما قاله الأستاذ سعيد النورسي في سياق عقيدة الحشر، حيث يُظهر بوضوح كيف يمكن للإيمان أن يدخل إلى صميم الحياة. فهو يُبيّن كيف أن بناء الزواج على القيم الصحيحة – كما ورد في الحديث – يؤدي إلى ظهور سلوكيات ومواقف متميزة، ويُجسِّد ذلك من خلال هذا التعبير الواضح "حيث يحدّث الزوجُ نفسَه: "إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزا، إذ إن لها جمالا أبديا سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة".

وهكذا يمكن أن يكنّ هذا الرجل حبا ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين. وإلاّ فإن صحبةً وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند. ولا يمكنها أن تعطي إلاّ رحمةً مجازية، واحتراما مصطنعا، وعطفا حيواني المشاعر، فضلا عن تدخُّل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذٍ تلك الجنةُ الدنيوية إلى جحيم لا يطاق."[14]

هذا المنظور يُسهم أيضًا في تأسيس بُنية تَحول دون وقوع كثير من المشاكل الأسرية، وعلى رأسها الخيانة الزوجية التي تُعدّ من أبرز أسباب التصدّع داخل الأسرة. ففي الأسرة التي تتمحور حول الإيمان بالآخرة، يتحلّى الزوجان – وخاصة الزوجة – بحسٍّ عالٍ من الأمانة والعفّة في الحفاظ على شرف الزوج. وقد عبّر الأستاذ سعيد النورسي عن هذه الحقيقة بقوله: "إنَّ العلاقة الوثيقة والحُب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياةُ الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدَها، بل هي رفيقتُه أيضاً في حياة أبدية خالدة. فما دامت هي صاحبتَه في حياة باقية فلا ينبغي لها أن تلفت نظر غير رفيقها الأبدي وصديقها الخالد إلى مفاتنها، ولا تزعجه، ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وحيث إنَّ زوجَها المؤمن -بحُكم إيمانه- لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط، ولا يوليها محبةً حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمن حُسنها، وإنما يكنّ لها حباً واحتراماً خالصَين دائمين لا يقتصران على وقت شبابها وجمالها، بل يدومان إلى وقت شيخوختها وزوال حسنها، لأنها رفيقتُه في حياة أبدية خالدة.. فإزاء هذا لابد للمرأة أيضاً أن تخص زوجَها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به، كما هو مقتضى الإنسانية،

وإلاّ فستفقد الكثير ولا تكسب إلاّ القليل"[15]

وينطبق هذا السلوك – المنبثق عن تلك القيم الإيمانية – على الرجل، وهو الطرف الآخر في الأسرة، إذ إنّ عليه أيضًا أن يتحلّى بسلوك يعبّر عن انعكاسات هذه القيم. ومثل هذا السلوك من شأنه أن يُسهم في استمرارية الأسرة وتحقيق سعادتها. وقد عبّر الأستاذ سعيد النورسي عن هذا المعنى بهذه العبارات

"وقد قيل في جزء من رسائل النور: إنَّ الزوج الرشيد لا يَبني محبتَه لزوجته على جمال ظاهريّ زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودتَه لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء وأدوَمه، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بأنوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبتَه ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتة، وإنما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة. فيلزم أن يتحابا باحترام أزيد ورحمة أوسع، كلما تقدما في العمر. أما حياة الأسرة التي تتربى في أحضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانهيار والفساد، حيث تُبنى العلاقة فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق أبدي."[16]

إذا بُنيت الأسرة على أساس الشراكة الأبدية في الآخرة، فإن سعيد النورسي يبيّن احتمالات تأثير العلاقة بين الزوجين بعضهما في بعض على النحو التالي "إنَّ السعيد هو ذلك الزوج الذي يُقَلِّدُ زوجته الصالحة، فيكون صالحاً مثلها، لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة. وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متديناً فتتمسك بأهداب الدين لئلا تفقد رفيقها الأبدي، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها! وكم هو شقيٌّ ذلك الزوج الذي يتبع زوجته التي ارتمت في أحضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لإنقاذها! وما أشقاها تلك الزوجة التي تنظر إلى فجور زوجها وفسقه وتقلده بصورة أخرى! والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يُعين كلٌّ منهما الآخر في دفعه إلى النار، أي يغري كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنية.[17]

وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى في رسائل النور هو أنه لا يمكن أن يكون -في هذا الزمان- تنعّمٌ بحياة عائلية وبلوغٌ لسعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية في النساء إلاّ بالتأدب بالآداب الإسلامية التي تحددها الشريعة الغراء.

يمكننا أن نرى مثالًا على تشجيع الأزواج الذين تزوّجوا من أجل الآخرة بعضَهم بعضًا على الخير في هذا الحديث الشريف أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى

عَنِ ابْنِ عَجْلاَنَ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَعْقَاعُ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِى وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِى وَجْهِهِ الْمَاءَ[18].

"يُبيّن سعيد النورسي من خلال أمثلة واقعية كيف تكون العلاقات داخل الأسرة التي يسود فيها الإيمان بالآخرة، ويُلفت النظر إلى أن العلاقات الأسرية تتخذ ثلاث صور أساسية:

الأولى: من الكبار إلى الصغار، بالرحمة؛

الثانية: من الصغار إلى الكبار، بالاحترام؛

والثالثة: بين الزوجين، بالمودّة، يعني الرحمة والاحترام معًا.

ويؤكد النورسي أن تحقق هذه العلاقات بمعناها الكامل لا يكون إلا إذا بُنيت على أساس الإيمان بالآخرة. أما إذا تأسست الأسرة على أسس دنيوية، فإن احترام الصغار للكبار يكون مؤقتًا وباردًا، ورحمة الكبار للصغار تقتصر على الجوانب الدنيوية دون الالتفات إلى مصيرهم في الآخرة، فلا يُراعى حمايتهم من العقاب الأخروي. وكذلك، لا تتحقق المودّة الحقيقية بين الزوجين.

العنصر الأول في تكوين الأسرة يتمثل في الكبار، أي الأب والأم. وقد عبّر الأستاذ سعيد النورسي عن السعادة التي تنشأ من تصرفاتهما المتبادلة حينما تتشكّل وفق الإيمان بالآخرة، وذلك بعبارات بليغة تُبرز هذا المعنى. كما أشار أيضًا إلى التأثير الذي يُحدثه الإيمان بالآخرة في أداء الوالدين لمسؤولياتهما تجاه العنصر الثاني في الأسرة، وهم الأبناء، مبينًا أن هذا الإيمان يُحدّد المعيار الذي تُقاس به تربية الأولاد، ويُبيّن ما هو الكسب الحقيقي في هذا المجال .وفي عصر نشهد فيه تزايد مظاهر التوجه الدنيوي في تربية وتعليم الأبناء، يلفت الأستاذ الأنظار إلى مسألة في غاية الأهمية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعالم القيم لدينا.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الوظيفة بصيغة الأمر:"يَا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا قُوٓا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْليكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"[19].

"نعم، إنَّ أول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليما، إنما هو والدتُه. سأبين بهذه

المناسبة هذا المعنى الذي أتحسسه دائماً إحساساً قاطعاً في شخصي، وهو: أُقسم بالله أن أرسخَ درس أخذته، وكأنه يتجدد عليّ، إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحتْ كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم أنى قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص[20] بل أرى يقينا أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور.

بمعنى أني أشاهد درس والدتي -رحمها الله- وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى من عمري، بذورَ أساس ضمن الحقائق العظيمة التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري.[21] مثال ذلك: أن "الشفقة" التي هي أهم أساس من الأسس الأربعة في مسلكي ومشربي في الحياة.. وأن "الرأفة والرحمة" التي هي حقيقة عظمى أيضاً من حقائق رسائل النور، أشاهدهما يقيناً بأنهما نابعتان من أفعال تلك الوالدة الرؤوف ومن أحوالها الشفيقة ومن دروسها المعنوية.

نعم، إنَّ الشفقة والحنان الكامنين في الأمومة والتي تحملها بإخلاص حقيقي وتضحية وفداء قد أُسيءَ استعمالها في الوقت الحاضر، إذ لا تُفكر الأم بما سينال ولدُها في الآخرة من كنوز هي أثمن من الألماس، بل تَصرِف وجهه إلى هذه الدنيا التي لا تعدل قِطعاً زجاجية فانية، ثم تُشفق على ولدها وتحنو عليه في هذا الجانب من الحياة. وما هذا إلاّ إساءةٌ في استعمال تلك الشفقة.

ومن نتائج التغريب وما يُسمّى بالتمدّن، أن بعض الأمهات المتديّنات قد غفلن – للأسف – عن دورهنّ وأثرهنّ في تربية أولادهنّ، فأصبحن يُرسلن أطفالهنّ إلى دور الحضانة، مما يُفقدهم هذه النعمة التربوية العظيمة. غير أنّ الطفل – مهما كانت بنيته النفسية والاجتماعية – لن يستطيع أن يتلقّى من أفضل روضة تعليمية ما يمكن أن يتلقّاه من أمّه من حيث التربية الوجدانية والقيمية. ذلك لأنّ الرحمة والشفقة التي تُقدّمها الأم لولدها، وما تغرسه فيه من مبادئ ومعلومات، تُشكّل الأساس الذهني والروحي لنظام القيم الذي سيحكم مستقبله.غير أنّ الواجب الذي ينبغي ألّا يُنسى هو أنّ مسؤولية الأم الكبرى تكمن في تربية أولادها على القيم المرتبطة بالإيمان بالآخرة.

وقد أشار الأستاذ سعيد النورسي إلى هذه الحقيقة بقوله: "لما كان أهم أساس من أسس رسائل النور هو "الشفقة"، وإن النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان، فقد أصبحن أكثر ارتباطاً برسائل النور فطرةً. فهذه العلاقة الفطرية تُحَسُّ بها في كثير من

الأماكن ولله الحمد والمنة. ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات أهمية عظمى في زماننا هذا، إذ إنها تعبر عن إخلاص حقيقي وفداءٍ دون عوَضٍ ومقابل.

نعم، إنَّ فداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر، وتضحيتَها بنفسها بإخلاص حقيقي لأولادها باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن، إلاّ أن تياراتٍ فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القويمة وتمنع انكشافها، أو تَصرِف تلك التياراتُ هذه السجية الطيبة إلى غير محالها فتسيء استعمالها.

نورد هنا مثالا واحدا من مئات أمثلتها: إنَّ الوالدة الحنون تضع نصبَ عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك، لتجعله سليماً معافىً في الدنيا. فتربّي ولدَها على هذا الأساس، فتنفق جميع أموالها ليكون ابنها عظيماً وسيداً آمراً. فتراها تأخذ ولدَها من المدارس العلمية الدينية وترسله إلى أوروبا، من دون أن تفكر في حياة ولدها الأبدية التي تصبح مهددة بالخطر. فهي إذ تسعى لتنقذه من سجن دنيوي، لا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الأبدي، فتتصرف تصرفاً مخالفاً لفطرتها مخالَفةً كلية، إذ بدلاً من أن تجعل ولدها البريء شفيعاً لها يوم القيامة تجعله مُدَّعياً عليها، إذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلا لها: "لِمَ لم تقوي إيماني حتى سببتِ في هلاكي هذا؟!". وحيث إنه لم يأخذ قسطاً وافراً من التربية الإسلامية، فلا يبالي بشفقة والدته الخارقة، بل قد يقصّر في حقها كثيراً.

ولكن إذا ما سعت تلك الوالدةُ إلى إنقاذ ولدها الضعيف من السجن الأبدي الذي هو جهنم، ومن الإعدام الأبدي الذي هو الموتُ في الضلالة، بشفقتها الحقيقية الموهوبة دون الإساءة في استعمالها، فإن ولدَها سيوصل الأنوارَ دوماً إلى روحها بعد وفاتها، إذ يسجَّل في صحيفة أعمالها مثلُ جميع الحسنات التي يعملها الولد. كما سيكون لها ولداً طيباً مباركاً يَنعمان معاً في حياة خالدة، شفيعاً لها عند الله ما وسعته الشفاعة، لا شاكياً منها ولا مُدَّعياً عليها."[22]

في الفقرة السابقة، تُعدّ عبارة ‘‘مدرسة الباشا ومدرسة الحافظ’’ التي استخدمها الأستاذ استعارةً تعبّر عن توجيه الأطفال نحو التعليم والتربية على أساس المكاسب الدنيوية. وينبغي تفسير هذه العبارة بما يتناسب مع طبيعة كل عصر، وفقًا للمهن الرائجة

فيه. ومن هنا، يتضح بجلاء أنّ القيم تلعب دورًا محوريًا في التربية. ومن أبرز هذه القيم التي يجب الوقوف عندها: قيمة السعادة. فما هي السعادة الحقيقية يا ترى؟

عند التأمّل في رسائل النور، نجد تأكيدًا واضحًا على أنّ مفهوم السعادة قد شابَهُ اضطراب ناتج عن اختلاطٍ في سلّم القيم. ولهذا، فإن السعادة بوصفها قيمةً يجب أن تُعبَّر عنها ضمن منظومة العقيدة، وأن تُقدَّم كنموذج يُحتذى به ويُعاش واقعًا. ذلك لأن الأسرة تؤدّي دورًا فعّالًا في تعريف السعادة، وفي منحها المعنى والقيمة.

ففي رسائل النور، يُلاحظ أن الطفل الذي يرى في سلوك والديه أن السعادة الحقيقية تتمثّل في إدراك العجز والفقر أمام الله، والتوجّه إلى رحمته وقدرته وغناه، سيكتسب – بشكل طبيعي – خصالًا مثل التعاون، والإيثار، والتضحية، وسيتبنّاها في سلوكه. ومن هذا المنطلق، يؤكّد الأستاذ سعيد النورسي على أنّ الإيمان بالآخرة لا يقتصر أثره على السعادة الأُخروية فحسب، بل هو أساسٌ للسعادة الدنيوية أيضًا، ويُعبِّر عن ذلك بقوله: "وكذلك فإن "بيت كل إنسان" هو دنياه الصغيرة بل جنته المصغرة فإن لم يكن "الإيمان بالآخرة" حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً، وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق، وقد يخدر عقله باللهو والسفه المؤقت فيكون مَثَلهُ في هذا كمثل النعامة إذا رأت الصياد تخفي رأسها في الرمل كيلا يراها الصياد وهي عاجزة عن الفرار والطيران، فهو كذلك يغمر رأسه في الغفلة، لئلا يراه الموت والزوال والفراق، ملغياً شعوره موقتاً ببلاهة، وكأنه وجد علاجاً لما يُعانيه!

ولكن ما إن يحل "الإيمان بالآخرة" في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء، لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم -عندئذ- كلُّ فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدي صداقة وفية، صارفاً النظر عن التقصيرات. فتتعالى الأخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت"[23].

"وهكذا فان نتيجة واحدة للإيمان بالحشر من بين مئات النتائج التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للإنسان، وتعود إليها، والتي لها مئات الأوجه والفوائد، إذا ما قيست على تلك الدلائل الأربعة المذكورة آنفاً، يُدرك أن وقوع حقيقة الحشر وتحققها قطعي كقطعية

ثبوت حقيقة الإنسان السامية وحاجاته الكلية. بل هي أظهر دلالة من حاجة المعدة إلى الأطعمة والأغذية، وأوضح شهادةً منها. ويمكن أن يقدّر مدى تحققها تحققاً أعمق وأكثر إذا ما سلبت الإنسانية من هذه الحقيقة، الحشر، حيث تصبح ماهيتها التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم."[24]

إن المؤمنين الذين يجعلون إيمانهم يسيطر في كل مجالات حياتهم، يحققون من جهة سعادة وطمأنينة نابعة من عيشهم وفق هذه القيم، ومن جهة أخرى يحملون هذا هذه القيم الي الحياة الاجتماعية.

وهذا التحديد يُعدّ مميزًا وأصيلًا، لأنه يلفت الانتباه إلى أن تجليات أسماء الله الحسنى لا تقتصر على الكون فقط، بل تظهر أيضًا في الحياة الاجتماعية للإنسان. ومن هذا المنظور، نجد أن الآية 21 من سورة الروم تقدّم جوابًا واضحًا عن سؤال: كيف تكون الحياة الأسرية من آيات الله؟ فإذا أُتيح للإيمان بالآخرة أن يؤدي وظيفته في توجيه حياة المؤمن وسلوكه، فستنشأ حياة إنسانية سعيدة تنتشر فيها السعادة من الدائرة الصغيرة إلى الدوائر الأوسع. ولا يمكن لأي أيديولوجيا خالية من الإيمان بالآخرة أن تملأ هذا الفراغ الوجودي أو تسدّ هذه الثغرة العميقة. فليلق السمعَ علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملأون هذا الفراغ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة؟![25].

الخاتمة:

فتحصل من مجموع ما سبق أن للنورسي منهج قرآني في بناء قضايا الإيمان، يقوم على جملة من القواعد، أجملها فيما يلي:

1- التعريف بالله ووحدانيته عن طريق دليل العناية ودليل الاختراع ودليل التمانع.
2- اعتماد المحاكمة العقلية القائمة على السبر والتقسيم وحصر جميع الاحتمالات الممكنة ثم المناقشة الواعية لكل احتمال ثم التدرج حتى تخلص الحقيقة.
3- الانطلاق من عالم الشهادة وتحكيم حقائقه وعلومه ثم الارتقاء منه إلى حقائق عالم الغيب.
4- اتباع مسلك التدرج العقلي والانتقال من البسيط إلى المعقد، ومن المثال المحسوس إلى القاعدة النظرية.
5- التوازن في إثارة مواطن الإدراك في الإنسان، فتثار قوى الحواس والعقل والقلب.

6- مراعاة تفاوت مدارك المتلقين، فيكون لكل فئة خطابها وأدلتها.
7- الرجوع إلى القرآن الكريم رجوع المحتاج والفقير بعد تحرير الحاجات وتحديد المعضلات التي تحتاج إلى دواء.
8- العناية البالغة بالفوائد العملية للإيمان لتثبيت الفرق بين المؤمن والكافر في الاستمتاع بجمال الحياة ولذة العيش.

* * *

المصادر والمراجع:

- "صيقل الإسلام" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "الكلمات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "المكتوبات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "الملاحق" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "اللمعات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.

* * *

الهوامش:

[1] جامعة سليمان ديمرال, كلية الالاهيات اسبارطا, تركيا, ishakozgel@hotmail.com.

[2] النورسي، صيقل الأسلام، 376.

[3] سورة العلق: 1-5.

[4] النورسي، المثنوي العربي النوري، 117.

[5] عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله × ".. أرواحهم في جوف طُيُر خُضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت". مسلم، الإمارة 121؛ الترمذي، تفسير سورة آل عمران 9؛ أبو داود، الجهاد 25؛ ابن ماجه، الجنائز 4، الجهاد 16؛ الدارمي، الجهاد 18؛ أحمد بن حنبل، المسند 265/1.

[6] النورسي، الكلمات، 102.

[7] النورسي، الكلمات، 103.

[8] النورسي، الكلمات، 103.

[9] النورسي، الكلمات، 104.

[10] سورة الروم: 21.

[11] النورسي، اللمعات، 283.

[12] النورسي، الكلمات، 104.

[13] صحيح البخاري: 7/ 7 5090، صحيح مسلم: 2/ 1086 109 /27.

[14] النورسي، الكلمات، 104.

[15] النورسي، اللمعات، 276.

[16] النورسي، اللمعات، 283.

[17] النورسي، اللمعات، 276.

[18] سنن أبي داود: 1450، سنن ابن ماجة: 1336.

[19] سورة التحريم: 6.

[20] اعلم! أن السائق لهذا القول، أني رأيت نفسي مغرورة بمحاسنها. فقلتُ: لا تملكين شيئاً! فقالت: فإذن لا أهتم بما ليس لي من البدن.. فقلت: لابد أن لا تكوني أقل من الذباب.. فإن شئتِ شاهداً فانظري إلى هذا الذباب، كيفَ ينظِّفُ جناحَيهِ برجليهِ ويمسحُ عينيه ورأسه بيديه! سبحان من ألهَمَه هذا، وصيّره أستاذاً لي وأفحمَ به نفسي! المثنوي العربي النوري - ذيل القطرة.

[21] النورسي، اللمعات، 281.

[22] النورسي، اللمعات، 280-281.

[23] النورسي، الشعاعات 268-269.

[24] النورسي، الكلمات، 104.

[25] النورسي، الكلمات، 104.

الأبعاد النفسية في أسلوب النورسي لإثبات عقيدة الآخرة

أ.د. محمد خليل شيشك - تركيا

- ملخص-

يتناول البحث الأسلوب النفسى العميق الذي استخدمه الأستاذ النورسى فى ترسيخ عقيدة الآخرة فى النفوس، من خلال الجمع بين الخطاب العقلى والعاطفى، متأثرًا بالقرآن الكريم ومنهجه فى الدعوة. تركز البحث على النقاط التالية: البعد النفسى فى اختيار الكلمات: اختار النورسى كلمات مؤثرة تهز العواطف مثل: "المحكمة الكبرى"، "الحبس الأبدي"، و"النعيم المقيم"، لتفعيل الإيمان وإثارة المشاعر؛ البعد العقلى فى الحجاج: دعم الإيمان بالآخرة بالأدلة العقلية والمنطقية، ليقنع العقول المتشككة أن الحشر والنشر ليسا مجرد غيبيات، بل يتفقان مع معطيات العقل السليم. البعد النفسى فى الوعد: حفّز النفوس إلى الإيمان بالآخرة من خلال وصف النعيم الأخروي الدائم، والخلود فى الجنة، وبيان كثرتها وعدم انقطاعها، ومشاهدة جمال الله، مما يعمّق التعلق بالآخرة. البعد النفسى فى الوعيد: خاطب النورسى فى سياق إثبات الحشر والنشر الفطرة الإنسانية بالتخويف من العذاب والعدالة المؤجلة، مؤكداً أن الآخرة ضرورة ليتحقق العدل الإلهى الكامل. المنظور الفلسفى النفسى: رفض فلسفات الإلحاد والصدفة، وأثبت الآخرة من خلال تأمل نظام الكون، مظهرًا فشل الفلسفة فى تفسير المصير الإنسانى. إن النورسى دمج ببراعة الخطاب النفسى، والعقلى، والروحى فى الدعوة إلى الإيمان بالآخرة، بأسلوب فريد يمسّ القلوب والعقول معًا، مما جعل كتبه ذات أثر واسع وانتشار عالمى.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، النورسي، البعد النفسي، الإثبات، يوم القيامة.

The Psychological Dimensions in Nursi's Method of Proving the Doctrine of the Afterlife

Prof. Dr. Mohammed Khalil Çiçek – Turkiye

–Abstract–

This study explores the deep psychological approach employed by Said Nursi in reinforcing belief in the afterlife, through a unique blend of rational and emotional discourse, inspired by the Qur'an and its method of da'wah invitation to faith.

The study focuses on the following points: The Psychological Dimension in Word Choice: Nursi carefully selected emotionally charged words such as *"the Great Court," "eternal imprisonment,"* and *"everlasting bliss"* to activate faith and stir deep emotional responses. The Rational Dimension in Argumentation: He supported belief in the afterlife with logical and rational evidence, aiming to convince skeptical minds that resurrection and judgment are not mere unseen concepts, but rather align with sound reason. The Psychological Dimension in Promises: Nursi encouraged belief in the afterlife by vividly describing eternal paradise, everlasting pleasures, and the vision of God's beauty—strengthening the soul's longing for the hereafter. The Psychological Dimension in Warnings: In addressing human nature, Nursi employed fear of divine punishment and the concept of postponed justice to emphasize that the afterlife is essential for the fulfillment of perfect divine justice. The Philosophical-Psychological Perspective: He rejected atheistic and materialist philosophies, and affirmed the afterlife by reflecting on the order of the universe demonstrating the failure of philosophy in explaining human destiny. Said Nursi skillfully integrated psychological, rational, and spiritual discourse in his call to faith in the afterlife. His distinctive style touched both hearts and minds, which contributed to the widespread influence and global reach of his writings.

Keywords: Method, Nursi, Psychological Dimension, Proof, Day of Judgment.

* * *

مدخل:

إن من الأمور المسلمة أن لكل عصر ثقافة وأنه حسب اختلاف الثقافات تختلف المحركات والمنبهات والانفعالات النفسية عند أبناء كل عصر. فمن ميزات العصر الذي يسمى عصر الحداثة أو عصر ما بعد التنور أنه كثرت الانفعالات عند أبنائه التي هي انعكاس لما يحمله الناس من الحالات النفسية بحيث يحكم في الكثير من الأحيان تلك الانفعالات في إنجاز العاقبة المصيرية للكثير من الأحداث الجسام والأمور العظام سواء في مجال السياسة أو مجال الاقتصاد أو مجال الإدارة أو في مجال التعليم أو في

غيرها من المجالات؛ إضافة إلى أن الطابع البين لهذا العصر هو تحكم تلك الانفعالات النفسية في الكثير من مواقف الناس سلبا وإيجابا، ومن جراء ذلك كثر الأمراض النفسية في يومنا هذا في الكثير من المجتمعات- سواء الراقية منها والمتخلفة وانعكاسا لذلك كثر بصورة ملفتة العيادات النفسية في كافة المجتمعات. ومن هذا التطور النفسي في العصر الحاضر إن من يريد أن يوصل رسالته بسرعة إلى مختلف قطاعات البشر – سواء كان زعيما سياسيا أو خطيبا دعويا أو معلما تربويا- لابد له من الوقوف على مستويات الحالات النفسية وكيفياتها عند الناس وأن يعرف سبل وأساليب اللمس اللطيف لنفسيات الناس وان يعرف مناهج النفوذ في عمق الكيان النفسي للناس كي يوقظهم ويحرك ما فيهم من المشاعر النائمة نحو مقصده الذي يريد أن يوصله إليهم.

فانطلاقا من هذا المنطلق الكلي نجد الشيخ النورسي مرشدا ملهما ومربيا حكيما وخريتا ماهرا، وداعيا موفقا في دعوته الإيمانية وفي إيصال رسالته الإسلامية إلى الآخرين، فهو رحمه الله يعتني اعتناء بالغا في سبيل دعوته بالوصول إلى الأعماق النفسية للناس عامة ولجيل الشباب المعاصرين خاصة. وله في ذلك أسلوب ربما يخصه هو. وهو أنه يحاول أحيانا كثيرة أن يوصل رسالته - سواء كانت في العقيدة أو الأخلاق أو العبادات من خلال بعض التمثيلات التي تحرك عواطفهم والتشبيهات التي تهز مشاعرهم. وهو نفس أسلوب الفرقان المجيد. إذ الفرقان المجيد كثيرا ما يستخدم التشبيهات والتمثيلات والاستعارات والكنايات والكثير من أنواع المجاز في الكثير من المواضيع المختلفة في السياقات المتعددة التي هو بصدد تناولها كما في مثل قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُون} [البقرة: 2\18]، وفي قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ } [النور: 24\39]، وفي قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } [البقرة: 2\7]، وفي قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} [آل عمران: 3\103].

ولنفسح المجال للشيخ النورسي كي يفصح هو بنفسه عن اتجاهه في التمثيلات والتشبيهات إذ يقول: إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى. فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي

إليها، والتي تدل عليها كناية. فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما هي حقائق صادقة.[1] إن مقولة النورسي هذه تعرب عن طرف مما كان النورسي يكنه في تمثيلاته وتشبيهاته من البعد النفسي لقارئيه.

وإذاما ألقينا نظرة بسيطة على تلك المعاني والمدلولات والمفاهيم والمضامين التي استخدمها النورسي في سياق إثبات الحشر وجدنا أنفسنا أمام خضم زاخر من معاني غير مألوفة وغير ما اعتاده الناس في مثل تلك السياقات. فهو ذو بصيرة مستنيرة وفهم ثاقب ووعي رائع وتفكير دقيق فيما يتناوله من المعاني الطريفة التي قلما تناولها غيره من أعلام العلم ونوابغ الدهر. كما نجد لدى النورسي خبرة صادقة بالخطاب المؤثر في نفوس قارئيه انطلاقا مما لهم من الحالات النفسية. فيصوغ كلامه ويؤلف جمله حسب ذلك. فهيا بنا نتناول الأبعاد النفسية في ما تناول عرضه من عقيدة الحشر والنشر بالبحث والتنقيب. ويمكن أن يلخص ذلك في خمسة مواد: البعد النفسي في اختيار الكلمات، البعد النفسي في اطمئنان العقل بالحجاج، البعد النفسي في الوعد، البعد النفسي في الوعيد، البعد النفسي في المنظور الفلسفي.

1- البعد النفسي في اختياره للكلمات:

إن للأستاذ النورسي ولعا بالغا وشغفا كبيرا بدفع شبهات الناس حول عقائدهم، وحرصا زائدا على ترسيخ أصولها في قلوبهم، واعتناء بالغا بتحبيب العقائد الإسلامية إلى نفوس الناس ودفع الشكوك والشبهات عنها قدر المستطاع، كما أن له جهدا جهيدا في بيان عقلانية المعتقدات الإسلامية بحذافيرها علما منه رحمه الله أن معظم الاضطرابات الاجتماعية والأزمات النفسية والتوترات الروحية والاكتآبات الفردية تنشأ من عدم الإيمان بالله أو ضعفه. ومن جراء ذلك حاول الأستاذ النورسي بما أوتي من قوة وطاقة أن يجعل المعتقدات بالأمور الغيبية كمرأى العين، وملمس اليد، ومحسوس السمع فيعتني بذكر التنبيهات، والتمثيلات، والتشبيهات. وإلى جانب ذلك كان الأستاذ النورسي لتضلعه البالغ بالبلاغة العربية يعتني بعرض ما يعرضه من المسائل الاعتقادية وفق نفسيات الناس أي بحيث يصادف عرضه وبيانه تأثيرا في النفوس إما إقناعا أو تحبيبا أو ترغيبا أو ترهيبا أو التزاما بما يعالجه من موضوعات العبادة والموضوعات العقائدية. فكأن الشيخ النورسي يجعل ما لدى القارئ من الحالات النفسية المختلفة نصب عينيه، فيؤلف، ويصنف، ويركب، ويرتب انطلاقا من تلك الحالات النفسية التي شخصها هو

في نفسه. ومن ثمه ينزل إلى أعماق تلك النفوس المريبة المتشككة كي يجعل منها نفوسا متيقنة مطمئنة بما أمر الله، وأن ينزل إلى خبايا النفوس الجامحة الجاحدة كي يجعل منها نفوسا طيبة وقلوبا صادقة مع الله. ولتحقيق هذا الهدف السامي والمقصد العالي يهتم النورسي من جانب باختيار الأنسب الأوفق من الكلمات والمصطلحات في تقريراته الاستدلالية وبتصوير المعنى في أنصع بيان وأحسن أسلوب في تمثيلاته الإقناعية من الجانب الآخر. ومن ذا ترى على أسلوبه في دعوته مهابة ووقارا واحتشاما، وترى أنه يفيض عليه معاني الرأفة والشفقة من جانب ويغشاه معاني التقديس والتبجيل من جانب آخر.

وفي موضوع تناول النورسي لقضية الحشر يختار النورسي تلك التراكيب والتعابير والكلمات التي تكون أكثر إثارة لعواطف النفس، وأكثر تحريكا لمشاعرها، وأكبر تنشيطا لتوجهاتها، وتجييشا لرغباتها، وأكثر تنفيرا من جحودها وإنكارها. فمثلا تراه كثيرا ما يذكر في معرض ضرورة وقوع يوم القيمة تركيب "المحكمة الكبرى" إشارة إلى ضرورة وقوعها كالمحاكم الدنيوية لرفع المظالم ودفع المغارم، وكثيرا ما تراه ينص على ضرورة وقوع يوم القيمة لإحقاق حق المظلوم والإنصاف من الظالم، وكذا تراه ينص دوما على "النعيم المقيم" بتفصيل واف تزييدا لرغبة النفس، ويؤكد دائما على "الحبس الأبدي" استجاشة لرهبة النفس أيضا. وكذلك نرى بعدا نفسيا هاما لمثل مقولته التى صارت كضرب مثل بين الناس: "إن الزمان أرانا أن الجنة ليست رخيصة أصلا، وكذلك أن جهنم أيضا ليست أمرا غير ضروري". ومثلا إن اختيار النورسي لهذه الكلمات اللاذعة اللادغة يزيد البعد النفسي في التنفير من الإنكار والجحود إذ يقول: "فيا أيها المنكر! هل تعلم مدى حماقة ما ترتكب من جناية عظمى بكفرك وإنكارك؟ إنك تصدق وهمك الكاذب وعقلك الهاذي ونفسك الخداعة، وتكذب من لا يضطر إلى إخلاف الوعد، ولا إلى خلافه أبدا بل لا يليق الإخلاف بعزته وعظمته قطعا وإن جميع الأشياء وجميع المشهودات تشهد على صدقه وأحقيته!!..إنك إذن ترتكب جناية عظمى لا نهاية لها مع صغرك المتناهي فلا جرم إنك تستحق عقابا عظيما." [2] فاختياره في هذا المقطع الصغير الذي هو في كتاباته في موضوع الحشر قطرة من بحرة، أو رشفة من ديمة اختياره لهذه الكلمات يحمل معاني كثيرة في التنفير والتحقير: المنكر، حماقة، ترتكب، جناية عظمى، الوهم الكاذب، العقل الهاذي، النفس الخداعة، العقاب العظيم. لكل واحدة من هذه الكلمات دور هام في التنفير من الجحود وتنبيه أكيد في عدم الاغترار بأمنيات النفس

الأمارة. وهكذا حينما تتغلغل في كتبات النورسي في موضوع الحشر والنشر تجد له بيانا بديعا قلما جاد بها أفكار العباد وعقول الدعاة من قبل. ويختار الشيخ النورسي كلمات تفيض منها معاني الرحمة والرأفة في جانب الترغيب أيضا كما فعل في جانب الترهيب. فمثلا حينما يصور النورسي الموت الذي هو المدخل الوحيد للحشر يقول:

أرى الموت صديقا، لا أخافه مثلك!

أدخل القبر باسما لاارتعد مثلك!

فم تنين، فراش الوحشة، عتبة العدم لاأراه مثلك!

بل موضع تلاقي الأحباب..لاأضجر منه، لاأبغضه مثلك!

لا أتضايق منه ولا أهابه.

فهو باب الرحمة، باب النور، باب الحق

أقرعه باسم الله، ولا ألتفت، ولا تأخذني الدهشة.

سأرقد قرير العين، حامدا ربي، لا أقاسي ضيقا، ولا أظل في وحشة.

سأقوم على صدى أذان اسرافيل في فجر الحشر قائلا أله أكبر.

لا أرهب من المحشر الأكبر![3]

فهذا هو تصوير عباد الله المتقين للموت والحشر لا غير. فلنكتف بهذا القدر الذي ذكرناه تمثيلا واستشهادا لا استقصاء إذ لو ذهبنا نستقصي ما في كتابات النورسي من الكلمات والتراكيب والتعابير والجمل التي لدلالتها بعد نفسي لبعدت بنا الشقة ولاحتجنا إلى إيراد معظم ما في رسائله من النصوص التي كتبها النورسي ببنانه وأعرب عنها ببيانه حول إثبات الحشر والنشر.

2- البعد النفسي في اطمئنان العقل بالحجاج

إن من أقوى ما تزداد به سكينة النفوس العاقلة المتفكرة واطمئنانها هو الاقتناع بما يستسلم له العقل وتسخر له النفس من البرهنة الرشيدة والحجاج السديد ومن هذا كثرما ينادي الله عباده ب"يا أولي الألباب" أو ينبههم إلى مهمة التعقل بقوله: "..لقوم يعقلون" ويندب على الغباء والبلادة وعدم التعقل بمثل قوله "..لا يفقهون". ولهذا أيضا كثيرا ما

يستشهد القرآن ويثبت دعاواه بالأدلة العقلية السليمة الصائبة فمعظم القرآن وخصيصا سورة الرعد بكاملها، وفواتح سورة النحل، ومعظم معاني الحواميم السبع وقسم هام من سورتي النمل والروم شاهد صدق على ذلك. وحينما ننظر إلى عقيدة الآخرة فبالرغم من أنها قضية نقلية نؤمن بها على أساس من إخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن نرى أن الفرقان الحكيم حينما يتناول قضية عقيدة الحشر ويدعو الناس إليها لا يقف عند حد النقل وعند حد الأمر بالإيمان بها فقط بل يتعدى ذلك ويتخذ منهجا استدلاليا عقلانيا ويتخذ من ذلك طريقة تسهل وتسيغ في ذائقة العقل الإيمان بالحشر وأنها ليست بعيدة عن تناول العقل. الا يدل على ذلك قول الله تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الروم: 30\50]، وقوله تعالى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان: 31\28]، وقوله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ}[يس: 36\78 - 80] إلى آخر ما هنالك من كثير من الآيات التي تبين إمكانية وقوع الحشر من حيث منطق العقل الرشيد السديد.

وحيث يعلم أن الأستاذ النورسي نهج في حجاجه وبرهنته واستدلالاته منهج القرآن الكريم نجد أنه رحمه الله تعالى نهج في قضية إثبات عقيدة الحشر منهج الاستدلال العقلي البحت إذ يقول مثلا: كما لا شك مطلقا في مقتضيات الحشر، كذلك لاريب في القدرة المطلقة الذي يحدث الحشر، فلا نقص في قدرته إذ يستوي عنده كل عظيم وصغير، وسواء عنده خلق ربيع كامل وخلق زهرة واحدة. نعم! إن قديرا يشهد بعظمته وقدرته هذا الكون بألسنة شموسه ونجومه وعوالمه حتى بألسنة ذراته بوما فيها، هل يحق لأي وهم أو وسوسة أن يستبعد عن تلك القدرة المطلقة الحشرالجسماني؟[4] وهكذا نجد أن الشيخ النورسي رحمه الله يشبع الكلام ويطمئن العقل والنفس حول الإيمان بعقيدة الحشر بالاستدلال العقلي والتوجه المنطقي السليم.

وبذلك يحاول النورسي قدر المستطاع أن يثبت للناس جميعا أن عقيدة الحشر قضية عقلانية قدر ما هي عقيدة نقلية سمعية. وهذا يزيد من طمأنينة العقل الرشيد النبيه ويطمئن نفوس المرتابين الشاكين.

وهذه الكلمات التالية من النورسي مما يزداد بها اطمئنان المرء بعقيدة الحشر نفسيا

وعقليا أيضا إذ يقول: وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته وتصان من السقوط وتسود عدالته المطلقة، وتنجو من الظلم، وتنزه حكمته العامة وتبرأ من العبث والسفاهة، وتأخذ رحمته الواسعة مداها، وتنقذ من التعذيب المشين، وتبدو عزته وقدرته المطلقتان، وتنقذان من العجز الذليل، وتتقدس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزهة جليلة. فلابد ولا ريب مطلقا أن القيامة ستقوم وأن الحشر والنشر سيحدث، وأن أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح.[5]

وبذلك الحجاج والاستدلال يزداد الاطمئنان النفسي لدى القارئ بوقوع الحشر والنشر وأنها قضية عقلانية قدر ما هي نقلية وسمعية.

3- البعد النفسي في الوعد:

وحينما يحاول الأستاذ النورسي أن يزرع في النفوس وأن يرسخ في القلوب عقيدة الحشر والنشر يستوعب الموضوع من كافة جوانبه. ومن ذا يعتني بترغيب النفوس فيما في تلك الدار من الأجر العظيم. ويمس الموضوع الذي هو شأن نقلي بحت حيث نقل عن الكتاب والسنة ومصادر الأديان الحقة أن هناك خلف هذه الدار دارا أخرى فيها المجازاة الحقة والمحاسبة العادلة يمسه مسا عقليا إذ يعرض القضية لا بصورة الاكتفاء بنقله من النصوص المنقولة من الكتاب والسنة؛ بل تراه يحاول محاولة ملحة أن يعرض الموضوع بصورة منطقية عقلانية يقبلها العقل السليم والتفكير الصائب حيث يمهد بادئ ذي بدأ لما سيذكره من الأدلة المقنعة على جواز وقوع الحشر بل ضرورتها بقوله: "يا صاحبي ما دمت تعاند هكذا وتصر أي على كفرك وجحودك لشأن الآخرة فتعال أبين لك دلائل لاتعد ولا تحصى مجملة في اثنتي عشرة صورة تؤكد لك أن هناك محكمة كبرى حقا ودارا للثواب والإحسان..."[6] ثم يخوض في إجمال عرض تلك الأدلة اللامتناهية -على حد تعبيره- في اثنتي عشرة صورة فيصرح في الصورة الأولى بكلمة جامعة موجزة للكثير من الأدلة المنطقية على ضرورة الحشر والنشر بقوله: "أمن الممكن لسلطنة -ولا سيما كهذه السلطنة العظمى- أن لا يكون فيها ثواب للمطيعين ولا عقاب للعاصين؟ ولما كان العقاب والثواب في هذه الدار في حكم المعدوم فلا بد إذن من محكمة كبرى في دار أخرى.[7] نستلهم من هذه الكلمات المشرقة التي هي آية بينة على ما كان الشيخ النورسي يتمتع به من الإشراق الروحي أنه رحمه الله كان يحاول أن يقنع الناس بوقوع الحشر إقناعا منطقيا من خلال الرغبة في الأجور العظيمة والمثوبات

الجسيمة تلك الرغبة التي هي حالة نفسية مستقرة في كل نفس إنسانية - قليلا أو كثيرا- والتي هي أكبر عامل وأعظم دافع لدى جميع الناس فيما يغامرون فيه من الأعمال الشاقة والمساعي المكلفة المتعبة طمعا في الحصول على ما يرغبون فيه. ولا يكتفي الشيخ النورسي بهذا البيان الإجمالي في باب الوعد بل نراه يفصل الموضوع أكثر ويشرح أوفى وأوفر تفاصيل ذلك الموعود الإلهي بما يشاهد عن كثب في هذه الدار من النعم اللامتناهية إذ يقول: "انظر إلى ما لا يعد ولا يحصى من الجواهر النادرة المعروضة في هذه المعارض والأطعمة الفريدة اللذيذة المزينة بها الموائد مما يبرز لنا أن لسلطان هذه المملكة سخاء غير محدود، وخزائن ملأى لا تنضب.. ولكن مثل هذا السخاء الدائم، ومثل هذه الخزائن التي لا تنفد، يتطلبان حتما دار ضيافة خالدة أبدية، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. ويقتضيان كذلك خلود المتنعمين المتلذذين فيها، من غير أن يذوقوا ألم الفراق وخشية الزوال؛ إذ كما أن زوال الألم لذة كذلك زوال اللذة أيضا ألم..."[8].

وحينما يحاول النورسي أن يقنع الناس بوقوع الحشر من خلال ما لديهم من الرغبة النفسية نراه لا يكتفي بجانب واحد مثل الرغبة في الملذات الجسدية فقط مثلا؛ بل تراه يتعدى ذلك إلى الرغبة في رحمة الله الواسعة بقوله: "تأمل كيف إن لهذا السلطان -الذي لا نظير له- رأفة عظيمة تتجلى في خضم هذه الأحداث والأمور، إذ يغيث الملهوف المستغيث، ويستجيب الداعي المستجير وإذا ما رأى أدنى حاجة لأبسط فرد من رعاياه فإنه يقضيها بكل رأفة وشفقة ، حتى إنه يرسل دواء أو يهيء بيطارا لإسعاف قدم نعجة من النعاج..."[9] ومن هذا العرض يستنتج النورسي أنه لا يليق بكمال رحمة كهذه الرحمة الإلهية أن يفنى الناس بلا إثابة المطيعين وعقاب العاصين. كما يحاول أن يقنع من خلال الرغبة في الملذات الروحية والعقلية أيضا كما في قوله: رؤية جمال الله بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له وهذا يعني أن الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهورا مع مشاهدة دائمة وشهود أبدي وهذا يتطلب حتما خلود المشاهدين المشتاقين المقدرين لذلك الجمال لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل.."[10] وهكذا يستمر النورسي يشرح بإسهاب وإطناب كدليل على ضرورة الحشر ما ترغب النفس فيه من اللذة الروحية التي ربما لا تعادلها أية لذة أخرى وهو مشاهدة جمال الله سبحانه السرمدي في الآخرة. وله رحمه الله في باب ذكر وعود الله تعالى الكثيرة كمرغب نفسي يدفع النفس إلى القبول هذه الكلمة الفاصلة: "وحيث إنه وعد، فسيفي بوعده حتما ، لأن وفائه

سهل عليه وهين، وهو من مقتضيات سلطنته، وهو ضروري جدا، لنا ولكل شيء"[11].

4- البعد النفسي في الوعيد:

إن الكيان النفسي والحالة النفسية يختلفان من إنسان إلى آخر كما أن بعض الناس سريع التأثر والانفعال مما يجابهه من الأحداث الجسام والبعض الآخر بطيء التأثر أو في بعض الأحيان عديم الانفعال والتأثر تماما. فمن هنا ترى من الناس من يتأثر بالحجاج العقلي أكثر، ومنهم من يتأثر بوقائع الأمم الخالية وقصص الغابرين أكثر، ومنهم من يتأثر بالنصائح الحكيمة والمواعظ المؤثرة أكثر، ومنهم من يكون أشد تأثرا بالوعود والمرغبات والمبشرات، ومنهم من يكون يكون أكثر انفعالا وأشد تأثر بالمواعيد والمرهبات والتهديدات. فالفرقان الحكيم انطلق من هذا الواقع الإنساني النفسي عبر جميع كلماته وآياته ومقاطعه وسوره فراعى كل المستويات الإنسانية النفسية في دعوته وهدايته فلم يبال بالنظريات العلمية ولا بالمصطلحات الفلسفية ولا بالأساليب العلمية ولا بالأقيسة المنطقية بل مضي في سبيل دعوته على ما يخصه نفسه من منهجه الخاص وأسلوبه الفريد الذي أعجز الإنسانية جمعاء وأدهش البشرية كتعاء وهذا الأسلوب الخاص هو الذي أرغم رجلا حداثيا أكمل كيانه الأكاديمي بين أحضان الغرب مثل طه حسين على أن يقول إن الكلام العربي ثلاثة أنواع: شعر، ونثر، وقرآن. فجعل طه حسين بذائقته الأدبية البصيرة أسلوب القرآن نوعا خاصا بين أساليب الكلام العربي. فالقرآن الكريم بما يتميز به من ميزته الخاصة في أسلوبه الحكيم راعى في دعوته جميع حالات النفس البشرية في تأثراتها وانفعالاتها فبرهن واحتج، وقص القصص، وبشر ووعد، وأنذر وأوعد، وأتى بأفضل وأنبل المعاني الحكيمة. والبعض من علماء الملة نهج نفس المنهج عبر مراحل دعوته كالإمام حسن البنا رحمه الله وغيره ولا شك أن من أحسن وأبرز من جعل أسلوب الفرقان الحكيم بمختلف أطيافه وألوانه وأنواعه لنفسه قدوة وإماما الشيخ سعيد النورسي. فمن هنا نجد أن الشيخ الجليل حينما يخوض في غمار موضوع الحشر والنشر يجعل أسلوب القرآن الحكيم من التمثيل و قص القصص، وإيتاء الحجاج وذكر الوعد والوعيد أسوة حسنة له فيمشي على طريقته ويتبع منهجه. ومن هنا نراه يلح بإصرار ويكرر بإلحاح أسلوب الوعد والوعيد فيقول مثلا: تعال لننظر إلى رؤساء من هذه الدوائر قسم منهم يمكنهم الاتصال بالسلطان العظيم مباشرة بهاتف خاص بل لقد ارتقى قسم آخر منهم وسما إلى ديوان قدسه.. تأمل ما ذا يقول هؤلاء؟ إنهم يخبروننا جميعا أن

السلطان قد أعد مكانا فخما رائعا لمكافأة المحسنين وآخر رهيبا لمعاقبة المسيئين، وإنه يعد وعدا قويا ويوعد وعيدا شديدا، وهو أجل وأعز من أن يذل إلى خلاف ما وعد وتوعد".[12] ويستمر النورسي في بيان إثبات الحشر والنشر بأسلوبه الخاص المفعم بمعاني طريفة حكيمة وأدلة مشرقة نابعة من صفاء روحي قلما ناله الأولون والآخرون.[13]

ونجد لدى النورسي ثروة فكرية أخرى ومقاربة منطقية أخرى غير ما هو المألوف في إثبات الحشر والنشر تزيد هذه المقاربة رغبة الناس في ثبوت الآخرة واشتياقهم إليها إذ يقول:

"فيا صديقي! إن هذه المملكة المؤقتة ما هي إلا بمثابة مزرعة، وميدان تعليم، وسوق تجاري؛ فلا بد أن تأتي بعدها محكمة كبرى وسعادة عظمى.[14] كما نجد النورسي يضرب على وتر أرواح الناس المشتاقين المتعطشين إلى الرحمة والعدالة حينما يحاول أن يؤكد على أن مقتضى الحكمة والعدالة والرحمة هو ثبوت الحشر والنشر الذي يجد به كلٌّ جزاء ما عمل إن خيرا فخير وإن شرا فشر إذ يقول: "...ولكن لماكانت هذه المملكة كما هو معلوم – قاصرة عن إظهار حقائق هذه الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، ولم تكن هناك في مقر مملكته كما توهمت قصور دائمة وأماكن مرموقة ثابتة، ومساكن طيبة خالدة، ومواطنون مقيمون، ورعايا سعداء تحقق تلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، يلزم عندئذ إنكار ما نبصره من حكمة، وإنكار ما نشاهده من عناية، وإنكار ما نراه من رحمة، وإنكار هذه الأمارات والإشارات للعدالة الظاهرة البينة.. إنكار كل ذلك حماقة فاضحة كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسها في رابعة النهار..."

"فهناك إذن ديار غير هذه الديار، فيها محكمة كبرى، ودار عدالة عليا، ومقر كرم عظيم، لتظهر فيها هذه الرحمة وهذه الحكمة، وهذه العناية، وهذه العدالة بوضوح وجلاء".[15]

فكل هذه المعاني التي يقررها الشيخ النورسي بإيقاع وتأكيد حول إثبات الحشر وأن العقل السليم لا يمجه مما يزيد رغبة النفس في ثبوت الحشر، ويجعلها منقادة أو على الأقل متاحة فيما سيأتي من الدهر لقبول حقيقة الحشر وأن ثبوت الآخرة مما يقتضيه ويقضي به الطبع السليم ويتطلبه العقل المستقيم. فكما أن الكثير من قضايانا إنما يصل إليها العقل ويقبلها بعد جهده الجهيد في سبرها وطرحها على مقتضى قوانينه ووفق

موازين أصوله؛ فما وافقه منها قبل وما لا فلا. وكما ذكره النورسي أيضا إنه ليس في ثبوت الحشر والنشر شيء مخالف لقوانين العقل أو معارض لمقتضيات المنطق الإنساني السليم. وخصيصا إذا انطلقنا إلى القضية من منطلق قدرة الله التي توجد، وتعدم، وتحي، وتميت، وتعز، وتذل، وتخفض، وترفع بدا أمر الحشر سهلا ميسورا من منظور العقل أيضا على من كان أمره بين الكاف والنون فإذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون. وهو ما يكثف النورسي جهده عليه ويحاول أن يثبت لدى قارئيه عقلانية الحشر والنشر.

5- البعد النفسي لمنظوره الفلسفي

إن الحكمة التي رشح بها دنان الشيخ النورسي حكمة فائقة بديعة تفوق حكمة الفلاسفة أجمعين إذ النورسي رحمه الله حينما يتصدى لإثبات وجود الإله أو إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم أو إثبات الحشر إنما يستدل على كل ذلك بهذا الكون المشهود الذي طالما ارتبك عقول كبار الفلاسفة في فهم تصاريفه وتدابيره وتورطت في معرفة خالقه ومدبره على ما يليق بجنابه -علما منا أن أول بذرة للفلسفة إنما ألقيت في هذه الكرة بحثا عن علة الأشياء والمصدر الأول لها والأصل الأول لما جميع ما يرى في الكون من نظام وإبداع وتدبير وتصريف وتدوير. فحيث يأبى العقل السليم الحكيم أن يحيلها على الصدفة العوراء العمياء توغل وتغلغل العقل الفلسفي في خبايا الكون كي يستكشف عن موجده الأول وأصله الأول – على حد تعبير الفلاسفة- ولكن أنى له ذلك! لأن العقل الذي لم يترب على نبراس الوحي الإلهي ولم يشتم منه شيئا من رائحة الحقيقة عامَ وهامَ في تيهاء الكون وخاب وغاب فطار الكثير منهم في مهب رياح الفلسفة كريشة أمام ريح عاصف فلم يستطيعوا أن يأتوا من الحقيقة الناصعة في مجال وجود خالق الكون بنقير ولا قطمير فأحالوا خلق الكون إلى غير خالقه وأتوا في باب تفسير تصاريف الكون وما يجري من الإبداع والإتقان والإحكام في الصنائع العجيبة فيه بالمضحك المبكي حيث أحال البعض ذلك إلى الماء، والبعض منهم إلى الأرقام، والبعض الآخر منهم إلى العناصر الأربعة، وهلم جرا.. وهو شأن الفلسفة دائما عبر التاريخ، حيث يدور بين جنبات الكون بحثا عن أصله، ويصول، ويجول؛ ولكن في خاتمة المطاف لا يفوز بشيء أو قلما يفوز بشيء له جدوى.

إن من المثير للعجب والتقدير أن الأستاذ النورسي له ثقة بالغة في جميع ما يعرض من أفكار ودعاوى وخصيصا في القضايا الإيمانية والمسائل الاعتقادية والأحكام

الشرعية فيتحدى الفلاسفة تحديا سافرا. وهذا التحدي والثقة النفسية يضفيان على دعاواه وأطروحاته وحججه وأدلته ثقة واطمئنانا لدى متابعيه ومعجبيه. فتراه يهاجم في مطالع رسالة الحشر على الفلاسفة هجوم الأبطال المغاوير إذ يقول: إن عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الأمارة في الضلالة الرهيبة.[16] كما يتصدى من حين لآخر في كتاباته للفلسفة ويظهر عُوراها وبَوارها فيقول مثلا: أما ما يسمونه بعلم الحكمة وهي الفلسفة فقد غرقت في تزينات حروف الموجودات، وظلت مبهوتة أمام علاقات بعضها ببعض، حتى ضلت عن الحقيقة...نعم! إن الفلسفة الملحدة إنما هي سفسطة لاحقيقة لها وتحقير للكون وإهانة لها.[17]

فحينما ينظر لمناولة النورسي لقضية الحشر والإيمان بها من المنظور الفلسفي يرى أنه كما تتجول النحلة على مختلف أنواع الأزاهير والثمرات والنباتات لتستخلص ما فيها من المواد النافعة الشافية كذلك يتجول النورسي تجولا بارعا في شتى صفحات الكون العلوي والسفلي، المادي والمعنوي، النقلي والعقلي، الظاهري والباطني، المحسوس وغير المحسوس فيستخلص ما فيها من أدلة قدرة الله وحجج وحدانيته ثم يستطرد وخصيصا في رسالة الحشر وغيرها من كتاباته في موضوع الحشر إلى إثبات الحشر والنشر بنفس المنهج وهذا ما يفيد القارئ ثقة نفسية واطمئنانا كاملا حول عقيدة الحشر إذ يرى في عرض تلك الأدلة استنارة وبصيرة ورشدا ومستوى عاليا من العقلانية والتفكير العميق والنظر الدقيق والتعقل البصير وخصيصا إن نص النورسي على أن ما في هذه الدار من الاعتداآت والارتباكات مقتض لأن يكون هناك عالم آخر يتقاضى الناس فيما بينهم نصٌّ له قيمة عالية في الإقناع والحجاج.

خاتمة المطاف:

يستبين للقارئ الفاحص لكتابات النورسي حول أي موضوع ما أن له أسلوبا خاصا يخصه هو يلوح عليه إشراقات روحية جمة، ويظهر عليه لوامع حكمة عرفانية عميقة لا يملكها إلى من أوتي موهبة ربانية مغدودقة. تراه أنه يفيض عليه من خلال أسلوبه من جميع الجوانب معاني الحب الصادق لله ولرسله ولشريعته، ومعاني العبودية الصادقة الخالصة لله، كما يبدو واضحا على أساليبه في كافة كتاباته معاني التقديس العظيم والتعظيم الجم لله سبحانه، وسائر شعائر دينه؛ إضافة إلى ما يتلألأ على كافة حركاته وسكناته ولمساته وبياناته في كتاباته من الأدب العميق مع الله تعالى والتعظيم المستولي

على جميع كيانه. إن اسلوبه أسلوب ملئه التخشع والتضرع لله والاستكانة والإنابة إليه؛ أسلوب ملئه الشوق والاشتياق إليه والالتياع له؛ أسلوب ملئه الاستشعار بعظمة الخالق وعليائه وكبريائه؛ أسلوب ملء جوانحه الاستسلام لربوبية الخالق والإقرار بكمال عظمته والإيقان والإذعان لفردانيته ووحدانيته. أسلوب يظهر من كافة كلماته وجمله ونظمه وسياقه الأبعاد العميقة للتسليم المطلق والانقياد المطلق لخالق الكون رب العالمين مالك السموات والأرضين.

وهذا الأسلوب العرفاني الحكمي الفريد المتميز الذي تفرد به النورسي في كتاباته الدعوية والعقائدية ولا نجد عند غيره من العلماء سوى شيء طفيف عند الغزالي ت 505ه\1111م في بعض رسائله[18] هو الذي شد إليه وإلى كتاباته الكثير من أهل العلم والفضل ومن المثقفين والمنورين، ومن الشباب والشيوخ، ومن الإناث والذكور. وبه انتشر آثار النورسي ومؤلفاته بين الخافقين في معظم أقطار المعمورة وترجمت إلى كثير من لغات الدنيا وطبعت مآت المرات في أكثر من بلدة.

وحينما نلقي نظرة عجلى على أسلوب النورسي في كتاباته حول إثبات الحشر وضرورة وقوع يوم القيمة بمقتضى العدالة المطلقة في مختلف كلماته ومؤلفاته نلقاه بحرا إذ يتميز ذلك الأسلوب بخصيصة كونه يستوعب أبعادا نفسية قوية من جوانب مختلفة حيث يجمع ذلك الأسلوب بين لابتيه ما يهز المشاعر النفسية للقارئ نحو تحقق وقوع يوم القيمة، والأحاسيس النفسانية لديه منه، وما يثير العواطف الروحية له فيه، ويتضمن ما يشد روح القارئ وقلبه وعقله إلى أشواق الآخرة وما يزيد من تلهفه وتحسره على فوات مثوباته، كما يتفرد ذلك الأسلوب العرفاني الحكيم بجذبه العقول إلى محاكمة عقلية بحتة حول إمكانية وقوعه وأن وقوع يوم القيمة وتحقق الحساب والمحاكمة العادلة المنصفة بين الظالم والمظلوم مقتضى العدالة المطلقة إذ يقول: "غير أن الإنسان الذي يقضى حياة قصيرة في هذه الدنيا لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة، وإنما تؤخر إلى محكمة كبرى حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته..." [19]

كما أن النورسي حينما يسعى -ولا يألو جهدا- لإثبات الحشر والنشر والحساب وما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب يضرب على أوتار الروح البشري فيحلقه في أجواء من سماء السعادة السرمدية والطمأنينة الأبدية، ويطيره شوقا وعشقا إلى الآخرة

ونعيمها وإلى الرضوان السرمدي والسعادة الأبدية فيها. وبذلك الأسلوب يغمر ويغلب الشوق جميع كيان العبد المؤمن. فكأن أسلوبه زمزمة عاشق تخرج من أعماق قلبه ونفسه بكل معاني الوجد والحنين والشوق والعشق والطرب يتناغم ذلك الأسلوب مع كافة متطلبات النفس في أسلوب نفساني يوافق جميع ما اشترطه النفسانيون في مثل ذلك السياقات الهامة العامة وليس ذلك إلا من فضل الله العظيم يؤتيه من يشاء وهو الحكيم العليم.

المصادر والمراجع:

بديع الزمان النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إستانبول: دار سوزلر للنشر، 1412\1992.

أبو حامد الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ضمن مجموعة رسائل الغزالي، بيروت: دار الفكر، 1416\1996.

الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، بيروت: دار الفكر، 1416\1996.

الغزالي، مشكاة الأنوار، بيروت: دار الفكر، 1416\1996.

الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، بيروت: دار الفكر، 1416\1996.

* * *

الهوامش:

[1] سعيد بديع الزمان النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إستانبول: دار سوزلر للنشر، 1412\1992، ص 47.

[2] النورسي، الكلمات، ص 84.

[3] النورسي، الكلمات، ص 229.

[4] النورسي، الكلمات، ص. 612.

[5] النورسي، الكلمات، ص 111.

[6] النورسي، الكلمات، ص. 49.

[7] النورسي، الكلمات، ص 50.

[8] النورسي، الكلمات، بتصرف طفيف، ص 51.

[9] النورسي، الكلمات، ص 52.

[10] النورسي، الكلمات، ص 51.

[11] النورسي، الكلمات، ص 55.

[12] النورسي، الكلمات، ص 55.

[13] انظر: النورسي، الكلمات، ص 55.

[14] النورسي، الكلمات، ص 58.

[15] النورسي، الكلمات، ص 57.

[16] النورسي، الكلمات، ص 60.

[17] النورسي، الكلمات، ص 143-144.

[18] انظر ابو حامد حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ضمن مجموعة رسائل الغزالي، بيروت: دار الفكر، 1416\1996، ص 7-46. وانظر الغزالي، روضة الطتالبين وعمدة السالكين، ضمن نفس المجموعة، ص 106- 159، الغزالي، مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة، ص 269- 292، الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة، ص 301-333. نعم إن كلام الغزالي حول القضايا الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية وإن كان فيه قوة ومتانة ورصانة لكنه لا يخلو من استعمال بعض مصطلحات الفلسفة القديمة، ومن الطرف الآخر لا يخلو من حين إلى آخر من تعقيد بعض المناهج العلمية أيضا أما أسلوب النورسي فهو أسلوب عرفاني تربوي دعوي حكمي يصل من الكتاب إلى اللباب.

[19] النورسي، الكلمات، ص 69.

حفيف الأرواح ومزامير الاستعداد
- تأملات في رسائل النور حول الساعة والآخرة-

د. فرهاد أكبر الشواني -العراق

- ملخص-

ينطلق هذا البحث من عنوان يعكس جوهر الخطاب السائد في رسائل النور، فهو يوضح لنا خريطة الاستعداد لهذا الخطب الكوني العظيم، وهو يجمع بين رقة النداء وبين التحليل العقلي الذي ينقل الإنسان من غفلة الاعتياد والألفة إلى بصيرة الخلود، ومن هنا ارتأينا أن يكون معنونا بـ حفيف الأرواحِ ومزامير الاستعداد: تأملاتٌ في رسائل النور حول الساعة والآخرة. ويهدف بحثنا إلى تحليل النصوص الواردة في رسائل النور حول الساعة والآخرة من زاوية عقلية ووجدانية وروحية. كما يبين مفهوم الاستعداد في رسائل النور من خلال الكشف عن البنية البلاغية والروحية له وما تحويه من الدلالات والرموز ويسعى إلى إبراز دور الإيمان التحقيقي في إيقاظ الهمم وتحفيزها نحو الظفر بالسعادة الأخروية.

اقتضى البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث، حيث تحدثنا في أولها عن مفهوم الساعة والاستعداد لها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأما المبحث الثاني فقد اختص فيه الحديث عن تجليات المعنى والمبنى في خطابات رسائل النور حول الساعة والآخرة، ولقد سلطنا الضوء في المبحث الثالث على مزامير الاستعداد في خطابات رسائل النور، وأما الرابع من المباحث فكان الحديث فيه عن حفيف الأرواح نحو الآخرة وأثر خطاب رسائل النور في النفس المؤمنة، وقد ختمت البحث بخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: الأخرة، سعيد النورسي، تأملات، رسائل النور، االساعة.

The Murmur of Souls and the Psalms of Preparation Reflections on the Risale-i Nur Concerning the Hour and the Hereafter

Dr. Farhad Akbar Al-Shawani – Iraq

–Abstract–

This study takes its point of departure from a title that encapsulates the essence of the discourse prevalent in the *Risale-i Nur* Collection. It delineates a conceptual framework for preparing for this profound cosmic reality, combining the gentleness of spiritual exhortation with rational analysis—moving the human being from the slumber of habituation and familiarity toward the insight of eternity. Accordingly, the study has been titled: *The Murmur of Souls and the Psalms of Preparation: Reflections on the Risale-i Nur Concerning the Hour and the Hereafter*.

The research aims to analyze the relevant texts in the *Risale-i Nur* pertaining to the Hour and the Hereafter from intellectual, emotional, and spiritual perspectives. It further seeks to elucidate the concept of "preparation" as presented in the *Risale-i Nur*, by uncovering its rhetorical and spiritual structures along with their symbolic and semantic connotations. The study also aims to highlight the role of verified experiential faith in awakening spiritual ambition and motivating the believer towards the attainment of eternal felicity.

The structure of the research comprises an introduction followed by four main sections. The first section discusses the concept of the Hour and the notion of preparation for it as presented in the Qur'anic text and the Prophetic tradition. The second section focuses on the interplay between meaning and structure in the discourses of the *Risale-i Nur* concerning the Hour and the Hereafter. The third section examines the "psalms of preparation" within these discourses, while the fourth explores the "murmur of souls" journeying toward the Hereafter and the transformative effect of the *Risale-i Nur* on the believing self. The study concludes with a summary of the key findings derived from the analysis.

Keywords: Hereafter, Said Nursi, Reflections, Risale-i Nur, The Hour.

* * *

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فعند اشتداد الغفلة عن المصير الأخروي، والاستغراق في البلاهة والبلادة لإرضاء

النفس وتحقيق نزواتها، وفي ظل طغيان المادية والجري وراء سراب الأوهام، تبرز الحاجة إلى همسات إيمانية، وأصوات معنوية توقظ أرواح الناس من سباتها، وتذكرها بأن خلف هذه الدنيا ناقوس لا ينقطع رنينه، وناقورٌ لا ينتهي صداه، ألا إنها الساعة التي تناسها الجميع، وجعلوها وراءهم ظهريا، قال تعالى :{ فإذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ} سورة المدثر، الآية8-9.

ولقد كانت مهمة الأنبياء-عليهم السلام- هو التذكير بعظمها، والتحذير من أهوالها، لا من باب التخويف والترهيب فحسب، بل من باب الإيقاض الروحاني والوجداني المفعم بالأمل والخشية واليقين، وهذه مهمة الدعاة وديدنهم على مرِّ العصور ومن بينهم بديع الزمان النورسي الذي نفذت كلماته إلى أعماق القلوب، مخاطباً العقل والقلب والوجدان، وأنار بخطاباته التي تسطرت في رسائل النور دروب الاستعداد.

إن خطاب رسائل النور عن الساعة والآخرة ليس خطاباً وعظياً جامداً، بل هو نداء إيماني يغلب عليه الرفق والوعي، ومزامير تبث حفيفاً في الأرواح وتدعو إلى يقضة لا تنام توحي بالدعوة الإلهية الرحيمية، وتهتف في ضمير الإنسانية أن تستعد وتستفيق من الغفلة والنسيان، وتحفزها من جانب آخر للسير نحو معبودها الحق بجميع الجوارح واللطائف حباً وخشية وتعظيماً.

إن تعامل النورسي مع الساعة والآخرة كمرآة تنعكس فيها حقيقة الإنسان ومآله ومصيره، إذ يغوص في دقائق النفس وأعماقها ليوقظ فيها الحس الإيماني الخامد لتعود إلى أصل الفطرة النقية التي فطرت عليها لتحلق إلى عالم الغيب بجناح اليقين ضمن عالمها الشهودي الذي ترسخ بسبب الإيمان التحقيقي.

أهداف البحث:

1- تحليل النصوص الواردة في رسائل النور حول الساعة والآخرة من زاوية عقلية ووجدانية وروحية.

2- بيان مفهوم الاستعداد في رسائل النور من خلال الكشف عن البنية البلاغية والروحية له وما تحويه من الدلالات والرموز .

3- إبراز دور الإيمان التحقيقي في إيقاظ الهمم وتحفيزها نحو الظفر بالسعادة الأخروية.

إشكالية البحث:

1- كيف صاغت رسائل النور مشروعها الإصلاحي المتعلق بالاستعداد للساعة؟

2- ما هي المضامين الروحية والبلاغية التي وظفتها رسائل النور في خطاباتها لتحفيز العقل والقلب والوجدان نحو الآخرة؟

منهج البحث:

تحليل النصوص الواردة في رسائل النور بصدد الساعة والاستعداد لها، وتوظيفها في الجانب التربوي الذي يضمن للإنسان سعادته الأخروية.

خطة البحث:

اقتضى البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث، حيث تحدثنا في أولها عن مفهوم الساعة والاستعداد لها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأما المبحث الثاني فقد اختص فيه الحديث عن تجليات المعنى والمبنى في خطابات رسائل النور حول الساعة والآخرة، ولقد سلطنا الضوء في المبحث الثالث على مزامير الاستعداد في خطابات رسائل النور، وأما الرابع من المباحث فكان الحديث فيه عن حفيف الأرواح نحو الآخرة وأثر خطاب رسائل النور في النفس المؤمنة، وقد ختمت البحث بخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول: مفهوم الساعة والاستعداد لها في القرآن الكريم والسنة النبوية

إن الحديث عن الساعة والاستعداد لها من المسائل المهمة التي اهتمت بها العقيدة الإسلامية، إذ لها أبعاد عميقة في صقل تصرفات الإنسان وسلوكه، وتأثير شديد في تقويم تصرفات الفرد المسلم وتربيته وفق موازين تؤهله لأن يكون أنموذجا فريداً في الإصلاح، وفي هذا الاطار جاءت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ترسخ هذا المفهوم في عقل ووجدان الإنسان، لأنه متى ما غاب عنه او غفل عنها وقع في الإفساد، وسقط في هاوية الشقاء ودرك المعاصي والرذائل، وهذا ثابت باستقراء تاريخ الأمم الغابرة والحاضرة، ومن هذا المنطلق نستعرض بشكل موجز مجموعة من النصوص التي تذكر بالساعة وتأمرنا بالاستعداد لها وهي كالآتي:

أولاً: الاستعداد للساعة في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى الساعة معبراً عنها بأنها نهاية هذا العالم الذي نعيش فيه وبداية عالم آخر يحسم فيه مصير الإنسان إما بالسعادة أو الشقاء، فالتذكير بالساعة له بعد غيبي في حياة الإنسان ليستحظر هدفه ومآله الأبدي، ولا يكفي مجرد التصديق به بل لابد من الانخراط في سلوك يستحضر به الإنسان هشاشة الدنيا ورحيله منها وديمومة الآخرة، فيشحذ همته وعزيمته للتزود بالأعمال الصالحة التي تُمكِّنه من الفوز بالنعيم فضلاً عن النجاة من العذاب، ومن هذه النصوص ما يأتي:

1- قال تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} (سورة طه 15).

2- قال تعالى:{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} (سورة القمر1.)

يقول النورسي:" كذلك ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن يوم القيامة ليس أجل الإنسانية فحسب حتى يقاس قربه وبعده بمقياس عمرها، بل هو أجل الكائنات والسماوات والأرض ذات الأعمار المهولة التي تندّ عن القياس والحساب، ولأجل هذا فقد أخفى الحكيم العليم موعدَ قيام الساعة في علمه بين المغيّبات الخمسة، وكان من حكمة الاخفاء هذا أن يخشى الناسُ في جميع العصور قيام الساعة، حتى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا أشدّ خشية من قيامها في زمنهم من غيرهم، مع أنهم كانوا يعيشون في خير القرون، وهو قرن السعادة وانجلاء الحقائق"[1].

ومن جانب آخر أكثر وضوحاً يؤكد النورسي أن إخفاء الساعة هو من مصلحة الإنسان نفسه كي لا يعيش نصف عمره في غفلة تامة، ونصفه الآخر مرعوباً مدهوشاً كمن يُساق خطوة خطوة نحو حبل المشنقة. بينما تقتضي المحافظة على التوزان المطلوب بين الدنيا والآخرة ومصلحة بقاء الإنسان معلقاً قلبُه بين الرجاء والخوف، أن تكون في كل دقيقة تمر بالإنسان إمكان حدوث الموت أو استمرار الحياة[2].

ثانيا: الاستعداد للساعة في السنة النبوية

رسمت السنة النبوية الشريفة طريق النجاة، وبيّنت للإنسان درب السعادة الأبدية، فعن طريق الإيمان به يتصحح مساره لتكون أعماله سلماً يرتقي بها إلى أعلى العليين، ويبات قلبه خاشعا وجلا من ذكرها، لأن الساعة ليست فقط خطباً مستقبلياً عابراً، بل هي أحداث ولحظات لا تفارق الإنسان وهي ملازمة له في كل آن تدفعه إلى مراقبة أفعاله

وتصرفاته، ومحاسبة نفسه عند حدوث الهفوات والزلات والمعاصي ليعقبها بندم وتوبة، لذا كان تركيز السُّنة على الاستعداد روحاً وسلوكاً، فقد أخرج الترمذي بسنده عن شَدَّادِ بْنِ أوسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ}[3].

إنها همسات نبوية شريفة تتغلغل في آذان أهل الإيمان لتوقظهم من غفلتهم التي كانوا سادرين فيها، ويتداركوا الخطأ بالصواب، والذنب بالتوبة، والتقاعس بعلو الهمة نحو فعل الخيرات والطاعات، لأن العمر قصير، وساعة الرحيل إلى الآخرة مجهول، إذ لا محالة من المغادرة إلى دار الحساب، فالكل في انتظار أجله، وإلى هذا أشار الحبيب الكريم –صلى الله عليه وسلم –بقوله: {فانتظر الساعة}[4] .

قال النورسي: " إن تكرار الرسول - صلى الله عليه وسلم – { فانتظر الساعة} نابع من هذه الحكمة حكمة الاخفاء والابهام، وفيه إرشاد نبوي بليغ، وليس تعييناً لموعد الساعة بالوحي، حتى يُظن بُعده عن الحقيقة، اذ الحكمة شئ يختلف عن العلة، وهكذا فالأحاديث الشريفة التي هي من هذا القبيل نابعة من حكمة الاخفاء والابهام"[5].

يحاول النورسي أن يلفت الإنظار إلى أن الحكمة الإلهية اقتضت إخفاء الأمور الغيبية كحلول الساعة لما في ذلك من مصالح جليلة، منها ما يعود إلى توجيه الإنسان نحو الخير وتهذيب سلوكه لكونه يترقب حلول أجله في كل لحظة، كما يحتمل أن يمتد عمره وتستمر حياته، فكلا الاحتمالين وارد، فيدفعانه إلى التوازن بين العمل للدنيا والاستعداد للآخرة، ليجتهد في إعمار الأرض بجدية ويسعى في الوقت نفسه إلى نيل الخلود في الدار الآخرة، فيتوقع امتداد الزمان ذاته كما يتوقع قيام الساعة في كل لحظة وآن، فيصبح بمقدوره أن يعمل لحياته الأبدية الخالدة بعين تبصر زوال الدنيا وفنائها، ويسعى لعمارة الدنيا بعقلٍ واعٍ يدرك أنها نافذة لعالم آخر، و كما أنها ممر لا مقر[6].

المبحث الثاني: تجليات المعنى والمبنى في خطابات رسائل النور حول الساعة والآخرة

إستطاعت رسائل النور أن تسلك مسلكاً جديداً في الحديث عن الساعة والآخرة بدلاً من الوعظ التقليدي، حيث وظفت في حديثها أدوات عقلية وبلاغية ضمن سياق تربوي ووجداني، لينحت في شعور المتلقي ووجدانه صورة حية ليوم الجزاء والفصل، ويجعل من الساعة أداة يقظة دائمة في حياته، ولا يقتصر هدفه على الترهيب والتخويف

فحسب، بل يمتد إلى إشعار الإنسان بمنزلته وكرامته فتدعوه إلى السمو، بل وتبني في أحاسيسه ولطائفه معاني الاستعداد المستمر لهذا اللقاء.

وحتى تتضح الرؤية لدينا أكثر نسترسل الحديث عما ذكرناه آنفا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأبعاد المقاصدية والوظيفية لحظور الساعة في رسائل النور

إن حظور الساعة في رسائل النور لها أبعاد مقاصدية ووظيفية تهدف إلى خدمة مصالح الإنسان ضمن الإطار العام للوجود، وهذه الأبعاد هي على النحو الآتي:

أولاً: وظيفة الإيقاظ والبعث الروحي

تشير رسائل النور إلى أن إيقاظ النفس من غفلتها، وإبعادها عن التعلق بالدنيا يكون عن طريق تذكيرها بقصر العمر، وغروب شمس الروح، ورحيله إلى الآخرة، فالساعة تمثل بداية حياة جديدة بل هي يقضة الوجود من نوم أشبه ما يكون بالزيف، وهي بمثابة منبّه روحي دائم يبعث على أن يعيد الإنسان نظره إلى أعماله وعلى إثرها يقوم بترتيب أولوياته.

يقول النورسي:" من المعلوم أن العمر قصير جداً، والوظائف المطلوبة كثيرة جداً، فالواجبات أكثر من الأوقات، فإذا تحريت ما في دماغك من معلومات، مثلما فعلته أنا، ستجد بينها ما لا فائدة له ولا أهمية من معلومات تافهة شبيهة بركام الحطب"[7].

ثانياً: مقصد التثبيت الإيماني

تحاول رسائل النور الربط بين الإيمان بالساعة وبين العدل الإلهي، فهي تروم تثبيت عقيدة المؤمن بمسألة أن الكون لا يدار عبثاً، بل هو متوجه نحو عدالة شاملة تُردُّ فيها جميع الحقوق إلى أصحابها، فالقيامة ضرورة عقلية وروحية وأخلاقية، وهذا في حد ذاته رد على منكري المعاد والحساب.

فالنورسي يحشد لإثبات حتمية الحشر وقيام الساعة الكثير من الأدلة ومن ضمنها دليل العدالة[8] ويثير الكثير من التساؤلات التي مفادها أنه لا بد لمحكمة كبرى يثاب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته وعصيانه، فيقول: " فتعال أبين لك دلائل لا تعد ولا تحصى مجملةً في اثنتي عشرة صورة تؤكد لك أن هناك محكمة كبرى

حقاً، وداراً للثواب والاحسان، واخرى للعقاب والسجن، وأنه كما تفرغ هذه المملكة من أهلها يوماً بعد يوم، فسيأتي يوم تفرغ فيه منهم نهائياً وتباد كليّاً...، أمن الممكن لسلطنةٍ - ولاسيما كهذه السلطنة العظمى - أن لا يكون فيها ثوابٌ للمطيعين ولا عقاب للعاصين؟ ولما كان العقاب والثواب في حكم المعدوم في هذه الدار، فلابد إذن من محكمةٍ كبرى في دارٍ أخرى "[9].

ويقول في موضع آخر: " مع أن هذه الدار الفانية أقل وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهراً لحقيقة تلك العدالة؛ فلابد حينئذ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل من جنة باقية وجهنم دائمة"[10].

ثالثاً: علاج القلق الوجودي

تسعى رسائل النور إلى ترسيخ الإيمان باليوم الآخر لكونه يساهم في علاج القلق والخوف الوجودي من الفناء والعدم الذي ينشأ عند الإنسان، ويمنحه أفقاً واسعاً مليئاً بالأمل بلقاء الله تعالى والخلود[11].

يقول النورسي في هذا الصدد: "بشراكم، الموت ليس اعداماً، ولا عبثاً ولا سدى ولا انقراضاً، ولا انطفاءً، ولا فراقاً ابدياً، كلا فالموت ليس عدماً، ولا مصادفة، ولا انعداماً ذاتيا بلا فاعل، بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم، وتبديل مكان، وتغيير مقام، وسَوق نحو السعادة الخالدة، حيث الوطن الأصلي، أي هو باب وصال لعالم البرزخ، عالم يجمع تسعةً وتسعين بالمائة من الاحباب"[12].

وفي السياق نفسه تلفت رسائل النور أنظارنا إلى حجم الحزن والقلق الذي يعتري أهل الغفلة والضلالة لتصورهم أن الموت عدماً وفراقاً أبدياً[13].

ومن زاوية أخرى تسترسل رسائل النور في تقرير مسألة البعث والنشور لتعزز من قيمة الإنسان وتطلعاته إلى الظفر بالسعادة كما لو كان في الدنيا لتعلمه بأن المصنوعات الفانية التي يعشقها في الدنيا ليست للفناء ولم تخلق لتشاهَد حيناً ثم تذهب هباءً، وإنما اجتمعت هنا، وأخذت مكانها المطلوب لفترة قصيرة كي تُلتقط صورها، وتُفهم معانيها، وتُدوّن نتائجها، ولتُنسج لأهل الخلود مناظر أبدية دائمة ولتكون مداراً لغايات اخرى في عالم البقاء[14].

فالذي يقلق الإنسان دوماً وينغّص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبته وأقاربه، فتوهم الإنسان المسكين - الذي يضحي

بروحه لأجل صديق عزيز - وتصوّره من أن آلافاً، بل ملايين الملايين من إخوانه البشر ينتهون إلى العدم بالموت - ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء وراءه - سيذيقه هذا التصور ألما شديدا ينبئ بآلام جهنم، وحينما يتلوى هذا الإنسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير، يأتي "الإيمان بالآخرة" فاتحا بصيرته، مزيلا الغشاوة عن عينيه، قائلاً له: أنظر.. فينظر بنور الإيمان، فإذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم جميعا من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه اليهم[15].

المطلب الثاني: منطق التذكير بالآخرة بين التخويف والتربية

سلكت رسائل النور مسلكاً قرآنياً محايداً في عرضها لمسألة التذكير بالآخرة، حيث راعت أحاسيس ومشاعر ونفسيات جميع الطبقات من المخاطبين، مما جعله يلامس القلوب ويهذب السلوك، ويتجلى بين هذين البعدين رقة التذكير بالآخرة كقنطرة تربط بين الخوف بالتزكية، والرهبة بالتأسيس والبناء التربوي المتوازن، وفيما يأتي توضيح ذلك:

أولاً: التوازن بين الرهبة والرحمة

حديث الساعة في رسائل النور يجمع بين رهبة المصير ورحمة المآل، حيث يتجلى فيها الجلال والجمال، وهذه النظرة المتوازنة تضع الساعة في مسار تربوي لا في مسار مرعب.

فمثلاً حين تخاطب الشيوخ والأطفال والمبتلين بالأمراض نراها تهمس في آذنهم وتطمئنهم بأن الموت مقدمة الوصال واللقاء مع الأحباء الذين رحلوا إلى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء، ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء، ويزيل كذلك أعظم خوف للانسان بإثباته أن القبر باب مفتوح إلى عالم الرحمة الواسعة، وإلى دار السعادة الأبدية، وإلى رياض الجنان، وإلى بلاد النور للرحمن الرحيم، مبيناً أن سياحة البرزخ التي هي أشد ألماً وأشقى سياحة عند أهل الضلالة، هي أمتع سياحة وآنسها وأسرها إذ ليس القبر فم ثعبان مرعب، بل هو باب إلى روضة من رياض الجنة[16]، وأن الرحمن الرحيم سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[17].

بينما نرى حين تخاطب الشباب تنفخ في آذانهم مزامير الاستعداد، وتقرع في

أسماعهم طبول التخويف، قائلة لهم: "إعلموا أن ما تتمتعون به من ربيع العمر ونضارة الحياة ذاهب لا محالة، فإن لم تلزموا أنفسكم بالبقاء ضمن الحدود الشرعية، فسيضيع ذلك الشباب ويذهب هباءً منثوراً، ويجرّ عليكم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة بلايا ومصائب وآلاماً تفوق كثيراً ملذات الدنيا التي أذاقكم إياها، ولكن لو صرفتم ربيع عمركم في عفة النفس وفي صون الشرف وفي طاعة ربكم بتربيته على الإسلام، أداءاً لشكر الله تعالى على ما أنعم عليكم من نعمة الفتوة والشباب، فسيبقى ويدوم ذلك العهد معنىً، وسيكون لكم وسيلة للفوز بشباب دائم خالد في الجنة الخالدة"[18].

ثانياً: التذكير وسيلة لتقويم السلوك

تتجلى التربية الإيمانية في رسائل النور كصيرورة مستمرة وفعّالة من خلال استحضارها للقيامة والاستعداد للساعة، وهي في حد ذاتها وسيلة لتقويم السلوك اليومي، لتولد مراقبة ذاتية تجعل من الإنسان المؤمن حي الضمير في جميع مراحل عمره، وتذكره بأنه " لم يترك حبله على غاربه، ولم يترك طليقاً ليرتع أينما يريد، بل تُسجّل جميع أعماله وتُلتقط صورها، وتدوّن جميع أفعاله ليحاسب عليها"[19].

تحاول رسائل النور احتواء مخاطبيها من خلال استثمار مجموعة من الأساليب والطرق لإيقاظ أهل الغفلة منها المحاكمات العقلية عن طريق احتواء العقل للتصديق من خلال توجيه أسئلة لا تدع مجالا للتهرب من الإجابة عنها، ومن ذلك ما جاء فيها وهو:" أمن الممكن لحفيظ ورقيب يحفظ بانتظام وميزان ما في السماء والأرض، وما في البر والبحر، من رطب ويابس فلا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، أن لا يحافظ ولا يراقب اعمال الإنسان الذي يملك فطرة سامية، ويشغل رتبة الخلافة في الأرض، ويحمل مهمة الامانة الكبرى؟. فهل يمكن أن لا يحافظ على أفعاله التي تمس الربوبية؟ ولا يفرزها بالمحاسبة؟ ولا يزنها بميزان العدالة؟ ولا يجازي فاعلها بما يليق به من ثواب وعقاب؟"[20].

ومن زاوية أخرى تلزم رسائل النور مخاطبيها بالتصديق بالساعة عن طريق ما أغدقه المولى الكريم على الإنسان من نعم كثيرة ابتداء من نعمة اصطفائه على سائر المخلوقات ومروراً بتوكيله مهمة خلافة الكون وسيادته، وانتهاء بنعمة تسخير الموجودات في خدمته[21]، يقول النورسي: " ففي معرض ردّ القرآن على الإنسان العاصي الذي يتحدى الخالق بقوله:{ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} سورة يس 78، يقول: { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي

أَنْشَأَهَا أولَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} سورة يس79، ويقول أيضا:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا } سورة يس 80، قادر على أن يحيى العظام وهي رميم. فهذا الكلام يتوجه إلى دعوى الاحياء من عدة جهات ويثبتها، إذ إنه يبدأ من سلسلة الاحسأنات التي احسن الله بها إلى الإنسان فيذكّره بها ويثير شعوره، إلاّ أنه يختصر الكلام لأنه فصّله في آيات اخرى، ويوجزه محيلاً اياه على العقل. أي: أن الذي منحكم من الشجر الثمرَ والنار، ومن الأعشاب الرزقَ والحبوب ، ومن التراب الحبوبَ والنباتات، قد جعل لكم الأرض مهداً، فيها جميع أرزاقكم، والعالم قصراً فيه جميع لوازم حياتكم، فهل يمكن أن يترككم سدىً فتفروا منه، وتختفوا عنه في العدم؟ فلا يمكن أن تكونوا سدىً فتدخلوا القبر وتناموا براحة دون سؤال عما كسبتم ودون احيائكم؟"[22].

ومن جانب آخر فإن رسائل النور تؤكد حتمية المسألة كما جاء فيها في معرض تفسير قوله تعالى:{ أيحسَبُ الإنسان أنْ يُترَكَ سُدىً} سورة القيامة، الآية36: " بلى إنه لمبعوثٌ إلى الأبد، ومرشّحٌ للسعادة الأبدية أو الشقاء الدائم، فيحاسَبُ على السَبَد واللَّبَد، فأما الثواب، وأما العقاب"[23].

ثالثاً: الرسائل كخطاب تربوي وجداني

تميزت رسائل النور في عرضها لموضوع الساعة تميزاً فريداً وذلك على شكل نداءات وجدانية استخدمت فيها لغة العزاء بموت الأقارب لغرس الاستعداد الإيجابي للموت عند عموم الأفراد ولا سيما الشيوخ، فهي تخاطب قائلة:" ايها الشيوخ وايتها العجائز الموقرون، ويامن تشعرون كلكم بالشيخوية مثلي!. إننا راحلون ولامناص من ذلك، ولن يُسمح لنا بالمكوث هنا بمخادعة النفس واغماض العين، فنحن مساقون إلى المصير المحتوم. ولكن عالم البرزخ، ليس هو كما يتراءى لنا بظلمات الأوهام الناشئة من الغفلة، وبما قد يصوره اهل الضلالة، فليس هو بعالم الفراق، ولا بعالم مظلم بل هو مجمع الأحباب، وعالم اللقاء مع الاحبة والاخلاّء، وفي طليعتهم حبيب رب العالمين وشفيعنا عنده يوم القيامة عليه أفضل الصلاة والسلام "[24].

إن الحنين إلى الأحبة يولد في الإنسان شعوراً مرهفاً للقاء، وشوقاً عارماً تجعله ينظر إلى الموت وكأنه محطة أنس وارتياح، فقد روى عبد الرحمن بن عوف قال:{ سمعت عمار بن ياسر بصفين في اليوم الذي أصيب فيه وهو ينادي: إني لقيت الجبار وتزوجت الحور العين، اليوم نلقى الأحبة محمدا وحزبه}[25].

يقول النورسي: "إعلم! أيها السعيد الشقي! أن القبر باب باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.. وأودّاؤك ومَن تحبه أكثرهم - حتى كلهم - ساكنون خلف هذا الباب. ألَمْ يأنِ لك أن تشتاق اليهم وإلى عالمَهم.. فَتنظَّفْ، والاّ استقذروك"[26].

وتلفت رسائل النور أنظار قارئيها إلى نوع من الخطاب التشميلي فيها تصوير لحالة الإنسان وقت غفلته فتجعل من بعض العوارض والبلايا التي تصيبه وسيلة للتذكير، فتقول:" في حين أن المرض سرعان ما يوقظه مفتحاً عينيه، قائلاً له: أنت لست خالداً ولست سائباً، بل أنت مسخّر لوظيفة، دع عنك الغرور، اذكر خالقك.. واعلم بأنك ماض إلى القبر، وهيىء نفسك وجهّزها هكذا"[27].

المطلب الثالث: البناء البلاغي لنصوص النورسي حول الساعة

لو أنعمنا النظر في خطابات رسائل النور لوجدناها تعالج موضوع الساعة معالجة تركيبية جامعة بين العمق العقدي والتجلي البلاغي، وهي بذلك قد تجاوزت حدود الزخرفة اللفظية إلى تشييد بناء مقاصدي متماسك، حيث قامت بتوظيف الصور الفنية والتراكيب المتنوعة، والأساليب الإقناعية التي تزاوج بين العقل والوجدان، لدرجة أن نصوص رسائل النور في الساعة باتت نماذج بلاغية ذات طابع إيماني إصلاحي يظهر تأثيرها بشكل سريع على قارئيها.

فالتركيب البلاغي المسبك في نصوص رسائل النور لا تنفصل عن الرؤية الكونية لمؤلفها- رحمه الله-، حيث تتوالف عناصر البيان والتصوير الفني مع مقاصد الهداية واليقظة القلبية، لتكون نتيجة هذا التناغم حصول خطاب ذات طابع حجاجي يمزج بين التمثيل والتأمل وبين التخييل والتقرير.

فعلى المستوى الإجرائي تكشف الدراسة التركيبة البلاغية لنصوص رسائل النور حول الساعة والآخرة عن عمق تفاعلها مع القرآن الكريم، وقدرتها على صياغة خطاب توعوي إصلاحي يوقظ العقول ويستنهض النفوس بالاستناد على الإرث البياني الزاخر والمقاصد الدعوية الجلية والواضحة فيها، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نوضح ذلك فيما يأتي:

أولاً: الصورة الفنية والرمزية

الصورة الرمزية المكثفة للساعة والآخرة تظهر بجلاء في خطابات رسائل النور، والغاية من ذلك كما أشرنا سلفا شد انتباه القارئ لأن يسترسل في القراءة دون ملل،

ولكي تتوضح الرؤية عنده ويحصل بعدها القناعة التامة بها، فعلا سبيل المثال:

1- يصور الدنيا بأنها سجن ضيق بالنسبة لسعة الآخرة، وأنها كمحطة مؤقتة لا كموطن دائم[28]، وأن الدنيا فندق، وأن الموت جلاد[29].

2- القبر كبوابة لا كخاتمة، وأنه باب رحمة وليس باب اعدام، وباب النور، وباب الحق[30]، الحبس الإنفرادي الأبدي في القبر[31]، مشنقة القبر[32]، وأن القبر ليس فوهة بئر عميق بل باب لعوالم نورانية [33]، القبر هو فم أو فم ثعبان، أو فم تنين، وفراش الوحشة[34].

3- عالم البرزخ وعالم الارواح[35]، والدار الآخرة بأنها دار القدرة[36]، محطة الاعدام[37]

القيامة بأنها محكمة كبرى[38] ، وأنها أجل الدنيا وسكراتها [39]، وأجل الكائنات[40]، ودمار الدنيا والحياة الآخرة[41] ، وبأنها الربيع والحشر الأعظم[42]، وبأنها كصباح بعد ليل طويل[43].

والجدير بالذكر أن هذه الرموز تخدم فكرة التخفيف عن النفس، مع الاحتفاظ بعنصر الجد والصرامة في إيصال الرسالة. يقول النورسي في تفسيره لكلمة يميت: " وهكذا فهذه الكلمة تصرخ في اذن الانس والجن الفانين وتقول:

بشراكم.. الموت ليس إعداماً، ولا عبثاً ولا سدى ولا انقراضاً، ولا انطفاءً، ولا فراقاً ابدياً .. كلا فالموت ليس عدماً، ولا مصادفة، ولا انعداماً ذاتيا بلا فاعل.. بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم، وتبديل مكان، وتغيير مقام، وسَوق نحو السعادة الخالدة، حيث الوطن الأصلي، أي هو باب وصال لعالم البرزخ، عالم يجمع تسعةً وتسعين بالمائة من الاحباب "[44].

وفي موقع آخر يصور لنا النورسي حاله فيقول:" رأيت ان القبر واقف لي بالمرصاد على قارعة الطريق ،فاغراً فاه، يحدق بي، وخلفه الصراط الممتد إلى حيث الأبد، وتتراءى القوافل البشرية السائرة على ذلك الصراط من بعيد "[45].

ثانياً: الأسلوب التكراري الموسيقي المزامير

يتكرر في خطابات رسائل النور إيقاع وجداني ثابت يشبه الترتيل الداخلي، مما يجعل نصوصها أشبه بـ مزامير روحية تتردد في القلب ليصل صدها إلى العقل والوجدان فتكون صعقة ارتدادية تدعو إلى التأمل في المآل الذي ينتظره الإنسان، فالغاية من هذا التكرار غاية تربوية وليست جمالية، تغرس الرسالة في عمق الوجدان، ومن ذلك تكراره

عبارات[46] مثل:

1- عبارة أيها الإنسان: "أيها الإنسان! لا تتوهم انك ماضٍ إلى الفناء، والعدم، والعبث، والظلمات، والنسيان، والتفسخ، والتحطم، والانهشام، والغرق في الكثرة والانعدام، بل أنت ذاهب إلى البقاء لا إلى الفناء، وأنت مسوق إلى الوجود الدائم لا إلى العدم، وانت ماضٍ إلى عالم النور لا إلى الظلمات وانت سائر نحو مولاك ومالكك الحق"[47]. وفي موضع آخر: " فيا أيها الإنسان المسكين المخلوق لعالم الخلود والمبتلى بهذه الدنيا الفانية! أمعن النظر في الآية الكريمة وانصت اليها:{ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأرض وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} الدخان: 29 ، وانظر ماذا تفيد، إنها تعلن صراحة أن السموات والأرض التي لها علاقة بالإنسان لاتبكي على جنازة أهل الضلالة عند موتهم، أي إنها راضية لفراقهم مرتاحةٌ بموتهم "[48].

2- عبارة أيها المساكين : "ايها المساكين! لا تقولوا عندما تغادرون الدنيا إلى المقبرة: أواه.. واأسفاه.. واحسرتاه، لقد ذهبت اموالنا هباءً، وضاع سعينا هدراً، فدخلنا ضيق القبر بعد فسحة الدنيا!.. لا.. لا تصرخوا يائسين، لأن كل ما لديكم محفوظ عنده سبحانه، وكل ما قدمتموه من عمل وجهد قد سجل ودوّن عنده، فلا شئ يضيع ولا جهد ينسى، لأن ذا الجلال الذي بيده الخير كله سيثيبكم على اعمالكم، وسيدعوكم للمثول امامه بعد ان يضعكم في التراب"[49].

3- عبارة أيها الغافل :" فيا أيّها الغافل المتفرعن الزاعم أنّك مالكٌ نفسك وحياتك والمتوهم أن سعادتك في بقاء حياتك بالراحة! أخطأتَ وخَلَطتَ وغلطتَ وعصيتَ وَقِسْتَ الحيوان الممنون المأمور والمتمِثل المسرور على نفسك الناسية لمالكها، فتراءت لكَ وَلْوَلَةُ جلوات الرحمة العامة في الشؤون "واويلاه" نعيات المأتم العمومي، فلا تتألم لهم حتى يكون"التألم" شفقة ممدوحة، بل "تألم" لنفسك المفروضة في موقعهم، الفانية بطريق القياس فيهم"[50].

4- عبارة أيها البائسون: "ايها البائسون! هذه الدنيا إنما هي دار ضيافة، فما دام الموت موجوداً، وأن المصير إلى القبر حتماً، وأن هذه الحياة ماضية راحلة، وستأتي حياة باقية خالدة، فإن قيل: المدفع.. البندقية مرة واحدة فلابد من القول ألف مرة: "الله.. الله" "[51].

5- وهناك عبارات آخرى خاطب بها المؤلف نفسه واصفا أيها بصافات كثيرة تنبئ عن قصورها وفتورها وغفلتها وطيشها، مثل عبارة يا نفسي الطائشة[52]، و يا نفسي

الغافلة[53]، و يا نفسي الشقية[54]، ويا نفسي الشرهة[55] و يا نفسي الجزعة[56]، و يا نفسي المغرمة[57]وقصد المؤلف من ذلك هو أنه لما كانت النفوس ميالة للهوى والشهوات فإن الخطاب متوجه للجميع، فيقول مثلا: " أيها السعيد الشقي! إن القبر باب باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.. وأودّاؤك ومَن تحبه أكثرهم - حتى كلهم - ساكنون خلف هذا الباب. ألَمْ يأنِ لك أن تشتاق اليهم وإلى عالمَهم.. فَتنظَّفْ، والاّ استقذروك"[58].

فأسلوب التكرار هذا يعمق عند القارئ التأثير العاطفي كما أنه ينشئ حالة روحية تجعله مهيأ للتلقي.

ثالثاً: المقابلات البلاغية والطباق

التناظر البلاغي في خطابات رسائل النور تعزز عند القارئ البناء الحجاجي العاطفي لفكرته كما أنها تشحذ تفكيره وتوقظ وجدانه، ومن ذلك استخدامه أسلوب المقابلة بين الحياة والموت، والدنيا والآخرة، والغفلة واليقضة، والنسيان والذكر.

يقول النورسي: إن الكائنات كما تدل وتشهد بانواع وجودها وصنوف حياتها على حياة ذلك الحي الذي لا يموت وعلى وجوب وجود تلك الحياة تدل وتشهد بانواع موتها وصنوف زوالها على بقاء تلك الحياة وعلى سرمديتها؛ لأن الموجودات بعد زوالها تأتي عقبها أمثالُها فتنال الحياة مثلها وتحل محلها، مما يدل على ان حياً دائماً موجودٌ، وهو الذي يجدّد باستمرار تجلي الحياة؛ اذ كما أن الحباب التي تعلو سطح النهر وتقابل الشمس تتلمع ثم تذهب، والتي تعقبها تتلمع ايضاً مثلها، وهكذا، طائفة إثر طائفة، كلٌ منها تتلمع، ثم تنطفئ وتذهب إلى شأنها، فهذا التعاقب في الإلتماع والانطفاء يدل على شمس دائمة عالية، كذلك يشهد تبدل الحياة والموت ومناوبتهما في هذه الموجودات السيارة على بقاء حيّ باقٍ وعلى دوامه"[59].

واستخلاصاً لما سبق يتضح لنا أن خطابات رسائل النور استطاعت أن تبني بناء روحانيا متكاملا يعيد صناعة الإنسان في ضوء غايته الكبرى، إذ لم تكن هذه الخطابات مجرد سرد للمعلومات أو محاولة تقليدية للتخويف والترهيب.

إن حظور التحليل العقلي العميق في تلك الخطابات، وكذا التصوير الفني للأحداث، فضلاً عن وجود الإحساس الإيماني والوجداني استطاعت أن تستوعب القارئ بكله وليس بجزئه، فجعلته متوجها لتجسيد تلك الخطابات في جميع مجالات حياته، وهذه حقيقة التمسناها في مؤلفها النورسي– رحمه الله- وكذا في طلابه من خلال سلوكهم

وتصرفاتهم، وفي حركاتهم وسكناتهم.

المبحث الثالث: مزامير الاستعداد في خطابات رسائل النور

لخَّصت رسائل النور حديثها عن الساعة لتبيّن لنا بأنها ليست وحدها المنعطف الأكبر في حياة الفرد، بل أن الإستعداد لها هو الأهم والألزم، وأن استحظار الساعة ليست مسألة تؤخذ بالعقل فقط بل لا بد من تربية للوجدان ومراقبة نباضات الإيمان في القلب، ووفق هذه الرؤية ذات الأبعاد الثلاثية، نفخت رسائل النور في نصوصها مزامير الاستعداد بنبض موسيقي إيماني لتخاطب القلب والروح بعبارات مكثفة تلامس أعماق النفس وتحرك الضمير نحو التحليق في آفاق الغيب.

إن نصوص رسائل النور التي سنستشهد بها ووصفنا لها بكونها مزامير ونداءات ليست مجرد نصوص وخطب وعظية بل هي خطاب مع الفطرة تجمع بين العقيدة والذوق، وتزاوج بين الفكرة والصورة، وهي حديث مع الذات والأحاسيس والمشاعر لترتقي بها نحو الكمال والرقي.

وفيما يأتي بيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعبيرات الإيقاظ الروحي ورمزية المزامير

دلالة المزامير في سياق التعبير الفني تشير إلى النصوص ذات الطابع الإيقاعي الشعوري والوجداني العميقين، وهي سرعان ما تلامس القلوب لتنبض بالحياة من جديد، ورسائل النور وأن لم تستخدم لفظ المزامير صراحة ونصاً، إلا أن طريقة خطاباتها وبنائها لعبارات الاستعداد للساعة والآخرة تشابه هذا النمط وتماثله، فتكرار الألفاظ التي فيها مخاطبة للعموم أو الأفراد تؤكد معاني الرجاء والخشية، الأمر الذي يجعل النص عبارة عن ترتيل روحي داخلي وإنشاد وجداني عميق.

فأحيأنا يكون الخطاب أشبه ما يكون بالصفعة اللطيفة للغافل تدعوه للاستياقظ، عن طريق استحضاره صورة انقضاء العمر، ومفاجأة الموت، والرحيل إلى عالم آخر، يقول النورسي: "اعلم! أيها السعيد المسافر إلى الشيب، إلى القبر، إلى الحشر، إلى الأبد!. ان ما اعطاك مالكك من العمر لتحصيل لوازمات الحياتين بقدر الطول والقصر، قد ضيعتَه كله في هذه الحياة الفانية التي هي كقطرة سرابٍ بالنسبة إلى البحر، فان كان لك عقل فاصرف نصفه أو ثلثه لا أقل عُشره للباقية، ومن العجائب أن يقال لمثلك من أحمق الناس هو: عاقل ذو فنون"[60].

وهذا النوع من الخطاب كحركة نفسية يوقض النفس من عمقها وهي ليست خطاب للعقل المجرد، بل هو خطاب يقض المهاجع.

ويقول في موضع آخر: "حيث رأيت: أن الآمال المغروزة في الإنسان والممتدة إلى الأبد، وأن أفكاره وتصوراته المحيطة بالكون، وأن هممه واستعداداته ومواهبه التي تطلب البقاء الأبدي والسعادة الأبدية وهي التواقة إلى الجنة الخالدة، يكمن معه في هذا الإنسان أيضاً ـ فقر شديد وحاجة دفينة، رغم توجهه إلى مقاصد لا تنتهي، ومطالب لا منتهى لها، مع ضعف ملازم رغم انه معرّض لهجمات مصائب واعداء كثيرة، زد على ذلك؛ ليس له إلاّ عمر قصير جداً، وحياة تعيسة، وعيش مضطرب، يذوق مرارة الزوال والفراق اللذين يوجعان قلبه ألماً شديداً دائماً، حيث ينظر بنظر الغفلة إلى القبر الماثل أمامه أنه ظلمات سرمدية، يُرمى بهم في تلك الحفرة المظلمة أفراداً وجماعات "[61].

فالذي يميز هذا النوع من النداء أنها لا تخاطب الجسد والظاهر بل تقصد وجهتها إلى أعماق النفس، وهي أزيز روحي وتنهيدات تدعو الرجوع إلى الله تعالى، وتحثه على تشمير ساعد الجد للتزود بزاد التقوى، وإزالة أثقال الدنيا وهمومها.

المطلب الثاني: وظيفة اللغة الشعورية في بث الخشية والأمل

أولاً: امتزاج النغمات في الخطاب

هناك نغمتان ممتزجتان في خطابات رسائل النور، وهما: نغمة الخشية والخوف من الرحيل عن هذه الدنيا والمصير المرتقب، ونغمة الأمل في اللقاء بالأحباب والنجاة من الشقاء والأعباء، وهذا النوع من الخطاب غالب في رسائل النور وهي تدفع لحصول الطمأنية والراحة ولكن في نفس الوقت أنها مشوبة بالحذر، وهي في طابعها ملهمة للسكون أحيأنا وللقلق في أحايين أخرى.

يقول النورسي: " فوجدت بنور القرآن الكريم، أن الوجه الحقيقي للموت بالنسبة للمؤمن صبوح منور، على الرغم من أن حجابه مظلم والستر الذي يخفيه يكتنفه السواد القبيح المرعب. وقد أثبتنا وأوضحنا هذه الحقيقة بصورة قاطعة في كثير من الرسائل وبخاصة في الكلمة الثامنة والمكتوب العشرين من أن الموت ليس إعداماً نهائياً، ولا فراقاً أبدياً، وإنما مقدمة وتمهيد للحياة الأبدية وبداية لها، وهو إنهاء لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ورخصة منها وراحة وإعفاء، وهو تبديل مكان بمكان، وهو وصال ولقاء مع قافلة الأحباب الذين ارتحلوا إلى عالم البرزخ.. وهكذا، بمثل هذه الحقائق شاهدت

وجه الموت المليح الصبوح"[62].

ثانياً: البنية الحوارية لنصوص الساعة في رسائل النور

سلكت رسائل النور منهجا فريدا للتذكير بالساعة لتجعل من القارئ شريكاً في الموضوع لا متلقياً فحسب، بل تدفعه إلى التأمل في أحاسيسه الداخلية، وذلك عن طريق استخدام اسلوب المناجاة مما يضفي عليها طابعا حوارياً مع الذات ويمنحها سمة الحديث مع أعماق النفس، وللأسلوب هذا فعالية عظيمة في عملية الترميم الداخلي وسمة تربوية ناجحة.

يقول النورسي- رحمه الله-:" يا أحبائي المستمعين لهذه المذكِّرات، إعلموا! أني قد أكتب تضرّع قلبي إلى ربّي مع أن من شأنه أن يُستَر ولا يُسطَر، رجاءً من رحمته تعالى أن يقبل نُطق كتابي، بدلاً عني إذ أسكت الموت لساني.. نعم، لا تسع توبة لساني في عمري القصير كفارة لذنوبي الكثيرة. فنطقُ الكتاب الثابت الدائم أوفى لها. فقبل ثلاث عشرة سنة وأثناء اضطراب روحي عارمٍ وفي غمرة تحول ضحكات سعيد القديم إلى بكاء سعيد الجديد أفقت من ليل الشباب على صبح المشيب فسطرت هذه المناجاة باللغة العربية، أوردها هي: ياربي الرحيم ويالإلهي الكريم! قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراتها في يدي إلاّ آثام مؤلمة مُذلّة، وآلام مضرّة مُضلّة، ووساوسُ مزعجة معجزة، وأنا بهذا الحمل الثقيل، والقلب العليل، والوجه الخجيل متقربٌ - بالمشاهدة - بكمال السرعة، بلا انحراف وبلا اختيار كآبائي وأحبابي وأقاربي وأقراني إلى باب القبر، بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد، للفراق الأبدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفلة الراحلة بالمشاهدة، ولا سيما الغدارة المكارة لمثلي ذي النفس الامارة. فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم! أراني عن قريب لبستُ كفني وركبت تابوتي، وودعت أحبابي، وتوجهت إلى باب قبري، فأنادي في باب رحمتك: الأمان الأمان ياحنان يامنّان، نجني من خجالة العصيان.آهٍ.. كفني على عنقي، وأنا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي إلى باب رحمتك أنادي: الأمان الأمان يارحمن ياحنّان، خلصني من ثقل حمل العصيان.آهٍ..أنا ملتف بكفني وساكن في قبري وتركني المشيعون، وأنا منتظر لعفوك ورحمتك.. ومشاهدٌ بأن لا ملجأ ولا منجأ الاّ اليك، وأنادي: الأمان الأمانَ من ضيق المكان، ومن وحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام. يارحمن ياحنان.. يا منّان.. ويا ديان نجني من رفاقة الذنوب والعصيان.. إلهي! رحمتك ملجئي ووسيلتي، واليك ارفع بثي وحزني وشكايتي "[63].

وتعزيزاً لما سبق فإن النورسي يوضح لنا غربته مناجياً ربه:"ومن خلال هذه الغربة ألقت عليّ او ضاع الليل البهيم والجبال الشاخصة أمامي، غربة فيها من الحزن المشوب بالعطف ما أشعرني أن ميدان غربة أخرى انفتحت أمام روحي المشرفة على الرحيل عن هذا المضيف الفاني متوجهة نحو أبد الأباد، فضمتني غربة غير معتادة، وأخذني التفكير، فقلت فجأة: سبحان الله! وفكرت كيف يمكن أن تقاوم كل هذه الظلمات المتراكبة وأنواع الغربة المتداخلة!.

فاستغاث قلبي قائلاً: يا رب! أنا غريب وحيد، ضعيف غير قادر، عليل عاجز، شيخ لا خيار لي، فأقول: الغوث الغوث. أجو العفو، واستمد القوة من بابك يا إلهي "[64] . ولا مناص من القول بأن أسلوب المناجاة هذا يجعل القارئ يتعايش حقيقة معى أحاسيس المناجي ويتفاعل معها بكيانه الذاتي والمعنوي، وينطلق في ميدان الآخرة مستشعراً تلك الكلمات بعلم اليقين وحقه.

ثالثاً: التصوير الفني للساعة والاستعداد لها

لتجسيد المعاني المجردة فإن رسائل النور سعت لتوظيف الصورة الفنية كأداة وجدانية وعقلية، لتتحول على إثرها الآخرة إلى مشهد، والاستعداد لها إلى حركة وسعي، كقولها: "أن الدنيا مزرعة ومعمل ينتج المحاصيل التي تناسب سوق الآخرة، إذ كما أن أعمال الجن والإنس ترسل إلى سوق الآخرة، كذلك تؤدي بقية الموجودات في الدنيا أعمالاً كثيرة أيضاً في سبيل الآخرة وتنشئ محاصيل وفيرة لها، بل تجري كرة الأرض لاجل تلك الأعمال، بل يصح القول: إن هذه السفينة الربانية تقطع مسافة أربعة وعشرين ألف سنة في سنة واحدة، لتدور حول ميدان الحشر"[65].

وفي مواضع آخرى: " فالدنيا إذن مزرعة بلا شك، والمحشر بيدر، والجنة والنار مخزنان"[66]. و " واعلم أنها مزرعة للآخرة، فازرع واجنِ ثمراتها واحتفظ بها، واهمل قذاراتها الفانية "[67].

وفي موضع آخر تصور لنا الآخرة بأنها محكمة لإحقاق الحق ورد المظالم " فيا صديقي! إن هذه المملكة المؤقتة ما هي إلاّ بمثابة مزرعة، وميدان تعليم، وسُوق تجاري، فلابد ان تأتي بعدها محكمة كبرى وسعادة عظمى"[68].

ومن عجيب التصوير في رسائل النور ما جاء فيها:" أن المرشح للأبد عظيم، لن يُترك سدى، ولايكون عبثاً، ولايحكم عليه بالفناء المطلق، ولايهرب إلى العدم الصرف، بل

جهنم فاغرة فاها، والجنة قد فتحت ذراعيها اللطيفتين لاحتضانه"[69]، ففيه تشبيه مهول فيه من الشدة والوعيد عبرت عنها بجهنم وهي فاغرة فاها تتبرص بأهل الضلال، ومن جانب آخر فيه الرحمة والشفقة ظاهرة لأهل الإيمان عندما يكونون في أحضان الجنة كناية على دخولهم في رحمة الله تعالى.

ويذكر لنا النورسي حالة عجيبة مرت به أثناء تأمله لدرجة أنه قال: أنه شاهد تلك المشاهد بيقين قاطع، وهي تعبر عن مايؤول له الإنسان: " كنت في أحد ايام عيد الجمهورية جالساً أمام شباك سجن "اسكي شهر" الذي يطل على مدرسة إعدادية للبنات، وكانت طالباتها اليافعات يلعبن ويرقصن في ساحة المدرسة وفنائها ببهجة وسرور، فتراءت لي فجأة على شاشة معنوية ما يؤول إليه حالهن بعد خمسين سنة: فرأيت: أن نحواً من خمسين من مجموع ما يقارب الستين طالبة يتحولن إلى تراب ويعذبن في القبر، وأن عشرة منهن قد تحولن إلى عجائز دميمات بلغن السبعين والثمانين من العمر، شاهت وجوههن وتشوه حسنهن، يقاسين الآلام من نظرات التقزز والاستهجان من الذين كنّ يتوقعن منهم الاعجاب والحب، حيث لم يصنّ عفتهن أيام شبابهن!.. نعم رأيت هذا بيقين قاطع، فبكيت على حالهن المؤلمة بكاء ساخناً أثار انتباه البعض من زملاء السجن"[70].

رابعاً: الاستعارة الرمزية لموضوع الساعة والاستعداد لها

استخدمت رسائل النور في خطاباتها عن الساعة استعارات رمزية كثير وذلك على سبيل تقريب الأحداث إلى الأفهام حيث تضع الإنسان في مواجهة لذاته، مثل: باب الآخرة[71]، وطريق الآخرة[72]، وميزان الحشر[73]، وصرخات العقل، وفيه يقول النورسي:"أمام هذه الكائنات المضطربة المنسابة إلى الزوال، يصرخ العقل المفتون بالمظاهر يائساً من الاعماق، كلما رأى زوال معشوقاته، وتئن الروح الساعية إلى محبوب خالد أنينك { لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ سورة الأنعام76،.. لا.. لا أريد الفراق.. لا.. لا أطيق الفراق،... هذه اللقاءات المكدرة بالزوال غير جديرة باللهفة، بل لا يستحق شوقاً وصال يعقبه فراق؛ لان زوال اللذة مثلما هو ألم فان تصور زوال اللذة كذلك ألم مثله، فدواوين جميع شعراء الغزل والنسيب - وهم عشاق مجازيون - وجميع قصائدهم إنما هي صراخات تنطلق من آلام تنجم من تصور الزوال هذا، حتى اذا ما استعصرتَ روح ديوان أيٍ منهم فلا تراها إلاّ وتقطر صراخاً أليماً ناشئاً من تصور الزوال"[74].

فالنورسي يحاول أن يعرِّف بالآخرة تعريفاً شاملاً وملائماً لجميع أدوار الإنسان، فيقول:" إن ذلك السفر هو السفرُ الذي يمرُّ من عالَم الأرواح، ومن أطوار عالم الرَّحم، ومن الشباب، ومن الشيخوخة، ومن القبر، ومن البرزخ، إلى الحشر وإلى الصراط وإلى أبد الآباد"[75].

المبحث الرابع: حفيف الأرواح نحو الآخرة وأثر خطاب رسائل النور في النفس المؤمنة

إن آثار الخطاب في رسائل النور لا تقف عند حدود البلاغة والبيان أو التعليم، بل تتخطى حدود ذلك إلى مس المشاعر والقلوب والوجدان، وعلى إثرها تخمد نزوات النفس الأمارة، فتلين الطباع وتتحفز الأرواح للسمو نحو الثريا، وتشعر بالقرب من الله تعالى متذوقة حلاوة الإيمان الذي يغمر صاحبه بالسعادة، وتحرره من أسر الغفلة، فهذا النوع من الخطاب يساعد في تكوين الوعي بالآخرة عند المؤمن، كما تساهم في توجيه سلوكه وتصرفاته نحو التزكية والتجرد.

وفيما يأتي بيان ذلك في أربعة مطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول: الإيقاظ من الغفلة

خطابات رسائل النور بمثابة أجراس للصحوة الإيمانية عند الإنسان، إذ تقوم بتنبيهه من الغفلة التي هو سادر فيها، فالغافل هو من يعيش في وهم البقاء الزائف، والسرمدية الخادعة، وقد أحاطت به دائرة اللذات ودوامة الشهوات لدرجة أنه قد غابت عنه الحقيقة الكبرى، ومن هنا تأتي رسائل النور مسعفة له لتحدث فيه انقلاباً سلوكياً عظيماً من خلال إعادة النظر في المسار والسلوك.

وعبارات الرسائل في ذلك كثيرة، فهو يذكر الغافلين بالموت، مخاطباً إياهم نسيان أنفسهم ولقاء الآخرة، فهو يقرر أن قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} سورة الحشر،الآية19، قد أفادت " أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشئ، إذ مقتضى النفس الأمارة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف، فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات

والموت"[76].

وأحيأنا تأتي عبارات رسائل النور شديدة وقاسية لتصفع أهل الضلال والغافلين وتوقظهم من سباتهم، فتقول:"مادمتَ ترمي بنفسك في أحضان الضلالة والسفاهة حصولاً على لذة جزئية وذوق ضئيل متناسياً الموت غير آبه به، إذاً فاعلم: أن "الماضي" كله - حسب ضلالتك - قد مات واندثر وانتهى إلى العدم، فهو مقبرة عظيمة موحشة مرعبة، قد رمّت فيها الجثث وبليت فيها الآثار، لذا إن كانت لك مسكة من عقل أو كنت تملك قلباً ينبض بالحياة فإن الآلام المتولدة - بمقتضى ضلالتك - من الموت الأبدي، ومن أنواع الفراق غير المحدود لأقاربك وأحبابك غير المعدودين تزيل تلك اللذة الجزئية المسكرة التي تتذوقها في فترة قصيرة جدا. وكما أن الماضي معدوم بالنسبة لك، فالمستقبل معدوم لك كذلك، وذلك بسبب انعدام إيمانك، بل هو ساحة موحشة رهيبة مظلمة ميتة، فما من أحد من الموجودات المسكينة يأتي ويبرز إلى الوجود - ماراً بالحاضر- إلاّ ويقبضه جلاد الموت ويقذفه إلى العدم، وأنت لكونك مرتبطاً بتلك العوالم - بحكم عقلك - فإن المستقبل يصب على رأسك الملحد مطر السوء من الآلام الموجعة والقلق الشديد والاضطرابات العنيفة، حتى يجعل جميع لذائذك الجزئية السفيهة أثراً بعد عين "[77].

فرسائل النور تحاول إعادة البوصلة الوجودية للإنسان، وتوقظ ضميره المعطل والغائب، ليستعيد لبَّه ويفعِّل جميع طاقاته واستعداداته لتزكية نفسه وتخليصها من شوائب الغفلة، فيكون استعداده للساعة شهودياً في كل حين وآن.

المطلب الثاني: التربية على الزهد

تنظر رسائل النور إلى الدنيا نظرة أيجابية من حيث كونها مرآة لتجليات الأسماء الألهية الحسنى، إذ هي وسيلة لمعرفة الله تعالى من خلال ما فيها من كائنات ومخلوقات، واستناداً على ماسبق فإن رسائل النور ترغب في الدنيا من باب شكر الخالق على إسباغه ما فيها من النعم علينا، أما إذا كانت الدنيا قنطرة إلى الغفلة والضلال، ونافذة إلى المعاصي والطغيان، فإن تركها في صورتها هذه واجب محتم.

فلابد أن يكون نظرنا إلى دنيا نظرة أمانة لا ملكية، وأنها قنطرة إلى عالم الآخرة لا مستقر أبدي، ومن هذا المنطلق والمفهوم يترسخ في النفس فكرة القيام بأعباء المسؤولية الأخروية.

يقول النورسي:" الدنيا لها ثلاثة وجوه: الوجه الأول: ينظر إلى أسماء الله الحسنى ويبين آثار تلك الأسماء ونقوشها، وتؤدي الدنيا - بهذا الوجه - وظيفة مرآة لتلك الاسماء بالمعنى الحرفي، فهذا الوجه مكاتيب صمدانية لاتحد. لذا يستحق العشق لا النفور، لأنه في غاية الجمال.

الوجه الثاني: وجه ينظر إلى الآخرة، فهو مزرعة الآخرة، مزرعة الجنة، موضع أزهار أزاهير الرحمة الإلهية. وهذا الوجه جميل كالوجه الاول يستحق المحبة لا التحقير.

الوجه الثالث: وجه ينظر إلى أهواء الإنسان، ويكون ستار الغافلين، وموضع لعب أهل الدنيا واهوائهم، هذا الوجه قبيح دميم، لأنه فانٍ، زائلٍ، مؤلم، خداع.

فالتحقير الوارد في الحديث الشريف، والنفور الذي لدى أهل الحقيقة هو من هذا الوجه"[78].

المطلب الثالث: تعميق الشعور بالحساب والاسراع بالتوبة

تحاول رسائل النور تعميق الشعور بالحساب والاستعداد لها، وهذا واضح من خلال كثرت التكرارات الواردة بهذا الصدد في نصوصها، وهي في حقيقتها مدعاة لأن يربي الإنسان نفسه على اليقظة المستمرة كي لا تأتي ساعته ومنيَّته بغتة وهو في حالة من الغفلة والنسيان، فتقول:" إن كنت تريد واعظاً، فكفى بالموت واعظاً. حقاً من يذكر الموت ينجو من حب الدنيا ويسعى لآخرته سعياً حثيثاً "[79].

فأما ما يتعلق بالتوبة فإن رسائل النور لسلوكها منهجا قرآنياً، فإنها ترغب في التوبة كوسيلة للاستعداد، فتقول: "إن التفكير في جهنم والخوف منها لا يزيل لذائذ ثمرات الإيمان المذكورة ولا يفوّتها؛ لأن الرحمة الربانية الواسعة تهتف بذلك الخائف: تعالَ اليّ فدونك باب التوبة ادخل منه، فإن وجود جهنم ليس للتخويف، بل ليعّرفك لذائذ الجنة معرفة كاملة، وليذيقك إياها تذوقاً كاملاً، وليأخذ لك ولمخلوقات غير محدودة الثأر والانتقام ممن انتهك حقوق الجميع واعتدى عليها، وليفرحهم جميعاً بهذا ويدخل السرور اليهم"[80].

إن رسائل النور تعرض في سطورها آلام مؤلفها العميقة وتصورها لنا بصورة تمتزج بها القلوب والأفكار، وينتقل الخيال في ظلها إلى مشاهد يقينية تحصل في المستقبل، يقول النورسي:" عندما كنت انظر من نافذة السجن، إلى ضحكات البشرية المبكية، في مهرجان الليل البهيج، أنظر إليها من خلال عدسة التفكر في المستقبل والقلق عليه،

انكشف أمام نظر خيالي هذا الوضع، الذي أبينه: مثلما تشاهد في السينما أوضاع الحياة لمن هم الآن راقدون في القبر، فكأنني شاهدت أمامي الجنائز المتحركة لمن سيكونون في المستقبل القريب من أصحاب القبور، بكيت على أولئك الضاحكين الآن، فانتابني شعور بالوحشة والألم، راجعت عقلي، وسألت عن الحقيقة قائلاً: ما هذا الخيال؟ قالت الحقيقة: إن خمسة من كل خمسين من هؤلاء البائسين الضاحكين الآن والذين يمرحون في نشوة وبهجة سيكونون كهولاً بعد خمسين عاماً، وقد انحنت منهم الظهور وناهز العمر السبعين، والخمسة والأربعين الباقية يُرمّون في القبور، فتلك الوجوه الملاح، وتلك الضحكات البهيجة، تنقلب إلى أضدادها. وحسب قاعدة:كل آت قريب فإن مشاهدة ما سيأتي كأنه آتٍ الآن تنطوي على حقيقة، فما شاهدته اذاً ليس خيالاً"[81].

المطلب الرابع: الاستعداد بالمراقبة والمجاهدة

تركز رسائل النور على مفهومي المراقبة والمجاهدة كوسيلتين للاستعداد، فالمراقبة تعني: استشعار العبد في قلبه عظمة الله تعالى واطلاعه على كل ما يصدر عنه من أفعال، بمعنى أن العبد أن يكون حاضر القلب مستفيقا. أما المجاهدة فتعني: مخالفة النفس، ومقاومة الهوى والشهوات.

يقول النورسي: "فإذا أخطأ هذا الإنسان التقديرَ والاختيار، وصَرَف أجهزتَه المعنوية تحت ثرى الحياة الدنيا وفي عالم الأرض الضيق المحدود، إلى هوى النفس، فسوف يتعفّنُ ويتفسّخ كتلك البذرة المتعفنة، لأجل لذةٍ جزئيةٍ ضمن عمرٍ قصيرٍ وفي مكانٍ محصور وفي وضع متأزم مؤلم، وستتحمل روحُه المسكينة تبعات المسؤولية المعنوية فيرحلُ من الدنيا خائباً خاسراً.

أما اذا ربّى الإنسان بذرةَ استعداده وسقاها بماءِ الإسلام، وغذّاها بضياءِ الإيمان تحت تراب العبودية موجهاً أجهزتَها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلابد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصانٍ تمتدّ فروعُها وتتفتّح أزاهيرُها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعَماً وكمالاتٍ لا حد لها. فيصبح الإنسان بذرةً قيّمةً حاوية على أجهزة جامعة لحقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلةً نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرةً مباركة منورة لشجرة الكون"[82].

وتأسيساً على ما مضى فإن القصد من نصوص رسائل النور إعادة الروح إلى معناها الحقيقي، وإرجاع الحياة إلى غايتها حيث أضاءت في النفوس المؤمنة شموع الرجاء،

ومصابيح التفكر والتذكر، إذ لم يكن قصدها أن ترعب المؤمنين بل حاولت أن ينظروا إلى الساعة وكأنها رفيق سفر دائمي، وأن الأرواح في حفيف مستمر نحوها ما دام في الإنسان عقل يفكر، وقلب يذكر، وروح تشتاق إلى البقاء.

يقول النورسي ما نصه:" ومثلما قلت ذلك لاخواني الطلبة، أقول كذلك للمسجونين: إن من عرف الله وأطاعه سعيدٌ ولو كان في غياهب السجن، ومن غفل عنه ونسيه شقي ولو كان في قصور مشيدة. فلقد صرخ مظلوم ذات يوم بوجه الظالمين وهو يعتلي منصة الاعدام فرحاً جذلاً وقائلاً: إنني لا أنتهي إلى الفناء ولا أُعدم. بل أُسّرح من سجن الدنيا طليقاً إلى السعادة الأبدية، ولكني اراكم أنتم محكومين بالإعدام الأبدي لما ترون الموت فناء وعدماً، فأنا إذن قد ثأرت لنفسي منكم. فسلّم روحه وهو قرير العين يردد: لا إله إلاّ الله"[83].

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث لابد لنا من بيان أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا وهي كالآتي:

تجاوزت خطابات رسائل النور حدود الأخبار المستقبلية لتجعل من الساعة أداة يقظة دائمة في حياة الأفراد، لتعيد إليهم وعيهم الفطري، وتحفزهم إلى الاستعداد لها، فالخطاب فيها مزجت بين الشدة والرهبة، والقوة والشفقة.

الساعة في خطابات رسائل النور ليست عبارة عن حدث كوني عابر، بل هو أمر يقيني لا محالة في حدوثه، فهي تمثل مرحلة مهمة في حياة الإنسان؛ لأن الآخرة هي امتداد للحياة الدنيا بوجه من الوجوه ولكن بصورة عبرت عنها رسائل النور بأنها: دار القدرة.

استطاعت رسائل النور أن تخاطب قارئيها بأسلوب تجعلهم يمتزجون بالحقائق الموجودة في سطورها ليكونوا جزءً من المشكلة التي تحاول الرسائل معالجتها، وبالتالي يكون خضوعهم لها كبير يتعدى حدود القراءة والاستماع ليشمل جانبي التطبيق الذاتي، والتبني لأسعاف الآخرين.

تتعامل رسائل النور مع مسألة الساعة بوصفها ضرورة تربوية وذات وظيفة تقوم على أساس التنبيه والتذكير، إذ هي وسيلة لإيقاظ الضمير وتحفيز اللطائف والسلوك نحو الأعمال الصالحة.

إن تعامل رسائل النور مع مسألة الساعة كجزء من مسائل العقيدة الغاية منه ترسيخ

الإيمان بها يقينياً، لذا نرى أنها تتعامل معها بنوع من التفصيل العقلي والوجداني وليس بشكل مجمل عابر.

جعلت رسائل النور الساعة نقطة تحول كلي في سلوك الإنسان، إذ الساعة في نظرها مداعاة للاستعداد لها على قدم وساق، وجعلها أصولاً في محاسبة النفس وتزكيتها.

الموازنة بين التخويف والإشفاق عند الحديث عن الساعة من سمات رسائل النور؛ لكونه يفتح باب الرجاء أمام الإنسان فيتمكن من التوبة والرجوع إلى مولاه جلّ وعلا.

أعادت رسائل النور في حديثها عن الساعة والآخرة بناء المفاهيم من جديد في ضوء الرؤية القرآنية والنبوية، لتعبر عن الدنيا بكونها مزرعة يحصد الإنسان حصيلة أعماله في الآخرة التي هي دار القرار، مما يجعل المتلقي يعيد رؤيته للزمن من حيث تصوره المادي إلى رؤية أبدية حقيقية.

الاستعارات والتشبيهات فضلاً عن المقابلات البلاغية التي استخدمتها رسائل النور في خطاباتها الغاية منها تقريب مفاهيم عالم الغيب للوعي الإنساني.

الرموز التمثيلية والنداءات فضلاً عن تنوع الأساليب في الخطاب حاضرة في خطابات رسائل النور ليكون الكلام أكثر تأثيراً على المتلقي.

الحديث عن زوال الدنيا والانتقال إلى عالم الآخرة بأسلوب المناجاة سمة بارزة في رسائل النور لدرجة يجعلها ذات طابع شعري رغم أنها من النثر فيكون وقعها على عاطفة القارئ كبيراً.

سعت رسائل النور إلى صياغة جديدة لمعاني الساعة لتوظفها في المسار التربوي، وتكون قنطرة توصل النفس بخالقها، فاستطاعت أن تؤسس فهماً جديداً لمفاهيم الموت والحياة، وهي تكون بذلك قد أدمجت في خطابها المعرفة بالوجدان، والعقل بالقلب والروح.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ: تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1998م.

2- الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

3- صحيح البخاريالجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دارابن كثير-بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م.

4- صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م

5- الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

6- اللمعات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

7- المثنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

8- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - 1412 ه.

9- المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- القاهرة/ مصر، الطبعة السابعة- 2014م.

* * *

الهوامش:

[1] الكلمات: 389.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 389.

[3] أخرجه الترمذي في سننه وقال: "هذا حديث حسن" 219/4، باب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم2459 .

[4] جزء من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: بينما النبي –صلى الله عليه وسلم– في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين – أراه – السائل عن الساعة» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». أخرجه البخاري في صحيحه21/1، كتاب العلم–باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، برقم 59.

[5] الكلمات: 390.

[6] ينظر: الشعاعات100، بتصرف.

[7] الملاحق: 43.

[8] ألف النورسي مبحث الحشر وهي موجود ضمن كتاب الكلمات من الكلمة العاشرة: 84.

[9] الكلمات:50.

[10] المثنوي العربي النوري: 105.

[11] ينظر: الشعاعات: 264.

[12] المكتوبات: 278.

[13] ينظر: المصدر نفسه: 103.

[14] ينظر: الكلمات: 79.

[15] ينظر: الشعاعات: 264.

[16] ينظر: الكلمات 744، والمكتوبات539، والشعاعات215.

[17] ينظر: الكلمات: 81.

[18] المصدر نفسه: 158.

[19] المصدر نفسه: 81.

[20] المصدر نفسه: 81

[21] ينظر: إشارات الإعجاز: 219.

[22] الكلمات: 459.

[23] اللمعات: 192.

[24] المصدر نفسه: 315.

[25] أخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد295/9، برقم 15602.

[26] المثنوي العربي: 235.

[27] اللمعات: 291.

[28] ينظر: المكتوبات: 102، واللمعات: 71.

[29] ينظر: الشعاعات: 229.

[30] ينظر: الكلمات: 227، والمكتوبات: 539.

[31] ينظر: المكتوبات: 482.

[32] ينظر: الكلمات: 155.

[33] ينظر: المصدر نفسه: 222.

[34] ينظر: المصدر نفسه: 37، 227، المثنوي العربي النوري: 355.

[35] ينظر: المكتوبات: 107.

[36] ينظر: الكلمات: 41، والمكتوبات: 312.

[37] ينظر: صيقل الإسلام: 411.

[38] ينظر: الشعاعات: 224.

[39] ينظر: المكتوبات: 92، والشعاعات: 650.

[40] ينظر: الكلمات: 389.

[41] ينظر: المصدر نفسه: 41.

[42] ينظر: المكتوبات: 308، واللمعات: 28.

[43] ينظر: الكلمات: 605.

[44] المكتوبات: 277.

[45] اللمعات: 322.

[46] العبارات التي أدرجانها على شكل نقاط تكررت كثيرا، وخشية الاطالة اكتفينا بنقل نص من مكان واحد فقط.

[47] المكتوبات281.

[48] اللمعات: 121.

[49] المصدر السابق: 279.

[50] المثنوي العربي النوري: 439.

[51] الشعاعات: 467.

[52] الكلمات: 300.

[53] المصدر نفسه: 136.

[54] المصدر نفسه: 233.

[55] المصدر نفسه: 289.

[56] المصدر نفسه: 299.

[57] المصدر نفسه: 301.

[58] المثنوي العربي النوري: 235.

[59] المكتوبات: 296.

[60] المثنوي العربي النوري: 360.

[61] **المكتوبات**، 520.

[62] اللمعات: 327.

[63] اللمعات: 181.

[64] المكتوبات: 30.

[65] المصدر نفسه: 367.

[66] الكلمات: 88.

[67] المصدر نفسه: 222.

[68] المصدر نفسه: 58.

[69] صيقل الإسلام: 50.

[70] الشعاعات: 233.

[71] المكتوبات: 90.

[72] الكلمات: 94.

[73] صيقل الإسلام: 343.

[74] المصدر السابق: 235.

[75] المصدر نفسه: 369.

[76] المكتوبات: 586.

[77] الشعاعات: 234.

[78] الكلمات: 732.

[79] المكتوبات: 351.

[80] الشعاعات: 272.

[81] اللمعات: 510.

[82] الكلمات: 363.

[83] الشعاعات: 247.

الفطرة دليلا على الإيمان عند بديع الزمان النورسي

الزبير المصلوحي - المغرب

- ملخص-

يهتم البحث ببرهان الفطرة في إثبات أصول الدين الكبرى (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات)، من خلال صياغة قواعد عقدية كلية، مستفادة من تقريرات بديع الزمان النورسي. فقد استثمر الأستاذ رحمه الله برهان الفطرة في إثبات وجود الله تعالى، باعتبارها شيئا أودعه الله في خليقته، ولا قدرة للإنسان على دفعه أو إنكاره مهما حاول، حتى إن البحث التجريبي قد أثبت هذه الحقيقة. أما في قسم النبوات فقد أعمل برهان الفطرة كذلك من خلال بيان أن الخلق بعد اعترافهم بوجود خالق، مفتقرون إلى من يُبين لهم قصد ربهم من خلقهم، وهذا لا يتأتى إلا ببعثة الرسل الكرام المعتبرين بمثابة المربين والموجهين للبشرية. أما منهجه في إثبات الحشر بدليل الفطرة، فقد انطلق من النظام المشاهد في الكون، في كونه لا يصح أن يسمى نظاما إلا إذا حقق الإنسان ما يطمح إليه من الرغبات والآمال غير المتناهية الحاصلة في وجدانه، وما دامت الدنيا قاصرة عن تحقيق متطلباته، فإن ذلك دال على أن هناك دارا أخرى، وهي دار السعادة الأبدية، كما ربط في ترسيخ عقيدة الحشر مفهوم الفطرة بقضية العدل الإلهي، الذي لا يقبل الظلم بين عباده؛ إذ لَما كان بعض الناس في هذه الدنيا يتخلصون من الحساب، ويموت المظلوم، وينجو الظالم بدون عقاب، دل الحال على ضرورة وجود محكمة أخرى تُرَدُّ فيها المظالم حتى يكتمل النظام، فيثبت عند الأستاذ النورسي رحمه الله أن الإنسان إذا أصغى لفطرته، واستمع لوجدانه متجردا من الأهواء والمؤثرات الخارجية، سيعرف الله تعالى ويتشوف إلى لقائه.

الكلمات المفتاحية: الفطرة، الدليل، الإيمان، النورسي، رسائل النور.

Innate Disposition as Evidence of Faith in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi

El-zubeyr maslouhi - Morroco

–Abstract–

This research discusses the evidence of fitra (innate human disposition) in establishing the major principles of Islamic faith, namely divinity, prophecy, and resurrection. This is achieved by formulating universal theological rules derived from the works of Bediuzzaman Said Nursi, may Allah have mercy on him. The respected scholar, Bediuzzaman, may Allah have mercy on him, masterfully employed the proof of fitra—the innate human disposition—to establish the existence of Allah (SWT). He considered this innate disposition something that Allah has placed within His creation, something no human can push away or deny, no matter how hard they try. This truth, he notes, has even been affirmed by empirical research.

In the section on Prophethood, he likewise used the proof of fitra. He explained that after humanity acknowledges the existence of a Creator, they are in desperate need of someone to explain their Rabb's (Lord's) intention behind their creation. This can only be achieved by the sending of noble Messengers, who act as the educators and guides for humanity. As for his method of proving the Resurrection through the proof of fitra, he started from the order observed in the cosmos. He argued that this system cannot be considered complete unless humans achieve the infinite hopes and aspirations that reside within their hearts. Since this worldly life is insufficient to meet these demands, this points to the existence of another abode—the abode of eternal happiness. He also linked the concept of fitra to the issue of Divine Justice in establishing the belief in the Resurrection. He asserted that Allah's justice does not accept injustice among His servants. Since some people in this life escape accountability, and the oppressed die while the oppressor escapes punishment, this situation proves the necessity of another court where injustices are rectified so that the system can be made complete. Thus, Bediuzzaman, may Allah have mercy on him, proves that if a person listens to their fitra and heeds their conscience, free from external influences and desires, they will come to know Allah (SWT) and long to meet Him.

Keywords: Fitrah (Innate Disposition), Proof, Faith, Nursi, Risale-i Nur.

* * *

مقدمة:

تنوعت دلائل التعرف على الله سبحانه وتعالى وتعددت في الأنفس والآفاق، بدءً من وجدان الإنسان وفطرته، إلى النظر والتأمل في مصنوعاته، فالكل شاهد ومقر بأن لهذا الكون ربا ومدبرا وإلها وقادرا وخالقا حكيما. وأولى هذه الدلائل وأقربها دليل الفطرة، باعتبارها الجِبلة التي لها السبق بالطبع في التقدم، ونعني بها ما فطر الله عليه النفس البشرية من الإيمان بخالق متعال عن مخلوقاته، متصف بصفات الكمال الذي يفتقر إليه كل شيء ويصمد له، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدليل فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلِتِے فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم: 30). وهذا الدليل موجود في الوجدان الإنساني مركوز فيه، وإن غطّته الشبهات، ونالت منه الشهوات، إلا أنه سرعان ما يظهر في حالات الصفاء وانكشاف الأقنعة.

وقد اعتمد الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله على دليل الفطرة في إثبات أصول الإيمان من إثبات الله تعالى، وإثبات النبوة، وإثبات الحشر، من خلال صيغ عدة تتظافر في إثبات صحة الإسلام ومعقولية الإيمان ومناسبته لحقيقة الإنسان والحياة والكون. وقد كان إثبات الله تعالى من خلال دليل الفطرة كافيا؛ لأن بإثباته تثبت النبوة من خلال صفة الحكمة، وتثبت عقيدة الحشر لزوما عن طريق تصديق خبر المعصوم، إلا أنه رحمه الله استثمر هذا الدليل في إثبات كل تلك الأصول الإيمانية.

وسأعرض بحول الله في هذه الورقات قواعد عقدية في كون الفطرة دليلا على الإيمان، إما من صناعة الأستاذ بديع الزمان رحمه الله، وإما من صياغتي، تندرج كل قاعدة ضمن مباحث العقيدة وهي الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، ثم أُردفها بشرح يُبين ما فيها من إجمال، ثم أعطف عليها بما يعضدها من كلام الأستاذ النورسي، ثم أسرد عَقِبها النصوص التي تؤيدها وتشهد لها من أقوال أهل العلم الذين تناولوا القضية، وذلك يعد تمهيد في التعريف بمفاتح البحث.

أولا: تعريف الفطرة لغة واصطلاحا.

الفِطرة: لغةً: الخِلْقةُ [1]

الفطرة اصطلاحا: "هي الطَّبع السَّويُّ، والجِبلَّة المُستقيمة التي خُلِقَ الناس عليها، قال الحافظ ابن حجر: "قال أبو شامة: أصل الفِطرةِ الخِلقةُ المبتدَأة، ومنه: {فاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَالَارْضِ} (فاطر: 1) أي: المُبتدئ خلقَهنَّ، وقوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كلُّ مولود يُولد على الفِطرَةِ[2]؛ أي: على ما ابتدَأَ اللهُ خَلْقَه عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: {فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم: 29)، والمعنى: أن كل أحد لو تُرك مِن وقت ولادته وما يؤديه إليه نَظَرُه، لأداه إلى الدين الحق، وهو التوحيد، ويؤيده قوله تعالى قبلها: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطْرَتَ ٱللَّهِ} (الروم: 29) وإليه يُشير في بقية الحديث؛ حيث عقَّبه بقوله: "فأبواه يُهوِّدانِه ويُنصرانِه"[3]، والمراد بالفطرة في حديث الباب: أن هذه الأشياء إذا فُعِلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطَر اللهُ العباد عليها، وحثهم عليها واستحبها لهم؛ ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة".[4] وقيل: هي سُنَنُ الأنبياء قال الخطابي: " قوله صلى الله عليه وسلم: "عَشرٌ مِن الفطرة" فسر أكثر العلماء الفطرة في هذا الحديث بالسُّنة، وتأويله: أن هذه الخِصال مِن سُنَن الأنبياء الذين أُمرنا أن نقتدي بهم."[5] قال ابن حجر:" وقد رد القاضي البيضاوي الفطرة في حديث الباب إلى مجموع ما ورد في معناها، وهو الاختراع والجِبلَّة والدّين والسُّنة. فقال: هي السُنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمر جِبلي فُطروا عليها."[6]

ويقول الدكتور سامي عامري ومن أوجه تعريفها عند المجادلة مع الملاحدة، النظر إليها على أنها: "ما ينعدم أو يَعْتَلُّ مفهوم الإنسان بانْعِدامِهِ أو باعْتِلالِهِ. وهي تشمل الجوانب الأساسية في الإنسان بما يُميزه عن الحيوان والمادة، كالعقل والإرادة والخُلق... فالمقصود بالفطرة عند الحديث عن الإيمان بالله، حقيقة الإنسان بما هو إنسان."[7]

ثانيا: تعريف الوِجدان لغة واصطلاحا.

الوجدان لغة: مِنَ الْوَجْدِ، قال الفراهيدي: الوَجْد: من الحُزْن والمَوْجِدَة من الغَضَب. والوِجْدان والجِدَة من قولك: وَجَدْت الشيء، أي: أصبته.[8]

الوجدان اصطلاحا: ومعنى الوجدانيات: "المشاهدات الباطنة التي يجدها الإنسان في نفسه وباطنه ولا تحتاج إلى عقل ولا حس، كالجوع، والعطش، واللذة، والألم، والفرح، والغضب، والنشاط، والكسل، والصحة، والمرض، وكذلك إذا علم الإنسان ذلك من غيره."[9]

المطلب الأول : الإلهيات

القاعدة: دَلالةُ الوِجدانِ على عقيدة الإيمانِ (دليل الفطرة)

استثمر الأستاذ بديع الزمان رحمه الله دليل الفطرة على وجود الله تعالى، مُؤكدا على أن المرء مهما حاول أن يُنكر حقيقة الوجود الإلهي، إلا أن هناك جانبا فطريا وجدانيا زائدا على الحواس الخمسة، لا يملك الإنسان سبيلا إلى التخلص منه، قد جُبل عليه وهو وجود الخالق سبحانه وتعالى.

ويجعل الأستاذ بديع الزمان رحمه الله لفظ الوجدان مرادفا للفظ الفطرة في أكثر السياقات، مما يدل على أنهما بمعنى واحد عنده كما سيأتي بيانه. وقد عدّ الأستاذ رحمه الله من بين البراهين الدالة على وجود الله تعالى اضطرارا وجدان الإنسان المسمى بالفطرة الشاعرة، فيشير رحمه الله إلى أن الله تعالى أودع في كل مخلوق ميولا صادقة تنزع إلى حالات وأطوار بأوامر إلهية اقتضت تحقق تلك الميولات. ويوضح ذلك من خلال **النكات الأربع التالية**:

"أولاها: أن الفطرة لا تَكذب، ففي البذرة ميلان للنمو، إذا قال: سأنبت سأثمر فهو صادق. وفي البيضة ميلان للحياة، إذا قال: سأكون فرخا فيكون بإذن الله، وهو صادق. وإذا قال ميلان التجمد في غَرفة من ماء: سأحتل مكانا أوسع، فلا يستطيع الحديد رغم صلابته أن يُكذّبه، بل صدقُ قوله يفتت الحديد. فهذه الميول إنما هي تجليات الأوامر التكوينية الصادرة من الإرادة الإلهية.

النكتة الثانية: لا تقتصر حواس الإنسان الظاهرة والباطنة على الحواس الخمس المعروفة: حاسة السمع والذوق والبصر.. إلخ، وإنما له نوافذ كثيرة مطلة إلى عالم الغيب، فله حواس كثيرة غير معلومة. أمثال حاسة السوق وحاسة الشوق التي لا تَكْذِب ولا تَزلّ.

النكتة الثالثة: لا يمكن أن يكون شيءٌ موهوم مبدءا لحقيقة خارجية؛ فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث إن الإنسان مُكرم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يردّ هذا الاحتمال.

النكتة الرابعة: أن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطّل العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه، فالوجدان يُبصر الخالق ويراه، ويتأمل فيه ويتوجه إليه. والحدس[10] الذي هو سرعة انتقال في الفهم يحركه دائما. وكذا الإلهام[11] الذي هو الحدس المضاعف ينوره دوما. والحب الإلهي يسوقه ويدفعه دوما إلى معرفة الله تعالى، ذلك الحب

المُنبعث من تضاعف الشوق المتولد من تضاعف الرغبة الناشئة من تضاعف الميلان المغروز في الفطرة. فالانجذاب والجذبة المغروز في الفطرة ليس إلا من جاذب حقيقي."[12]

ويؤكد هذا الشعور الإمام بن القيم رحمه فيقول: "ففي القلب شعَثٌ لا يلمُّه إلّا الإقبال على الله، وفيه وحشةٌ لا يُزيلها إلّا الأُنس به في خَلوته. وفيه حزنٌ لا يُذهبِه إلّا السُّرور بمعرفته وصدق معاملته. وفيه قلقٌ لا يسكِّنه إلّا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه. وفيه نيران حسراتٍ لا يطفئها إلّا الرِّضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصّبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلبٌ شديدٌ لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقةٌ لا يسدُّها إلّا محبّته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدُّنيا بما فيها لم تسدّ تلك الفاقة منه أبدًا."[13]

وقد سرد صاحب كتاب ((البواعث النفسية للإلحاد)) جملة من النصوص لمفكرين وعلماء غربيين مضمونها؛ أن الإيمان فطرة في البشرية ابتداء، وأن ما يَحدث من الفساد العقدي إنما هو أمر طارئ حدث بعد أن لم يكن. "تقول الدكتورة اوليفيرا بتروفيتش[14] Olivera Petrovich المتخصصة في البحوث النفسية حول الأديان بجامعة أكسفورد: "إن عالمية بعض المعتقدات الدينية كالإيمان بإله خالق للكون غير متجسد، يمكن عزوها بوضوح إلى أساس تجريبي أكثر من كونها مستقاة من النصوص الدينية. وقد اتضح من البحث في المفاهيم الدينية السابقة، أنها مُتسقة مع تلك الجوانب الأخرى من البحوث التنموية، تلك الجوانب التي توحي بوجود مسلمات معرفية في عدد من مجالات المعرفة الإنسانية."[15]

وقد توصل جستون باريت Justin Barrett من خلال مجموعة من الأبحاث التي أُجريت على الأطفال الصغار، على أنهم يُولدون مزودين بالأدوات العقلية التي تمكنهم من الإيمان بخالق مباين للمخلوقات حيث يقول: "إن الأبحاث العلمية للنمو العقلي عند الأطفال وارتباطه بالإيمان بالمتجاوز للطبيعة تبيّن اكتساب الأطفال السريع والفطري لعقول تُسهل عليهم الإيمان -بالعوامل الفاعلة فوق الطبيعة-، يُميز الأطفال خاصة في العام الأول بعد ولادتهم بين ما هو من العوامل الفاعلة وما ليس كذلك، ويفهمون أن العوامل الفاعلة قادرة على تحريك ذواتها بطريقة هادفة لتحقيق ما تصبوا إليه، ويَميل الأطفال لرؤية الفاعلية في كل ما يحيط بهم بمجرد وجود أدنى دليل على ذلك، ويُبدي الأطفال منذ عامهم الأول إدراكا لقدرة العوامل الفاعلة على إحداث الانتظام من

الفوضى، خلافا للقوى الطبيعية والأجسام العادية، ويَجد الأطفال قبل دخول المدرسة أن العالم الطبيعي حولهم مُصمم لغاية، وذلك بطرق لن يلقنهم إياها الآباء المتدينون أو يعتقدونها.

إن هذا الميل للإيمان بالغائية والوظيفية في كل شيء في هذا الكون، مع فهم أن هذا الانتظام الهادف يأتي من -كائنات عاقلة-، يجعل الأطفال ميالين بديهيا لرؤية الظواهر الفطرية مخلوقا قصدا. لكن من هو هذا الخالق؟ يُدرك الأطفال أن البشر ليسوا خيارًا مقبولا كإجابة لهذا السؤال، فلا بد أن الخالق هو الله."[16]

خلاصة النظر في القاعدة:

الاستمداد والاستناد إلى الله، هو السبيل الوحيد لمقاومة المصائب والنكبات.

في الإلحاد شعور بالوحدة، وحالات من القلق والاكتئاب، بسبب غياب المعنى وجهل المصير.

المعرفة الإلهية قضية فطرية، ولا يمكن للإنسان دفعها أو تجاهلها مهما قاوم ذلك.

الإسلام هو الأصل في البشرية، والانحراف إنما هو أمر طارئ من فساد خارجي.

فكرة الإيمان بإله يختلف وجوده عن وجود الطبيعيات، يدعمها البحث التجريبي، أكثر من كونها قضية مستمدة من النصوص الدينية.

المطلب الثاني: النبوات

القاعدة: النُبوةُ ضَروريةٌ لِلبشريةِ

وهذه قاعدة من صناعة الأستاذ رحمه الله: وتفسيرها: أن الله تعالى كرَّم بني آدم وشرفه على سائر المخلوقات بنعم لا تُعد ولا تُحصى. ولما كان الإنسان بطبعه عاجزا ومفتقرا لمعرفة ما فُرض عليه من خالقه، كان من رحمته تعالى أن وضح له بما يوافق فطرتهم ويُكملها، وبما لا يدع مجالا للإبهام عن مراده منهم وبيان سبب خلقهم، عن طريق إرسال الرسل والأنبياء كمرشدين ومهديين نعمة وفضلا منه تعالى.

ويُشير الأستاذ رحمه الله إلى أن صفة الافتقار في المخلوقات، على اختلاف أنواعها ورغبتها في تلبية الحاجيات وتحقيق الكمالات، ذلك أن الذي خلق التنظيم والتبعية في أبسط الحيوانات، من باب أولى أن يجعل ذلك في الإنسان الذي هو أكرم المخلوقات، وثمرة الكون[17]. يقول رحمه الله: "إن القدرة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير،

والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتما البشر من دون نبي، من دون شريعة... نعم هكذا يقتضي سر نظام العالم."[18]

وفي موضع آخر يُبين الأستاذ رحمه الله أن جِبلة الإنسان التي فطرت على معرفة خالقها، محتاجة ومتعطشة إلى معرفة بعض التفاصيل عن مُوجدها، والحكمة التي خُلقت لأجلها فيقول الأستاذ: "فهل يمكن لِمَن زيّن هذا الكون بمخلوقات معبّرة عن كمال أسمائه الحسنى، وجعله قصرا رائعا، وجمّله ببدائع صنعته المذهلة، وعرضه على الأنظار، ثم لا يكل أمر إيضاحه إلى مرشد معلم رائد؟ أم هل يمكن أن لا يبيّن مالك هذا الكون بوساطة رسول: ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المغلق؟ وان لا يجيب بوساطته عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات، وهي: من أين؟ والى أين؟ ومن تكون؟ أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرّف نفسه إلى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحبّبها إليهم بنعمه الغالية، أن لا يبيّن لهم بوساطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه إزاء هذه النعم السابغة؟ أم هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الإنساني بكثرة المشاعر والاتجاهات، وهيأ استعداده للعبودية التامة الكلية، أن لا يطلب توجيه أنظار هذا النوع من الكثرة إلى التوحيد بوساطة مرشد مرسل؟

وقد أورد الحليمي رحمه الله بعض أوجه انتفاع البشرية بالأنبياء والرسل وخاصة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أربعة أوجه: "الأول: أن الخلق جُبلوا على النقصان وقِلة الفهم وعدم الدراية، فهو صلوات الله عليه أورد عليهم وجوه الدلائل ونقحها، وكلما خطر ببالهم شك أو شبهة أزالها وأجاب عنها. والثاني: أن الخلق وإن كانوا يعلمون أنه لا بد لهم من خدمة مولاهم، ولكنهم ما كانوا عارفين بكيفية تلك الخدمة، فهو شرح تلك الكيفية لهم حتى يقدموا على الخدمة آمنين من الغلط ومن الإقدام على ما لا ينبغي. والثالث: أن الخلق جُبلوا على الكسل والغفلة والتواني والملالة فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات حتى إنه كلما عرض لهم كسل أو فتور نشطهم للطاعة ورغبهم فيها. الرابع: أن أنوار عقول الخلق تجري مجرى أنوار البصر، ومعلوم أن الانتفاع بنور البصر لا يكمل إلا عند سطوع نور الشمس، ونوره عقلي إلهي يجري مجرى طلوع الشمس، فيقوي العقول بنور عقله، ويظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستترا عنهم قبل ظهوره، فهذا إشارة حقيقية إلى فوائد أصل البعثة."[19]

ويؤكد على نحو من هذا الإمام ابن تيمية رحمه الله فيقول: "والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره

وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة..."[20]

ويستدل الأستاذ رحمه الله بدليل الفطرة في الدلالة على النبوة، من خلال موافقتها لنوع الإنسان الذي ميزه الله تعالى وكرمه على سائر المخلوقات. إذ لما كان الإنسان ذا استعدادات وخيال واسع، ورغبات ومتطلبات غير محدودة في هذه الدنيا التي لا تفي ببلوغه مقصوده، وتحقيق احتياجاته احتاج إلى من يُطمئن باله بوجود دار أخرى يسعه فيها الظفر بكل ما حُرِمَ منه في هذه الحياة الفانية. يقول الأستاذ رحمه الله: "فالإنسان الذي هذه قابلياته، يدرك قصورَ نظره في صنعته، وزحمةَ الأوهام عليه، وافتقارَه في جبلته الإنسانية.. ممّا يدلّه على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم...وأيضا استعدادُ الإنسان غير المتناهي، وآماله ورغباته غير المحصورة، وأفكارُه وتصوراته غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحدّدة... فنراه يتأسفُ ويتأفف ويقول: ليت كذا وكذا، حتى لو مُنح ملايين السنين من العمر وتمتع بلذائذ الدنيا وحَكَم حكما نافذا في كل شيء...إنه لما لم يكف ميل الإنسان الطبيعي وسَوق إنسانيته، وقَصرُ نظره، واختلاط الأوهام في طريق عقله.. احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم فذلك المرشد هو النبي."[21]

ونجد الأستاذ رحمه الله في سياق آخر يحتج على نبوته صلى الله عليه وسلم عن طريق ما يحصل في وِجدان الإنسان من المهابة والتقدير له. فقد ميزه الله تعالى بصفات خَلقية وخُلقية تبرئه من كل العيوب التي قد يطعن بها في شخص أي إنسان، وقد قال الله تعالى في وصف خُلقه {وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: 4). وجاء في وصف خَلقه: أن عَلِيا وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر من ذلك: أن مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ.[22] وقد جاء أيضا عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ.[23]

يقول الأستاذ رحمه الله: "واعلم أنه كما تُصدِّقه هذه الدلائل الآفاقية، كذلك هو

كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتصدقّه الدلائل الأنفسية؛ إذ اجتماع أعالي جميع الأخلاق الحميدة في ذاته بالاتفاق.. وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايا الغالية والخصائل النـزيهة.. وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهده وقوة تقواه وقوة عبوديته.. وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره، وكمال جديته وكمال متانته، وكذا قوة أمنيته في حركاته بشهادة قوة اطمئنانه.. تصدقه كالشمس الساطعة في دعوى تمسكه بالحق وسلوكه الحقيقة".[24]

وفي تسلسل منطقي وصياغة محكمة العبارة والفحوى يثبت حاجة الفطرة الإنسانية إلى مبلغ عن الله فيقول رحمه الله: "نعم، إن الإنسان لا يعيش عيشَ الحيوانات، ولا يسعه ذلك؛ فهو محتاجٌ لتحصيل حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمّة لايقتدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين -بسر عدم التحديد- تحتاج الجماعةُ إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج النوعُ إلى وضع قوانين كلية.. ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها، لابد من مقنن يجريها.. ثم لإدامة حاكمية ذلك المقنن في الظاهر والباطن يحتاج إلى امتياز وتفوق -مادة ومعنًى- ويحتاج أيضًا إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم.. ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصوّرِ عظمةِ الصانع وصاحبِ الملك في الأذهان.. ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد يحتاج إلى مذكر مكرر وعمل متجدد، وما المذكر المكرر إلا العبادة... وهذه العبادة توجّه الأفكار إلى الصانع الحكيم، وهذا التوجه يؤسس الانقياد، والانقيادُ هو للإيصال إلى النظام الأكمل والارتباط به، وهذا النظامُ الأكمل يتولد من سر الحكمة، وسر الحكمة يشهد عليها إتقان الصنع وعدم العبثية."[25]

وتحدث عن هذه القضية أيضا محمد حسين أديب، من خلال بيان أن أبلغ ما قد يطمح إليه الإنسان هو السعادة الدائمة الأبدية، التي لا يمكن أن تتحقق إلا بربط الصِلة بالله تعالى، وهذه الصلة إنما تتحصل عن طريق مبلغين عنه سبحانه وتعالى فيقول: "وعلى أيّة حال من الأحوال، فالناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى المصلحين، الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والأفراد، وتلك الحاجة واضحة لا تحتاج إلى علة، إذ لولا المصلحون لظل الناس في جهلهم يعمهون، لا يفرقون بين الرُشد والغي، ولا يميزون بين الضار والنافع وليس أدل على هذا من قياس بعض الأمم التي ظهر فيها

النابغون والمفكرون بالأمم التي حُرمت منهم، فإن آثار المفكرين ونتائج جهود المصلحين واضحة جلية في أممهم في كل شأن من الشؤون المادية والأدبية، أما الأمم التي حُرمت من المصلحين ولم يُقيد لها من يرشدها من المفكرين فإنها تكون منحطة في كل شيء.

فرقي الأمم وانحطاطها منوطان بوجود المصلحين وعلمهم بلا نزاع، وبديهي أن غاية الإنسان التي ينشدها في حياته، وأمله الذي يسعى له دائما؛ إنما هو السعادة...وهل العقل الإنساني يستقل بإدراكه معنى السعادة من غير أن يكون له صلة بالله تعالى العليم الخبير، كلا ! ذلك لأن السعادة كلها في الحقيقة هي المُلك الدائم الذي لا يزول والنعيم الخالد الذي لا يفنى."[26]

وفي سياق إثبات صحة الأخبار التي جاءت في إثبات المعجزات، وخصوصا الدالة على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشار الأستاذ بديع الزمان رحمه الله إلى أثر الفطرة في تصديقها، إذ يستحيل أن يُجمِعَ الناس على قضية لم يتعرض لها أحدهم بالإنكار أو التشكيك أن تكون قضية باطلة؛ لأن في البشرية جانبا لا يقبل إمرار الكذب لوجود مانع في وجدانهم وهو الفطرة فيقول الأستاذ رحمه الله: "إن الحَوادِث التي تقع بين أظهر الناس، إذا ما نقلت بطريق الآحادِ ولم تكذب، فهِيَ دلالة على صدق وقوعِها، لأن فطرة الإنسان مجبولة على أن يفضح الكَذِبَ ويرفضه، ولا سيما أولئك الذين لا يسكتون على الكذب، وهُمُ الصَّحْبُ الكِرامُ، وبخاصة إذا كانَتِ الأحداث تتعلق بالرسولِ الأكرم (ﷺ)، وبالأَخَص أن الرواة هم مِن مَشاهير الصحابة؛ فيكون راوي ذلك الخَبَر الواحِدِ حينذاك كأنه ممثل لتلك الجماعة التي شاهدته شهود عيان.."[27]

خلاصة النظر في القاعدة:

العباد مفطرون على الافتقار، وتطلب الكمال، والتعرف على الغاية من وجودهم، وذلك لا يتأتى إلا بمُبلغ عن ربهم.

من سُنن الله تعالى في خلقه الاجتماع على قائد يتولى أمورهم وأحوالهم.

بعثة الأنبياء رحمة للناس، وذلك في كونهم يُخبرون أقوامهم عن الحكمة من خلقهم.

بعثة الأنبياء نعمة يُصّوب الله تعالى بها البشرية كلما ضلت عن الصراط المستقيم.

من وظائف النبوة إصلاح النفوس وتهذيبها وتزكيتها. قال تعالى: هُوَ ٱلَّذِے بَعَثَ فِے ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن

قَبْلُ لَفِے ضَلٰل مُّبِين (الجمعة: 2)

حاجة البشر للرسالة أعظم من حاجتهم لأمور الدنيا؛ لأن بالرسالة تتحقق سعادة الدارين.

للأنبياء علامات وخصائص يُعرفون بها، ولا يمكن لغيرهم أن يتصنعها أو يتقمصها.

لا يوجد في أمة رُقي إلا وكان فيها الأنبياء والمصلحون، ولا توجد أمة منحطة إلا وغاب عنها الأنبياء والمصلحون.

المطلب الثالث: السمعيات

القاعدة الأولى: دَلالةُ الوِجدانِ على حشرِ الإنسان

يؤكد الأستاذ بديع الزمان رحمه على أن الوجدان المغروز في الإنسان يبعث على وجود الدار الآخرة فيقول: "إن الوجدان الشاعر للإنسان الذي هو فطرتُه، يدل على الحياة الأخرى ويرنو إلى السعادة الأبدية نعم، إن الذي يصغي إلى وجدانه اليقظ فإنه يسمع حتما صوت الأبد.. الأبد حتى إذا ما أعطي كل ما في الكائنات لذلك الوجدان فإنه لا يسد حاجتَه إلى الأبد. بمعنى أن ذلك الوجدان مخلوق لذلك الأبد، وأن هذا الجذب والانجذاب الوجداني لا يكون إلا بجذبٍ من غاية حقيقية وبجاذب حقيقي."[28]

وفي قضية الفطرة يؤكد الدكتور مصطفى محمود رحمه الله على أن المخلوقات ذات الإحساس مفطورة على استحقاق العقوبة عند وقوع الذنب منها، وفي المقابل مُنتظرة للثواب عند إحسانها، وهذا إنما يتحقق بوجود محكمة أخرى كبرى فيقول رحمه الله: "إن الذي رأى قطة تتلصص على مائدة في خلسة من أصحابها ثم تمد فمها لتلقف قطعة السمك الذي رأى مثل تلك القطة ونظر إلى عينها وهي تسرق لن ينسى أبدا تلك النظرة التي ملؤها الإحساس بالذنب. إن القطة وهي الحيوان الأعجم تشعر شعورا مبهما أنها ترتكب إثما فإذا لِحقها العقاب ونالت ضربة على رأسها فإنها تغض من بصرها وتطأطئ رأسها وكأنها تدرك إدراكا مبهما أنها نالت ما تستحق. هو إحساس الفطرة الأولى الذي ركبه الخالق في بنية المخلوق إنه الحاسة الأخلاقية البدائية نجد أثرها حتى في الحيوان الأعجم.

والقط إذ يتبرز ثم يثني على ما فعل ويُهيل عليه التراب حتى يخفيه عن الأنظار ذلك الفعل الغريزي يدل على إحساس بالقبح وعلى المبادرة بستر هذا القبح وذلك الفعل هو أيضا فطرة أخلاقية لم تكتسب بالتعلم؛ وإنما بهذه الفطرة ولد كل القطط.

ونحن إذ نتردد قبل الفعل نتيجة إحساس فطري بالمسؤولية ثم نَشعر بالعبء في أثناء الفعل نتيجة تحري الصواب. ونشعر بالندم بعد الفعل نتيجة الخطأ. هذه المشاعر الفطرية التي يشترك فيها المثقف والبدائي والطفل هي دليل على شعور باطن بالقانون والنظام وأن هناك محاسبة.. وأن هناك عدالة.. وأن كل واحد فينا مطالب بالعدالة كما أن له الحق في أن يَطلبها.. وأن هذا شعور مفطور فينا منذ الميلاد جاءنا من الخالق الذي خلقنا ومن طبيعتنا ذاتها."[29]

ويربط الدكتور مصطفى محمود رحمه الله قضية العدل بما يستشعره ويجده المخلوق في وِجدانه ويتعطش لتحققه بالفطرة التي أودعها الله تعالى في المخلوقات فيقول: "إن أهم برهان على البعث في نظري هو ذلك الإحساس الباطني العميق الفطري الذي نولد به جميعا ونتصرف على أساسه. إن هناك نظاما محكما وقانونا وعدلا. ونحن نُطالب أنفسنا ونطالب غيرنا فطريا وغريزيا بهذا العدل. وتحترق صدورنا إذا لم يتحقق هذا العدل. ونحارب لِنُرسي دعائم ذلك العدل. ونموت في سبيل العدل. وفي النهاية لا نحقق أبدا ذلك العدل. وهذا يعني أنه سوف يتحقق بصورة ما لا شك فيها.. لأنه حقيقة مطلقة فرضت نفسها على عقولنا وضمائرنا طول الوقت.

وإذا كنا لا نرى ذلك العدل يتحقق في دنيانا فلأننا لا نرى كل الصورة؛ ولأن دنيانا الظاهرة ليست هي كل الحقيقة. وإلا فلماذا تحترق صدورنا لرؤية الظلم ولماذا نطالب غيرنا دائما بأن يكون عادلا.. لماذا نحرص كل هذا الحرص و نشتعل غضبا على ما لا وجود له.

يقول لنا المفكر الهندي وحيد الدين خان: إذا كان الضمأ إلى الماء يدل على وجود الماء فكذلك الضمأ إلى العدل لا بد أنه يدل على وجود العدل.. ولأنه لا عدل في الدنيا.. فهو دليل على وجود الآخرة مستقر العدل الحقيقي.

إن شعورنا الداخلي الفطري هو الدليل القطعي على أن العدل حق.. وإن كنا لا نراه اليوم.. فإننا سوف نراه غدا.. هذا توكيد يأتينا دائما من داخلنا.. وهو الصدق لأنه وحي البداهة. والبداهة والفطرة جزء من الطبيعة المُحكمة الخالية من الغش، وهي قانون من ضمن القوانين العديدة التي ينضبط بها الوجود."[30]

خلاصة النظر:

الانجذاب الفطري المغروز في الإنسان، لا يحصل إلا بجذب جاذب.

العدل حاجة فطرية في كل المخلوقات ذات الشعور والإحساس.

الافتقار الفطري المتعطش لحصول العدل الكامل، دليل قطعي على وجود الآخرة.

انعدم حصول العدل الشامل في هذه الدنيا، يدل ضرورة على حصوله في الدار الآخرة.

القاعدة الثانية: اللاتَنَاهِيةُ فِي الإنسانِ مُنَبِّئَةٌ بالحشرِ

يرى الأستاذ بديع الزمان رحمه الله أن ما أودعه الله تعالى في الإنسانية بخلاف سائر المخلوقات، يجعلهم لا يقتنعون بما يقضونه في هذه الحياة، فيتطلعون ويطمحون إلى تحقيق آمال أعظم من ذلك لا حد لها، مِمَّا يقتضي وجود حياة أخروية دائمة تستجيب لما يطمح إليه الإنسان .

يقول الأستاذ رحمه الله: " يرى العلماء المحققون أن أفكار البشر وتصوراتِه الإنسانيةَ التي لا تتناهى المتولّدةَ من آماله غير المتناهية، الحاصلة من ميوله التي لا تُحد، الناشئةَ من قابلياته غير المحصورة، المندمجةَ في استعداداته الفطرية غير المحدودة، المندرجةَ في جوهر روحه، كل منها تمد أصابعَها فتشير وتحدق ببصرها فتتوجه إلى عالم السعادة الأبدية وراء عالم الشهادة هذا. فالفطرة التي لا تكذب أبدا والتي فيها ما فيها من ميلٍ شديد قطعي لا يتزحزح إلى السعادة الأخروية الخالدة تعطي للوجدان حدسا قطعيا على تحقق الحياة الأخرى والسعادة الأبدية."[31]

وقد اعترف بعض الفلاسفة بأن للإنسان جانبا متشوفا ومتشوقا للوصول إلى حياة أفضل وأرقى مما في هذه الحياة الدنيا. ويَعتبر العلامة وحيد الدين خان هذه القضية القديمة في الوجدان الإنساني برهانا نفسيا غريزيا يتواطأ عليها الناس ويُقرونها. ولا يمكن للبشرية أن تتوهمه أو تُحس به إن لم يكن أمرا مُحققا.

يقول العلامة وحيد الدين خان رحمه الله: "لنتناولا أولا الجانب النفسي من المسألة. يقول البروفيسور كنجهام في كتابه Platos Apalogy إن عقيدة الحياة بعد الموت لا أدرية مفرحة Cheerful Agnosticism ومن الممكن اعتبار هذا القول خلاصة أفكار فلاسفة الملحدين المعاصرين؛ فهم يرون أن عقيدة الآخرة اخترعتها عقلية الإنسان الباحثة عن عالم حر، مستقل عن حدود هذا العالم وعن مشكلاته، مليء بالأفراح. وإنما يدفعه على الإيمان بهذه العقيدة أمله في الحصول على حياته المفضلة، التي لا جُهد فيها ولا كدح.. وأن هذه العقيدة تنتهي بالإنسان إلى عالم مثالي وخيالي، حيث يحلم بأنه سوف يظفر به بعد الموت. ولكن الحقيقة -كما يراها الفلاسفة- أن لا وجود لشيء

كهذا العالم الثاني، في الأمر الواقع!.

وفي رأيي أن هذا المطلب الإنساني في حد ذاته دليل نفسي[32] قوي على وجود عالم آخر كالضمأ: فهو يدل على الماء، وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان.

وهكذا فإن تطلع الإنسان نفسيا إلى عالم آخر دليل في ذاته على أن شيئا مثل ذلك موجود في الحقيقة، أو أنه على الأقل خليق أن يوجد. وهذا المطلب النفسي يؤكد علاقة مصيرنا بهذه الحقيقة ويدلنا التاريخ على وجود هذه الغريزة الإنسانية منذ أقدم العصور على مستوى الإنسان. وهو أمر لا أستطيع فهمه: كيف يمكن أن يؤثر أمر باطل على البشر في هذا الشكل الأبدي، وعلى مستوى إنساني؟ وهذا الواقع نفسه يدلنا على قرينة قوية بإمكان وجود العالم الآخر. وإنكار هذه الحاجة النفسية، بدون أدلة يعتبر جهلا وتعصبا...

ولو كانت هذه الأفكار نتاج المجتمع كما يزعمون فكيف لا تزال تُطابق التفكير الإنساني. بهذه الصورة المدهشة، من أقدم العصور؟ هل تجدون مثالا لأية أفكار إنسانية أخرى ظلت باقية إلى العصر الحاضر، وبهذا التسلسل الرائع منذ ألوف السنين؟ هل يستطيع أذكى أذكيائكم أن يخترع فكرا واهيا، ثم يُدخله إلى النفس الإنسانية، وكأنه موجود بها منذ الأزل؟ إن لكل إنسان أماني كثيرة لا تُكلل بالنجاح في حياته، إنه يتمنى حياة أبدية."[33]

خلاصة النظر:

الحاجة إلى وجود حياة أكمل من هذه الحياة الدنيا، فكرة قديمة ملازمة لوجدان الإنسان.

آمال الإنسان غير متناهية، ولا يسد حاجتها إلا دار السعادة الأبدية.

في الوِجدان الإنساني ميل إلى وجود دار أخرى، وتواطؤ البشرية على الحالة الوجدانية برهان صدقها.

الأفكار الوهمية والخرافية لا تلزم البشرية، ولا تبقى مستمرة مع مرور الزمان.

تحقيق كمالات الإنسان، متوقف على وجود دار السعادة والخلود والبقاء.

خاتمة:

لقد كان لدليل الفطرة عند الأستاذ بديع الزمان رحمه الله أثر كبير في الاحتجاج والبرهنة

على الأصول العقدية الإسلامية، فنجده رحمه الله يُكثر من توظيفه لإثبات الوجود الإلهي، وصحة النبوة، وضرورة وقوع الحشر، وقد استثمر هذا الدليل رحمه الله في سياقات ومناسبات متعددة قمنة بتحصيل التصديق واليقن بأصول الإسلام الكبرى.

المصادر والمراجع :

الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان لوحيد الدين خان. مراجعة وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين مكتبة الرسالة. تعريب الدكتور ظفر الإسلام خان.

الإيمان والعلم الحديث لمحمد حسين الأديب. قامت بإعادة طبعها شعبة التراث الثقافي الديني في قسم الشؤون الفكرية والثقافية. ١٤٣٦ه/٢٠١٥م.

براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم للدكتور سامي عامري. الطبعة الأولى ١٤٤٠ه/ ٢٠١٨م.

البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. تحقيق: أيمن صالح شعبان. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.

البواعث النفسية للإلحاد لرشود عمر التميمي. دار الوعي للنشر والتوزيع ١٤٣٧ه.

جامع الإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان. سنة النشر ١٩٩٦م م.

الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. دار طوق النجاة. بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢.

حوار مع صديقي الملحد لمصطفى محمود. قام بنقله اليكترونيا: حطين. أميرة الجلباب.

الذخيرة لشهاب الدين أبي العباس القرافي. المحقق: محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بوخبزة. الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

شرح السلم في المنطق للأخضري للعلامة عبد الرحمن فرج الجندي. الناشر: المكتبة الازهرية للتراث.

صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. دار الجيل بيروت الطبعة التركية ١٣٣٤ه.

صيقل الإسلام لبديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي الطبعة السابعة. ٢٠١٤. الناشر: دار سوزلر للنشر.

العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. المحقق: د مهدي المخزومي. د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر. الناشر: دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ه. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب.

فطرية الإيمان للدكتور جستون باريت. ترجمة مركز دلائل الطبعة الأولى ١٤٣٨ه.

كتاب رفع النقاب عن تنقيح الشهاب لأبي عبد الله الحسين الرجراجي الشوشاوي. المحقق أحمد بن محمد السراج وعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م.

الكلمات لبديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي الطبعة السابعة. ٢٠١٤. الناشر: دار سوزلر للنشر.

لسان العرب لابن منظور. الناشر: دار صادر بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١٤ه.

مجموع الفتاوى لتقي الدين ابن تيمية. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. الطبعة الأولى١٤٢٣ه/٢٠٠٥م.

مختار الصحاح لأبي عبد الله الحنفي الرازي. المحقق: يوسف الشيخ محمد. الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية. بيروت- صيدا. الطبعة الخامسة ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.

مدارج السالكين في منازل السائرين. الناشر: دار العطاءات العلم الرياض. دار ابن حزم بيروت. الطبعة الثانية ١٤٤١ه/ ٢٠١٩م. تحقيق: محمد جمال الإصلاحي ونبيل بن ناصر السندي ومحمد عزيز شمس.

معالم السنن لأبي سليمان الخطابي. الناشر: المطبعة العلمية حلب. الطبعة الأولى: ١٣٥١ه/ ١٩٣٢م.

مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور للعلامة فريد الأنصاري. دار النيل للطباعة والنشر. ١٤٣١ه.

مفاتيح الغيب للفخر الرازي. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثالثة.

٥١٤٢٠هـ.

المكتوبات لبديع الزمان النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي الطبعة السابعة. ٢٠١٤. الناشر: دار سوزلر للنشر.

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. الناشر: المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمود الطناحي.

* * *

الهوامش:

[1] لسان العرب، مادة فطر. 5/ 56. وانظر: مختار الصحاح ص: 241.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. باب ما قيل في أولاد المشركين برقم 1385. ومسلم في كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين. رقم 2658.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين. رقم: 1385. وبرقم: 1359. وبرقم: 4775. ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين. برقم: 2658 بألفاظ عدة.

[4] فتح الباري في شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر339/10.

[5] معالم السنن للخطابي. 31/1. وانظر: فتح الباري339/10، وانظر: النهاية لابن الأثير 458/3، وانظر: البناية شرح الهداية للعيني 313/1.

[6] فتح الباري لابن حجر. 339/10.

[7] براهين وجود الله لسامي عامري. ص170.

[8] العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. 169/6

[9] رفع النقاب عن تنقيح الشهاب لأبي عبد الله الحسين الرجراجي الشوشاوي. 624/1.

[10] الحدسيات: **هي التي يُدركها العقل بواسطة حدس ظاهر يُفيد اليقين(أي تخمين ظاهر) مثل نور القمر مُستفاد من الشمس**. انظر: شرح السُلم المنورق للأخضري لعبد الرحيم فرج الجندي. ص113.

[11] الإلهام: **ما وقع في القلب من علم**. انظر: التعريفات للشريف الجرجاني. ص34.

[12] المثنوي العربي. ص420.

[13] مدارج السالكين لابن القيم. 17/4.

[14] البواعث النفسية للإلحاد لرشود عمر التميمي ص17 وما بعدها.

[15] Vol.40(3).str. 351-2007Key psychological lssues in the study of Religion Olivera Petrovich. Psihologija, 363/

[16] فطرية الإيمان لجستون باريت. ص168. وانظر: براهين وجود الله للدكتور سامي عامري ص172.

[17] ثمرة الكون: **هي الإنسان. قال بديع الزمان: العقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولُبّه وبفضلهما استطاع أن يصبح ثمرة الكون...** انظر: مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور لفريد الأنصاري. ص196.

[18] الكلمات. ص827.

[19] مفاتيح الغيب للفخر الرازي. 418/9. وانظر: النبوة ضرورة لخلقة الإنسان وتأسيسه المعرفي للدكتور راجح عبد الحميد. ص199. وانظر: خصائص النبوة لجاسم فاخر الموسوي. ص488.

[20] مجموع الفتاوى لابن تيمية. ص 93/19.

[21] انظر: صيقل الإسلام. ص 128 بتصرف.

[22] أخرجه الترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: 3638. قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بمتصل. قال المباركفوري: قوله ليس إسناده بمتصل لأن إبراهيم بن محمد لم يسمع من جده علي تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: (4 / 303).

[23] أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. رقم 2485. وصححه ابن حجر في فتح الباري على شرح صحيح البخاري 56/1.

[24] الكلمات. ص 257.

[25] صيقل الإسلام. ص 128.

[26] الإيمان والعلم الحديث لمحمد حسين أديب. ص 115. وانظر: أوجه الرحمة المتعلقة بالغيبيات. ص225.

[27] المكتوبات. ص 153.

[28] الكلمات. ص607.

[29] كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان لمصطفى محمود. ص52

[30] كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان لمصطفى محمود. ص52. وانظر: كتاب حوار مع صديقي الملحد له كذلك. ص23.

[31] الكلمات ص606. وانظر: صيقل الإسلام ص126.

[32] يُشير العلامة وحيد الدين خان رحمه الله إلى أن: **الإيمان بالبعث حاجة نفسية وجدانية من الحواس الباطنية.** وقد عقد الإمام القرافي في الذخيرة فصلا بعنوان: **الطرق المحصلة للعلم غير التواتر وذكر منها: الحِس الوجداني فقال: وهي سبعة: كون المخبر عنه معلوما بالضرورة، أو الاستدلال أو خبر الله تعالى، أو خبر الرسول عليه السلام، أو خبر مجموع الأمة، أو الجمع العظيم عن الوجدانيات في نفوسهم، أو القرائن عند إمام الحرمين والغزالي والنظام.** الذخيرة للإمام القرافي. 119/1.

[33] الإسلام يتحدى مدخل علمي للإيمان لوحيد الدين خان. ص114.

الفطرية، الأصول البنائية، والمميزات الإنسانية

محمد منصف[1] - بني ملال المغرب

- ملخص-

في سياق التدافع الحضاري المحموم، أصبح لزاما على الإنسانية جمعاء، البحث عن قواسم مشتركة، توحّد بين أبنائها؛ ويبدو أن أهم منطلق في ذلك، يكمن في تشابه "الانسان" في المقاييس الكلية الحاكمة على الأفكار والمبادئ والقيم، وهو أمر مركوز في النفس جِبلّة، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة: (فِطْرَت اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه) (سورة الروم، 30)؛ الأمر الذي يعني كل إنسان قادر على معرفة الحق والصواب، إن هو رجع إلى أصل خلقته الأولى، التي خلقه عليها ربه جل وعلا، ومدحه قائلا: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (سورة التين، 4)، وتبعا لهذه الخلقة القويمة الفطرية فيه، أخذ تعالى على الانسان الميثاق، وحمّله مسؤولية الخلافة والعمران، مما يجيز لنا طرح التساؤل، عن ماهية "الفطرة" وحقيقتها، وكيف تساعدنا "الفطرية" بأصولها الوجدانية المتأصلة في النفس، وكذا تلك التربوية المكتسبة؛ في تحقيق الرقابة النفسية لتسديد الفعل الإنساني، والإجابة عن سؤال علاقة الأنا بالآخر؟

الكلمات المفتاحية: الفطرية، الضمير، البعد الإنساني، الوعي الأخلاقي.

Innateness, Foundational Principles, and Human Characteristics

Mohammed Monsif – Beni Mellal, Morocc

-Abstract-

In today's world, where cultures and civilizations often compete, it has become imperative for humanity to seek shared values that bring people together. One of the most foundational starting points for such unity lies in the fundamental human similarities within the overarching standards that govern ideas,

principles, and values. This intrinsic nature is embedded within the soul, as affirmed in the Qur'an: "This is the natural disposition of God upon which He has created mankind; no change should there be in God's creation" [Qur'an 30:30]. This implies that each individual possesses the capacity to recognize truth and righteousness, so long as they remain connected to their original, natural state—the form in which God created them. As the verse states: "Indeed, We created man in the best form" [Qur'an 95:4].

In light of this virtuous creation, God entrusted humanity with the responsibility of stewardship and civilizational development. This raises key questions: What is fitrah, or the natural human disposition? How can its emotional roots and ethically nurtured dimensions foster internal moral regulation? And how does this framework inform our understanding of the relationship between the self and the other?

Keywords: Fitrah, conscience, human dimension, moral awareness.

* * *

المبحث الأول: (مدخل مفاهيمي تأسيسي)

1. لاشك أن بيان موضوع كل بحث، ينطلق ابتداء من تحديد المفاهيم المؤسسة له، إذ المفاهيم هي "اللبنات التي تؤسس المنهجية، ومن تم فما من عمل منهاجي إلا ويكون قوامه عملية التأصيل للمفاهيم"[2]، وإلا ظل موضوع البحث فضفاضا من غير تحديد، وأخذت الألفاظ معاني متعددة وربما متباينة؛ لأجل ذلك نبسط القول أولا في تحديد مفهوم "الفطرية" قبل النظر في أصولها ومميزاتها.المطلب الأول: في تحديد الدلالة اللغوية للفطرية:

بالعودة إلى معاجم اللغة؛ نجد الفطرية مصدر صناعي مأخوذ من الفطرة، أي عن الجذر اللغوي "الفاء والطاء والراء"؛ فما معاني هذا الأصل اللغوي إذن، وما دلالاته المعرفية والمنهجية التي يقدمها؟

لقد اتفقت قواميس اللغة أن: "الفاء والطاء والراء" أصل صحيح دال على فتح شيء وابرازهِ[3]، ولهذا الأصل معاني عدة بيانها كالاتي:

2. المعنى الأول: الخلق، والايجاد والانشاء، والابتداء، والاختراع، والابتداع[4].

وهذه المعاني والدلالات، جاءت بها نصوص القرآن الكريم، وأكدتها السنة النبوية، وهي كذلك سارية على لسان العرب.

فمن القرآن الكريم: قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[5]، وقوله عز

وجل: (إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)[6]، وغير هذه الآيات كثير مما يدل معنى الفطر فيه على الخلق والايجاد على غير مثال سابق.

ومن السنة، قول النبي ﷺ حين قيامه إلى الصلاة: إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض"[7]، وقوله ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة"[8]، أي الخِلقة التي يولد عليها أول الأمر.

والذي يمكن اعتباره هنا، أن الفطر والذي جاء بمعنى الخلق، قد ورد لفظاً شاملاً وعاماً، منسوبا لله تعالى، فجميع الخلائق من صنعه سبحانه، ومن أكرم خلقه، هذا الانسان، والذي يشترك مع أخيه الانسان في البذرة الأولى للبشرية، وإليها يرجع أبناء الجنس الإنساني قاطبة، تلك النفس المكنونة التي تعد أصلا للجميع، مما يمكن معه القول: إن النبع الإنساني داع إلى الوحد الإنسانية، نابذ للنزعة الفردانية.

المعنى الثاني: الفطر بالفتح الشق، وقيل انه الشق الأول[9]، وجمعه فطور، يقال فطر ناب البعير، إذا شق اللحم وطلع[10]؛ وفطر الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ تشقق، وانْفَطر الثوب إِذا انشق، فطر: النبات شق الأرض ونبت، ويقال انفطر الغصن بدأ نبات ورقه[11]، وهذا المعنى كذلك منزل في آي القرآن، ووارد بالحديث النبوي، وشائع في لسان العرب وكلامهم.

ففي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: (إذا السَّمَاءُ انْفَطَرت)"[12] أي انشقت؛ وشواهد هذا المعنى، ما روته عائشة رضي الله عنها في أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه[13]، أي تنشق.

وتَفَطَّرتِ الجبالُ والأرض: انصدعت، وفَطَرْتُ إِصْبَعَهُ أي: ضربتها وغمزتها فانفطرتْ دماً. ومنه قول خلف بن خليفة الأشجعي: (وأرنبةٍ لك مُحْمرّةٍ ... نكاد نفطِرُها باليد)[14].

ولما كان من معاني الفطر الشَّق، وفي أحد دلالات هذا الأخير الشِّقّ وهو الشقيق والأخ وشِقُّ النفس، كالخشبةٍ جعلت شِقّيْنِ، جاز لنا اعتبار هذا المعنى أصلا في مفهوم الفطرية والتي تهدف الى إيجاد الشقيق وضمه إلى شقيقه في الانسانية، وردم الهوة والشقة بينهم، فما الشِّقَّة إلا شَظِيَّةٌ تُشَظَّى من لوحٍ أو خشب؛ ولما كان الشّقُّ نصف الشّيء، ارتأت الفطرية في منهاجها أن تبحث لكل انسان عن شبيهه حتى يكتمل، فيصيرا شقائق[15]، وأشقة في الإنسانية ولوازمها ومشتركاتها.

المعنى الثالث: الأصل الأول؛ ومنه قولهم جلد فطير أي لم يلق في الدباغ، والفُطارِيُّ: الرجلُ لا خَيْرَ فيه ولا شَرَّ، مأخوذ من السيف الفُطَار الذي لا يقطع؛ ورأي فطير خطر بالبال وأبدى بلا تثبت؛ فالفطري كل ما هو باق على اصل خلقته ولم يتغير، وما يزال على أصله الأول؛ ولما كان أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه، كانت أصول العلوم، قواعدها التي تبنى عليها الأحكام[16]؛ ومعلوم أن هذه القواعد تكون جامعة عامة منطبقة على كل أفرادها؛ وكذلك هو الأصل الفطري الإنساني منطبق على كل النوع البشري، شامل لكل أبنائه من غير استثناء، فالفطرية أصل مشترك.

ولما كان من معاني الفطرة الأصل الأول، والذي هو وازع إنساني مشترك، فَلِم التفريق بين بني البشر ومنطلق حياتهم واحد؟ ألا يمكن اعتبار هذا الأصل المشترك منطلقا نفسيا يُفضي إلى مشتركات إنسانية أكبر، تعود بالخير على كل إنسان من حيث هو إنسان؟

إذن، وبإجلاء النظر في ما تقدم من معان لغوية، نجدها تكاد تتفق في اعتبار الفطرة، الخلقة الأولية الأصلية التي أوجد عليها الخالق خلقه، والصبغة الأولى التي أودعها سبحانه في كل شيء؛ ولذا أخذنا منها مصدر "الفطرية"، ليكون منهاجا في العودة الى هذا الأصل الأول المركوز في النفس، والقائل "إن الأفكار والمبادئ جبلية وموجودة في النفس قبل التجربة والتلقين"[17]، فإن لم تكن بالفعل فهي متحصلة بالقوة، فتكون الفطرية أصل إنساني مميز ومشترك بين كل الإخوة في الإنسانية، فهي -الفطرية- بهذا المعنى أصل منهجي ومفهوم معرفي إنساني، حررناه لنعبر به عن مبدأ العودة الى الأصل البشري الأول، والبحث فيما يتيحه من مميزات ومشتركات في النفس والواقع، بين الأنا والآخر.

المطلب الثاني: في تحديد الدلالة الاصطلاحية للفطرية:

نحاول في هذا المطلب تتبع مواطن ورود لفظ الفطرة لاستنباط حد جامع للفظ "الفطرية"، وذلك انطلاقا من حقلي علم الكلام والفلسفة.

1- الفطرية وعلم الكلام

يتناول المتكلمون مفهوم الفطرة، عند حديثهم عن مباحث الخلق والجبر والاختيار، وإثبات العذاب والجزاء، وذلك لاعتبار هذه الخلقة الأولى متأثرة ومؤثرة في عمل العبد ومصيره، ولن نعمد ها هنا إلى -إيراد الشبهات والاعتراضات، والرد عليها- وإنما حسبنا بيان حد اللفظ عند بعضهم، وفي ما يلي بعض التعريفات لبعض علماء الكلام.

-يقول الآمدي: الطبيعة[18] ما كان من الصفات الأولية لكل شيء كالحرارة بالنسبة للنار، وعلى أغلب الكيفيات المتضادة في الأشياء الممتزجة كالبرودة بالنسبة إلى الأفيون، وعلى الاستعداد بالقوى في الشيء لقبول كمال آخر، كاستعداد الذكي السليم الفطرة لقبول العلم والتعلم، وعلى كل ما يقع اهتداء الفاعل إليه من غير تعليم كرضاع الطفل وضحكه وبكائه ونحوه[19].

-ويقول ابن عبد البر: " الفطرة البدأة التي ابتدأهم عليها وما يصيرون إليه من الشقاء والسعادة"[20]، ولعله -رحمه الله- قصد إلى معناها اللغوي دون الاصطلاحي الشرعي، وهذا أحد مدخلاتنا لفهم حقيقة الفطرة في هذه لأطروحة.

قال الجرجاني: الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين[21].

فهي "الجبلة"، لكن قد نختلف حول الدين، فينبغي تقرير أي دين، أم أن لفظ الدين هنا يحمل على عمومه، فيكون كل دين داخل تحت هذا المسمى سواء كان دينا منزلا أم وضعيا، فيشمل كل ما يتدين به الانسان ويعتقده.

-يقول الأصفهاني: فطرة الله: أي ما أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى، والايمان به[22]؛ فقرن الراغب لفظ الفطرة بمعرفة الله تعالى والايمان به، ولعله عدل -رحمه الله- عن حقيقة جذر الكلمة، ونظر في دلالته الشرعية دون اعتبار اللغوية والجمع بينهما..

-قال الكفوي: الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته الفلاح الفوز والنجاة والبقاء في الخير والظفر وإدراك البغية والفلاح، ومنه قيل الحديد بالحديد يفلح[23].

وهذا معنى حسن من أبي البقاء، حيث بين كونها صفة سارية في كل مخلوق، وهي هادية الى جملة من معاني الخير والفلاح، غير أن اعتبارها صفة، فمحل نظر، إذ الصفة قد تكون داخلة على الموصوف، والفطرة ليست أمرا تابعا، بل هي أصلية في الانسان وليست داخلة عليه.

-قال ابن حجر في الفتح: "الفطرة أصل الخلقة[24]، فهي الخلقة المبتدأة، التي ابتدأ الله خلقه عليها[25]. وفي بعض مواضعه من شرح البخاري، يعرف الفطرة بأنها الإسلام، ويسرد أقوالا عدة في هذا المعنى، وهي كلها معانٍ يحتاج معها إلى بيان وتدليل في اعتبارها أو إلغائها.

-قال التهانوي في كشافه: "...وقد اختلفوا في معناها. فقيل: الفطرة الخلقة من الفاطر

الخالق، وقيل الفطرة الإسلام، وقيل الفطرة البدأة التي أبتدأهم عليها، من الحياة والموت والسعادة والشقاوة. وقيل أنّ الله تعالى قد فطرهم على الإنكار والمعرفة وعلى الكفر والإيمان فأخذ من ذرية آدم عليه السلام الميثاق حين خلقهم فقال ألست بربّكم قالوا بلى. وقيل الفطرة ما أخذ الله من الميثاق على الذّرّية وهم في أصلاب آبائهم. وقال عن الفطريات: انها قسم من المقدّمات اليقينية الضرورية[26]؛ وبهذا المعنى قدّم التهانوي في كشافه جملة من معاني الفطرة، وهي كلها تحتاج إلى استدلال عليها، وبيان ما يخدم منها أهداف الأطروحة وما هو ليس كذلك.

-يقول الدكتور فريد الأنصاري: الفطرة، ذلك السر الكامن في قلب الروح، إنها الجوهر المكنون للخلق الإنساني، والسر المصون للوجود البشري، فهي أُمّ اللطائف، ومرجع الاسرار في المعنى الوجودي لحقيقة الانسان[27]، وهي الصورة النفسانية الأولى التي خلق الله عليها الانسان بما سواها عليه من توازن وكمال، أي قبل تدخل اليد البشرية العابثة فيها بالخرم والخدش[28].

ويعتبر الفطرية، -رحمه الله-: مصدر صناعي صرف دال على معنى دعوي، واقع في الفطرة ومن أجلها، سواء في النفس أو في المجتمع، فهي مشروع دعوي عام، لتصور كلي للعمل الإسلامي، وحَدُّها: إقامة الوجه للدين حنيفا خالصا لله، وذلك بمكابدة القرآن، ومجاهدة النفس به تلقيا وبلاغا، قصد إخراجها من تشوهات الهوى الى هدى الدين القيم، ومن ظلمات الظلال الى نور العلم بالله... ثم إنها عملية إصلاحية وجدانية تقوم على تصحيح ما فسد من فطرة الانسان المجبول أصلا على اخلاص التوحيد، وإصلاح ما أصابها من تشوهات تصورية وسلوكية في شتى امتداداتها العمرانية[29]. وبهذا المعنى يبين د. الأنصاري، -رحمة الله عليه- مقصوده بالفطرية، وهو اعتبارها حركة إصلاحية دعوية، وهو معنى حسن فاضل منه رحمه الله، ولعل ما نرجو إضافته هو جعل الفطرية معنى عام يتجاوز الدعوة إلى المعرفة والتعبد والإصلاح وتشييد قاعدة مشتركة بين جميع أبناء البشرية.

هكذا، ومن خلال ما تقدم من التعريفات لمفهوم الفطرة، أو الفطرية، يمكننا القول: إنها -الفطرة- صفة خِلقية وخُلقية وجبلة جعلها الله تعالى في كل إنسان، وهي هادية إلى جملة من المعارف المنهجية والقضايا الإنسانية المشتركة.

2- الفطرية والفلسفة

تناولت الفلسفة مفهوم "الفطري والطبيعي" في مقابل "المكتسب والثقافي"، حتى شاعت هذه الثنائية في هذا الحقل المعرفي، وبين الفلاسفة أنواعا عدة للفطرة بيانها كالآتي:

الفطرة الخيرة

إن أول الآراء في هذا المبحث هو القائل بخيرية الفطرة وصفائها، فهي في أساسها خيرة، والشر خارج عنها، وما يظهره الإنسان من عداء وقسوة، فليس كامن في طبيعته، بل هو إنكار وتعارض مع هذه الطبيعة، ومنه نجد الفرد الإنساني أقل إنسانية حين يكون شريرا، فالشر يحط من إنسانيته أو يتعارض معها، فالشخصية السوية من تميل نحو فعل الخير، وأما نقيض ذلك، فما هو إلا سوء توجيه لهذا النزوع الفطري الخيري في الانسان، الذي يقصد الخير بفطرته قبل التجربة والتلقين[30].

وإلى هذا الرأي ذهب الجمع الغفير من الفلاسفة[31]، وأهم من انتصر له ودافع عليه جون جاك روسو، إذ يقرر في أميل أو في التربية أن "كل شيء يخرج من يد الخالق صالحا"[32]، وذلك ناشئ عن صلاح الخالق نفسه، ثم يقول " والخبث طارئ ولا علاقة له بالخلقة الفطرية"[33] فالخير أصلي فطري، والشر طارئ مكتسب، ولذا نادى روسو بضرورة العودة إلى حالة الطبيعة الأولى، والتي فيها وازع الضمير مقياسا للخير والشر، وقد دافع عن هذا القول في معظم مؤلفاته التي وقفنا عندها[34]، حتى صار إمام هذا التيار القائل بخيرية الفطرة الإنسانية، وأن الشر طارئ عليها.

تعليق: إن القول بخيرية الفطرة الإنسانية لا ينفي مطلقا وجود الشر، لقوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[35]، فالإنسان مخلوق بقوى وملكات يمكن توجهيها إلى الخير أو الشر؛ ففطرته إذن ليست خيرًا محضًا ولا شرًا محضًا، وإن برزت إرادة الخير في بعض الناس، وإرادة ضده في البعض الآخر، وذلك يشير إليه حديث "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا..."[36] غير أنهم مسؤولون عن تصرفاتهم وأعمالهم وذلك بما ثبت لهم من حرية الإرادة واختيار الفعل، الذي يرتبط به العقاب والجزاء، بالنص المنزل: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)[37]، وهكذا يظل الإنسان مترددا بين معنى الخير والشر؛ فليس ثمة واحدا منهما محضا.

3. الفطرة الشريرة:

وفي هذا التيار يولد الانسان مزودا بالخطيئة الأولى، فهو شرير بطبعه، وما هبطت النفس من عالم المثل، إلا لاقترافها ذاك الخطأ، وما وجودها في الحياة إلا تكفير عن خطيئتها تلك"[38]، وأثناء رحلته في هذه الدنيا اتضحت معالم شره، حتى صار "الانسان ذئبا تجاه أخيه الانسان، بفطرته يسعى وراء اللذة وتجنب الألم"[39] وحتى لو حاول أن يظهر بعض الخير فيه، فما ذاك إلا تحايل منه وتغطية لغريزته الشريرة، بل "إن الطفل ليشبه الانسان المتوحش، إن ملامحه الجسدية، وغرائزه الخلقية لتندرنا بالمتوحش"[40]، منذ أول ولادته إلى حتفه.

ومن أبرز دعاة هذا المذهب، سيغموند فرويد، والذي يرى أن الطفل مطبوع على الشر، تحكمه الغرائز التي أهمها عنده "غريزة الجنس" فطبيعة الانسان طبيعة شهوانية وليست بخيرة، تحكمها الكراهية الكامنة أصالة في الطبيعة الإنسانية، ومهما حاول الضمير كبحها، فإنها تظهر في لحظات العضب واللاشعور[41]، فالشر في البشرية أصلي حقيقي، والخير تَبَعيّ مزيف.

تعليق:

إن القول بملازمة الخطيئة الأولى للإنسان تعسّف من غير دليل، فلا تجترح نفس إثمًا إلا عليها، ولا تؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى، وركبت من الخطيئة سواها، بل كل ذي إثم معاقب بإثمه، مأخوذ بذنبه، ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام، بل عليها إثمها دون إثم غيرها؛ فكل أحد مختص بذنب نفسه؛ كما لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالإثم، لأن غيره عمل به[42]، ولا يؤخذ الفاعل بفعله وذنبه، إلا إذا كان متسببا فيه، وذلك عملا بمبدأ "وزر التسبب في الأوزار" وقد قال تعالى: (لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ)[43]؛ فمن كان إماما في الضلالة ودعا إليها فإنه يحمل وزر من أضله من غير أن ينقص من وزر المضل شيء[44]، ولنا هنا أن نتساءل مع هذا المنهج الفلسفي، ونطرح السؤال الآتي: هل يرتاح الانسان نفسيا حين يفعل الشر، ويشقى حين يفعل الخير؟ فكيف يكون الانسان إذن شرير بطبعه... وكيف ينسب الخالق سبحانه الفطرة الى نفسه، والى ذاته العلية، ثم تكون شرا، وفي الحديث النبوي: "والشر ليس اليك"[45]، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[46].

4. الفطرة المحايدة.

وهذا التيار يقول بحياد الفطرة وأنها صفحة بيضاء، فهي ليست خيرا ولا شرا، ولكنها صالحة لأن تكون أحدهما أو كليهما بحسب التربية ووسط العيش، وأهم من انتصر لهذا المذهب هم الفلاسفة التجريبيون، كجون لوك ودافيد هيوم، إذ يرون أن الإنسان يولد لا أدريا خلوا من كل شيء، فيكون خيرا عندما يحسن استعمال ارادته، عن طريق المعرفة الحقة بمعنى الفضيلة، وأما إذا نقص علمه بهذه الأخيرة، أو لم يعلمها فإن إرادته ستنحرف نحو الرذيلة، ويكون حينها الانسان قد اختار بحرية أن يكون شريرا متصفا بالرذيلة بدل الفضيلة[47].

تعليق: إن القول بحياد الفطرة في الفكر الفلسفي، معناه أن الانسان يولد صفحة بيضاء خالية من أي معرفة مسبقة قطعا، فلا تعلم خيرا ولا شرا، ولا تميز بينهما أصلا، فكل تتأتى للنفس فهي من خارج، ولعل هذا مخالف لقول الحق سبحانه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)[48]، وقد نقل ابن جرير عن ابن عباس وعن مجاهد، أنه سبحانه علمه اسم كل شيء[49]، أي أن الخالق سبحانه علم آدم مسميات الأسماء بأن ألقى في رُوعه ما تحتاج إليه ذريته من اللغات والحروف، وخواص الأشياء ومنافعها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة، إظهاراً لعجزهم، وتشريفاً لآدم بالعلم[50]، فكيف لنا أن ننكر هذا التعليم الأولي لآدم عليه السلام؟ وهو تعالى يقول لنبيه عليه السلام: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)[51]، وعامة أهل التفسير على أن هذا التذكير والإذكار، إنما هو تذكير من النسيان[52].

3. المنكرون للفطرة

ومن أهل الفلسفة من ينادي بعدم وجود ما يسمى "فطرة" فيلغيها تماما، وذلك هو المذهب الماركسي الذي يرى أن الإنسان يولد صفحة بيضاء مجردة من أي معنى أولي سابق، والأصل في الأشياء هو المادة الموسومة بالأزلية والأبدية، ويحتكم كل شيء لتفاعلاتها، بما في ذلك الإنسان الخاضع لصراع متناقضاتها في أفكاره ومشاعره، وأنظمة مؤسساته، وقيمه ومبادئه، وكل حركته خلال التاريخ[53]، فهو وليد حركية مجتمعية وسلسلة تفاعلية من العلاقات المادية الجدلية، كما أن التفسير المادي للتاريخ ينكر وجود القيم في الحياة البشرية وجودا ثابتا، أو قائما بذاته، وإنما كل ذلك نتاج المادة والمرحلة الاقتصادية هي التي تعين القيم أو تبعدها[54]، فليس ثمة ما قد نسميه طبيعة أو فطرة أو

جبلة، وإنما هي المادة وتفاعلاتها.

تعليق:

ان تركيز ماركس على المعطى المادي الميكانيكي وحده في تفسير جميع الظواهر الإنسانية، هو نوع من النفي للفطرة الخيرة، واعتبار المادة الخالصة هي التي تحدد سلوكنا وتوجهه، فإغفال الجانب الروحي في الانسان تماماً، أمر ترفضه كل الفلسفات والثقافات بله الديانات، فالجانب العقائدي مثلا سواء أكان فطريا أم مكتسبا أمر لا يمكن الاستغناء عنه، وهذا أمر معلوم في جينالوجيا التدين الإنساني، وإذا قلنا إن نزعة التدين ليست غريزية تولد مع الانسان، فكيف لنا بغريزة الجنس والتكاثر والحب والتصرفات العاطفية والنفسية؟ وهو ما يوضحه كارل ماركس وهو أحد رواد الفلسفة المادية، إذ يرى أن أغلب الغرائز تمتاز بتأثير بالغ وتثير درجة كبيرة من الحيرة، وكيفية نشوئها وتطورها ربما تبدو لقارئ نظريتي كافية لهدم نظريتي من الأساس[55]. كما أن الكائنات الحية تتحرك بواسطة إلهام إلهي مزروع فيها بالفطرة، فما السبيل إلى إنكارها تماما؟ والرحمن يقول: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآن خَلَقَ الإِنْسَان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[56].

التعريف الخاص للفطرية

من خلال كل ما سبق من معاني الفطرة، يمكن تعريف الفطرية كما يلي:

الفطرية: أصل إنساني، ومعرفي منهاجي؛ يُقصد به العودة الى الأصل البشري الأول، وتطويره بما يخدم بناء المشترك الإنساني، وإقامة مصالح الانسانية.

المبحث الثاني: في أصول الفطريـــة:

المطلب الأول: أصول وجدانية متأصلة:

ونقصد بها تلك الأسس التي تقوم عليها هذه الخصيصة الإنسانية، والتي هي نابعة من حواس الإنسان وفؤاده، وذلك أنه مهما تباين جنسه ونوعه، واختلفت ثقافته وفكره، فإنه داخل تحت قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[57]، وهي على قسمين:

الأصل الأول: عامل الخوف الإنساني وحضور الفؤاد

منذ فجر الخليقة والانسان تصيبه الكوارث والفواجع، وتهدده الطبيعة بمختلف مكوناتها وقواها، حتى صار يلتجئ الى قوى خارجية تزيح عنه شدته وضره، فيعتقد فيها

العون والنصر، وهو ما نلحظه في الأمم السابقة من التوجه إلى إله المطر، وإله الشمس، وإله الخصب...، وذلك انطلاقا من وازع جبلي في الانسان دفعه إليه الإحساس بالخوف، من غير أن يكون قد أنزل إليه رسول، أو عرف رسالة، فكان من ذلك ما قررته مباحث علم نشأة الأديان، حيث وُجد الاتجاه الطبيعي مع ماكس مولر، والاتجاه الحيوي الروحي رفقة تايلور وسبنسر متمثلا في عبادة الأسلاف وتناسخ الأرواح، ثم الاتجاه الطوطمي مع دوركايم، وكلها اتجاهات تبين أن الإنسان بفطرته وغريزته وإحساسه بالخوف، كان يتوجه إلى قوى يحتمي فيها ويتوجه إليها لتنجيه من غضب الطبيعة بحسب تعبيره[58].

وفي نصوص الديانات المنزلة يظل عامل الخوف حاضراً وبقوة في توجه الانسان إلى خالقه، ورجوعه إلى فطرته ابتداء، ففي العهد القديم من الكتاب المقدس نقرأ قوله: "لا تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ لَا تَتَلَفَّتْ حَوْلَكَ جَزَعاً، لأَنِّي إِلَهُكَ، أُشَدِّدُكَ وَأُعِينُكَ وَأَعْضُدُكَ بِيَمِينِ بِرِّي"[59]، فالخوف مدعاة للجزع والبحث عن سند يكون معينا على تجاوز الشدائد، وهو فطرة موقظة لعمل القلب بالتوجه إلى خالقه والتوكل عليه.

وفي الشرع الإسلامي، نجد النصوص توضح بجلاء أن خوف الفؤاد وتوجهه إلى ربه يعيد الانسان الى فطريته الأولى، فتبرز وتعود إلى أصل خلقتها، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِين)[60]، فهذا اللجوء الى الله ودعاؤه إنما كان لغلبة الفطرة وجلائها في الحال التي هم فيها؛ فالشدة، والسقم، والجدب، دعت مشركي قريش ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه الخصب، فإن أجابه صدقوه...[61]، ومن ثمة جاز لنا القول إن الخوف أمر طبيعي غريزي في الإنسان وليس يستثنى منه أحد، يقول تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[62]؛ فالخوف عامل نفسي فطري في كل المخلوقات، ولا يمكن دفعه بحال من الأحوال.

إن الخوف حالة تعتري الإنسان بطبعه، وهي أصلية فيه، والطمأنينة هي الحالة المستحدثة تخفيفاً عليه من الضغوطات، وذلك مصداقا لقوله تعالى ممتناً على عباده: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)[63]، وكان من دعائه عليه السلام: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم..."[64]، ولأجل فطرية الخوف وجبليته في كل انسان، قلنا إنه سلوك وشعور إنساني مشترك، وجب العمل عليه كقاعدة مشتركة إما

بتوجيهه الوجهة الصحيحة، أو تعاون أبناء البشرية على محاولة التخفيف من حدته وشدته، وزرع الأمن والطمأنينة محل الخوف والجزع.

الأصل الثاني: الحواس الإنسانية وتأمل عالم الملكوت

لا يمكننا الحديث عن أصول الفطرة، دون الحديث عن جدليتها وعلاقتها بالحواس الإنسانية، فهذه الأخيرة تتدخل في تشكيل الفطرة وبلورتها، والفطرة بدورها تدفع الحواس تجاه تأمل عالم الملكوت، ولا أدل على ذلك من اعتماد العلوم العقلية على الأوليات الضرورية والمدركات الحسية الظاهرة والباطنة، "فلا يمكن إقامة أي حكم عقلي الا بعد بنائه على تلك المقدمات وهي الأمور الفطرية في الانسان"[65].

وفي معرض الحديث عن علاقة الفطرة بالحواس الإنسانية، نلحظ تأثير هذه الأخيرة في بناء وتتميم الفطرة، وذلك وفق مبدأ النظر والاعتبار، فالتأمل في الكون وما فيه من علامات دالة على صانعه الحكيم محرك لعمل الفطرة في النفس والقلب على السواء، يقول تعالى: (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)[66]، فجاء السياق جامعا بين الدعوة الى الله تعالى، والاستدلال بالآفاق والأنفس على أهمية النظر والاعتبار في ترشيد وتقوية عمل الفطرة، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ)[67]، وفي هذه دعوة الى النظر في النفس ومراحل تكوينها وتخليقها، لتحريك بواطن الانسان لتصحيح وجهته تجاه خالقه، فهذا الأسلوب القرآني الذي يخاطب الفطرة بواسطة الحواس عبر عاملي التفكر والنظر في النفس وأحوال تكوينها طوراً بعد طور، منهج يعيد الناس الى فطرتهم الأولى التي خلقوا عليها فيهتدوا إلى صوتها الأول، ويعملوا بمقتضاها.

إن تكامل حضور الحواس وعمل الفطرة يبدو بجلاء في فهم واستيعاب مختلف العلميات الاستدلالية، فمعظم المعارف تنطلق من الفطرة وهي حالة التمييز المتضمنة الإقرار بالأوائل الحسية، التي تقدمها الحواس الخمس، والأوائل العقلية التي ترد بوصفها ملكة توفر له البدهيات، وهذا يؤدي بالطفل في مرحلة التمييز إلى أن يعرف ان للأشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها، ومن الفطرة علمه بأن لا يكون جسم واحد في مكانين، ولا يكون الفعل بفاعل، ومعرفته بأن في الخبر صدقا وكذبا، وهذا مشاهد من جميع الناس في منذ نشأتهم، فهذه أوائل العقل التي لا يختلف عليها ذو

عقل[68]؛ فالإنسان لا يملك أن يعرف إلا بالانطلاق من معرفة سابقة، تحصل بضرب من الإدراك المباشر تمثله الفطرة، وهذا لا يعني أن الانسان يولد مزودا بالمعرفة، فهو في العرف الإسلامي يخرج من بطن أمه لا علم له بتاتا، كما تنطق الآية (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[69]، ولكنه في مرحلة التمييز، يميز في نفسه معرفة لا بد من الإقرار بها، لا يعرف كيف حصلت له، ولا يملك سوى استثمارها في كل توجهاته المعرفية والسلوكية اللاحقة، فهي من هذا الوجه فطرية"[70]، ثم نجد عالم الظواهر "يكلمنا وإن بسبل مختلفة بوصفه تفتحا فطريا، وبوصفه فطورا، وبوصفه موضوعية"[71]، وهو ما يوجب إعادة قراءته واستبصاره واستشرافه، ولنا هنا في ضوء هذه النظرة، أن نتأمل علاقتيهما ببعضهما بعضا، وكون عالم الملكوت متضمنا للعلوم ولا يمكنه أن يتجاهل الفطرة أو لا يعبأ بها، إذ لا تعارض بين طريق الإلهام والحدس طريق الاكتساب والفكر[72].

المطلب الثاني: أصول تربوية مكتسبة:

ونقصد بها تلك الأصول المكملة لعمل الفطرة بفعل الاكتساب وليس جبلية في خلقة الانسان، والتي توثر في شخصيته وتوثر في مكتسباته، وتقاليده وتربيته، ومن تلك الأصول تذكر:

الأصل الأول: الوعي الجمعي الأخلاقي

إن الإنسان بطبعه ينحى نحو غايات أخلاقية، يسمو بها عن المفاسد والشرور، وذاك هو عمل الضمير الذي يحاول الارتقاء بالفرد والتمييز بين الحسن والقبح، كبصيرة أخلاقية تصدر أحكاما معيارية تقوم السلوك الإنساني وتنأى به عن الانحراف، ومعلوم أن فطرة الانسان تعرض لها عوارض كثيرة تشوه معالمها، أو تفسد طبيعتها، شأنها في ذلك شأن حواس الإنسان، لذلك جعل الله سبحانه للفطرة ما تتداوى به من الداخل، وذلك هو صوت الوعي الأخلاقي الفطري الجمعي[73]، ولذا جاز لنا اعتبار الفطرة معادلا موضوعيا لمعنى الإنسانية وكل خروج عن حدها أو إخلال بها، هو خروج عن معنى الإنسانية[74].

إن الوعي الأخلاقي هو الذي يُبرز في فطرة الانسان عوائده الكريمة، التيجاء الإسلام لتعزيزها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[75]؛ فكانت الأخلاق معيارا في التمييز بين الخطأ والصواب، ومعرفة الخير من الشر، بل إنها

علم ومعرفة وتطبيق وثواب وعقاب في الدنيا وفي الآخرة، يقول (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)[76]، ولما كان من أهم آفات الأخلاق وتحدياتها، الهوى والتقليد الأعمى، قلنا إن تشكيل وعي جمعي قادر على حفظ معنى الأخلاق العامة، وإحياء للنبع الفطري الأول، ممكن بل لازم، فالعاقل يعرف بفطرته الخير من الشر، وذاك ما يحقق المجتمع الإنساني المتصف بالمثل العليا على مستوى السلوك، فلا يمكن أن يتصور المرء إنساناً يعيش بلا ضمير يحاسبه إذا أخطأ ويلومه إذا استمر في الخطأ وتمادى في الشر [77].

إن الأخلاق الجمعية بإمكانها أن تنقد البشرية -بإذن الله تعالى- من التردي في حمأة الرذيلة، التي تنشر الأمراض المادية والمعنوية، حتى تصبح خيّرة فاضلة تنعم بالصحة والسعادة والسلام، وتشارك في بناء الحياة الإنسانية المشتركة بين كل أقطار المعمور.

الأصل الثاني: الشرائـــع المنـــزلة

لقد جعل الخالق سبحانه عباده على فطرة سوية، كامنة في كل نفس بشرية، وجعل لتلك الفطرة ما يتمّمُها، وذلك هو فعل الشرائع وعمل الأنبياء، سواء ما أوحاه الله تعالى لآدم من تعليم الأسماء، أو ما جاء به الأنبياء بعدُ بُغْية قدح زناد الفطرة وإيقاظ فتيلها، ولذا وجدنا شعوب الأرض كلها تنتسب إلى شرائع منزلة، توقظ هممها وفطرها، قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ)[78] وقال: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[79]، وهذا يدل على أنه تعالى كان أبداً في جميع الملل والأمم آمراً بالإيمان وناهياً عن الكفر"[80]، فلم يخل زمان من الشرع توضيحا لحجته"[81]، وهداية للإنسان إلى فطرته، فالشرع متمم لعمل الفطرة فمن حاد عن أحدهما حاد عن الآخر[82].

فالإنسان في حاجة إلى اقتباس إنسانيته من خارج، لعجزه الجذري عن أن يكون إنسانا بمجرد الغريزة، فآدم عليه الصلاة والسلام، كان نبيا معلما مكلما، وحين صدر منه خلاف الأولى، وهبط من الجنة احتاج أن يتعلم التوبة لأنها أول خطيئة في قصة الإنسانية، (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[83]، فدل هذا على ان الشرائع تأتي موجّهة للفعل الإنساني وصوته الداخلي، الذي قد تعترضه العوارض، أو تحل به النوازل، فيكون عاجزا أمام تفسيرها أو التعامل معها، فلم يكن بد من نزول التشريعات الالهية.

وقد تضمن القرآن إشارات كثيرة تنبه على أن "الإنسانية" و"الحضارة" و"الإيمان"

كلها من بركات الأنبياء وآثار الرسالات السماوية[84]، والتي كان التعليم فيها موجه لعامة الناس، وأن الرسل أنجزوا وظائف كونية لحفظ النوع الانساني، فقد يحدث من أسباب الفناء كالكوارث الطبيعية والمجاعات والحروب والأوبئة ما يوجب التصدي لها والعمل المشترك على مواجهتها، ولهذا أرشد الله سبحانه البشرية عن طريق أنبيائه إلى وجوب الاحتياط لحفظ أنفسهم وأنسابهم وتحقيق حياة يشترك الجميع في بناء مقوماتها.

وإن من معالم صلة المعارف الإنسانية وفضائلِها بالنبوات: "دليل وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل، كعلم النجوم، فإن من بحث عنه، علم بالضرورة أنه لا يدرك إلا بإلهام وتوفيق من جهة الله تعالى، ولا سبيل إليه بالتجربة، فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا في ألف سنة مرة، فكيف ينال ذلك بالتجربة"[85]؛ ومن أحسن الأمثلة على أثر الأنبياء في المدنية ما ورد في خصال الفطرة[86]؛ بغرض تهذيب النفس وإخراج للإنسان من الهمجية، وإعلاء لشأنه أن ينحط إلى حضيض وراء مدارك البهائم؛ فلولا الإرشاد الإلهي إلى هذا النظام الفطري البديع، الجامع بين فوائد نفسية وبدنية واجتماعية، والهادي لآفاق التمدن الإنساني الرفيع، لأخطأت الكائنات البشرية طريقها إلى الإنسانية والعيش المشترك.

وإذا تقرر أن الطبع وحده غير كاف في إتيان الفضائل الإنسانية وإن كان يقتضيها، فهذا يعني بالمقابل أن التعليم والكسب والتكلف لا تنافي بالضرورة وصف الفطرة، ولذا وجدنا أكثر العلماء يصفون الفطرة بسنن الأنبياء[87]، أو إنها السنة القديمة التي اختارها الأنبياء[88]. وعليه كان إرسال الرسل وإنزال الكتب، من أهم الأسباب لسلامة الفطرة وتتميمها، وذلك أنها مهيأة لمعرفة الخالق والاقرار به وإيثاره على غيره والشعور به من خلال الاطلاع على أثره في خلقه، وإيضاح الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفاء أثرها، وهذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل، فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، أمر بعدل ونهي عن ظلم، وهذا مركوز في الفطرة، وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل[89].

إن عمق الإنسان الفطري، لا يتم معناه إنسانيا، إلا بنور النبوة والرسالة، ولولا ذلك لظل هذا العمق خاملا مضمرا في بواطن الخليقة، فنور الرسالة يتمم عمل الفطرة ويعلن توهجها، حتى تكون مشتركا طبيعيا إنسانيا لا يخلو منه مجتمع بشري قط، وهكذا يكون نور النبوة زناد يقدح باطن النفس ويهذبها لتتساوق وتتسابق نحو الخير وتجنب ضده، فكان بذلك "كمال الفطرة حاصل بالشرعة المنزّلة"[90]، وهذا ما يشهد به النقل والعقل،

فشهادة العقل تتمثل في تصحيح عمليات التعقل والحكم عليها، وشهادة النقل بينها الخالق سبحانه حين أرسل رسلا لتكملة تلك الفطرة والتذكير بها، فقال: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[91] وقال: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ)[92]، حتى تكون جميع أوامر الشرع مناسبة الفطرة مسايرة لها.

المبحث الثالث: في مميزات الفطرية:

إن الفطرية باعتبارها قضية منهجية إنسانية قائمة أساساً على أصول الفطرة، كما هي معروضة في القرآن والسنة النبوية ومختلف العلوم البحثية والوضعية الخادمة للإنسان في مسيرته ومساره، وبما هي محاولة لاستعادة دور الوحي التربوي والاجتماعي في النفس وفي المجتمع، عبر مختلف مداخل الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد وفي سائر مجالات العمران البشري[93]، تسعى الى الاستثمار المعرفي والمنهجي في الانسان وفق منهاج فطري جاء به القرآن، واشتغل به الرسل والانبياء مع أقوامهم، وواكبت فعله في النفس والاجتماع مختلف العلوم الساعية الى بناء الانسان وتحقيق رغباته السامية في إطار العيش المشترك، وتصحيح بعض المخالفات الإنسانية في التصور والسلوك، ولا تصحيح إلا بمنهاج فطري، وهو العودة الى الأصل الفطري في الأشياء، لإعادة بناء الانسان في سياق المشتركات الإنسانية في الحال والمآل[94].

المطلب الأول: الفطرية هبة إلهية وميزة إنسانية

تعد الفطرة الإنسانية، صورة الروح المؤمنة المجبولة على صفاء الإخلاص لله الخالق لكل شيء، ومن هنا يبدأ تصور معنى الفطرة، فيتفرع بعد ذلك الى كل اعمال الدين، سواء في ذلك ما كان من الروحانيات أو من الجسمانيات، فالفطرة -هاهنا- هبة إلهية وهيئة ايمانية، كما أنها صفة وسمة إنسانية بفعل خصالها الظاهرة، كما هو بيانها ضمن أحاديث الفطرة في الشرع الإسلامي، فهي عطاء إلهي للإنسان لا يتخلف عند أحد من خلقه، بها تترقى النفس في مدارج الانسانية، وتحقق منازل الصلاح والإصلاح[95].

الميزة الأولى: الفطرية صفة خلقية كامنة في النفس

انطلاقا من الآية المؤطِّرة لموضوع الفطرة، (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) نلحظ بيان السياق لكون الفطرة صفة جبلت عليها النفس الإنسانية، فهي كامنة في النفس لا تتخلف عند أحد، وهو ما أوضحته كثير من الآيات الدالة على لذلك البناء الفطري المغروز في أعماق النفس الإنسانية، يقول تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ

كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين)[96]، فلجوء الناس الى ربهم إظهار لمخبوء الفطرة، وإن عاد الانسان لِطَمْر هذه الفطرة وطمسها بأحد مغيراتها حين شعوره بالاستغناء فذلك لا ينفي وجودها الفعلي في الانسان.

إن الفطرة صفة خلقية كامنة في النفس، ولعل قصة سيدنا آدم ونزوعه للاستجابة باستشارة ابليس لخصائص الغريزة المادية فيه وهبوطه الى الأرض بعد ذلك، إلا دليل على تلك الفطرة التي وهبته العودة إلى باريه بالتوبة وسؤال المغفرة فتلك النزعة نحو التوبة في حقيقتها نزعة للتدين القائمة بكل انسان يتجه من خلالها الى القوة المحضة التي تنقده من عثرات المادة فيه.

كما أن كثيرا من الاعتقادات التي نجدها عند الطفل لتنبئ بفطرية بعض معارفه، فهو يمتلك معرفة فطرية بمبادئ القواعد العامة، وهو قادر على تعلم أي لغة بشرية؛ إذ ان ما يحدث هو أن الطفل عندما يجابه بمعطيات لغة معينة، يرسم خريطة الملامح السطحية على القواعد العميقة التي نال منها معرفة فطرية، وبذلك يفلح في تركيب أنموذج نحوي متماسك، يتيح له ان يفسر وينتج الجمل الجديدة في اللغة التي هو بصددها"[97]، فلكل البشر منذ الولادة نمطيات معرفية، وقدرات نفسية متخصصة موروثة جينيًا، تسمح لهم بالتعلم واكتساب المهارات، فيدركون موضوعات تعاقب الزمان وتجاور المكان، بفضل تلك الصفة النفسية، وتلك الخصائص الموحدة التي تجعل كل إنسان على وجه الأرض يحب الجمال والكمال منذ ولادته، وبغض النظر عن الثقافة ودون الحاجة إلى التلقين، تجد الطفل ينمو بنزعة بحثية داخل محيطه قصد إدراكه وفهمه ومعرفة خالقه، ولعل هذا سبب الانتشار الواسع للإيمان بالآلهة في كل الثقافات وعلى مدى التاريخ[98].

الميزة الثانية: الفطرية داعية الى وحدة الانسان

انطلاقا من قوله تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)[99]، ومن خلال التعبير -هاهنا- بلفظ الناس يتضح أن العموم دال على كون الفطرة في الناس قاسم إنساني مشترك، وخاصية سارية في الجميع سواء أكان ذكراً أو أنثى، فرداً أو جماعة، فالفطرة كسائر المفاهيم في النسق الإسلامي التي تبحث عن الجامع وليس عن الاختلاف أو الصراع، لذا برزت كمفهوم عام يجمع البشرية كلها بأبيضها وأسودها، عربيّها وعجميّها، أياً كان لسانه وجنسه، فهو بشر بفطرته مميز عن سائر الكائنات الأخرى، وعلى الجميع إحياء الفطرة السوية لتعلو فوق النزعات المغرضة للإنسان، وتعيد للنفس

البشرية سلامها وأنسها وفقا لتلك الخصائص والملكات المُشكلة لإنسانية الإنسان والفطرية فيه، مهما كان انتماؤه وعصره[100]؛ فهي خصائص التقاء الذكر والأنثى، وبها يتساوى الخلق في عموم خطاب الشرع"[101] ومنه تحمل مهمة الخلافة في الأرض، وذلك أن الحفاظ على صلاح المجتمعات البشرية مرهون بتحقيق صلاح الإنسان، ولن يتحقق هذا الصلاح إلا بالحفاظ على سلامة الفطرة من العوارض، لتظل مؤدية للغاية المنوطة بها، ولن يتم ذلك إلا بتكامل شقي الإنسانية، من الذكر والأنثى.

كما أن الفطرة تدعم فكرة "وحدة الانسان"، وذلك أننا نلحظ الانسان يشترك مع أخيه الإنسان عند مولده في أشياء كثيرة، كطبيعة الخِلْقة، والهيئة، والاحتياجات الجسدية، والغرائز النفسية، وغيرها، ثم تبدأ هذه العوامل المشتركة في التباعد والتباين شيئًا فشيئًا مع تقدم الإنسان نحو الحياة من مرحلة إلى أخرى؛ وذلك تبعًا لليد الحاضنة، والبيئة المحيطة، وتأثرًا بالدين المتبع، والثقافة السائدة، وهنا تبرز الفطرة لتذكر الناس بأن أصلهم واحد، فالجميع مزود بها، وهي محتفظة بجملة المعاني السامية التي تتيح لنا الإخاء الإنساني العام والتفاعل البنّاء لتحقيق المصالح المشتركة، استشعارا لمعنى الأخوة والوحدة والتعاون؛ (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[102].

فالأصل الإنساني واحد، والتعاون بدل العدوان واجب، ويبدو أن أقرب مدخل لذلك هو بناء هذه الوحدة على أصولها القوية، والتي لا يمكن دفعها بحال من الأحوال، فتنمو تلك الأصول وتتضح معالمها لبني البشر جميعا، وليس ذلك سوى الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وإن إخفاء هذا الأصل أو محاولة القفز عليه وتغييبه، تُعد مجازفة وتنقيصا مما فطر عليه الخالق خلقه، وتنكُّبٌ عن المداخل النفسية المشتركة لدى الانسان، الذي عنده ما يجمع أبناء جنسه أكثر مما يفرقهم، وبهذا المعنى تكون الفطرة داعية إلى خلق الاجتماع والتمدن، كأعظم أخلاق الانسان[103].

وليس بخافٍ، أن الحضارة الحقة بمختلف مخترعاتها مصدرها واحد، وهو العقل المتولد عن الفطرة الموجبة لمظاهر التقدم العقلي والمادي، كما أن الحقائق العقلية وما عاضدها من الاعتبار هو الذي تقبله الفطرة البشرية على اختلاف أصناف البشر؛ فتكون الفطرة مؤسسة لقانون الاجتماع البشري والتمدن؛ وسببا لإصلاح الفكر وصلاح العمل ووسيلة لإصلاح الاعتقاد و تكملة الوازع النفساني، وهي عند ذلك عمل عقلي صالح، به يصير إدراك ما في العمل من الصلاح واضحا فيكون الداعي إلى تحصيله منبعثا عن

النفس اختيارا[104].

المطلب الثاني: الفطرية مقوم اعتباري ومعيار انساني

تعتبر الفطرة الإنسانية موجهاً نفسياً داخلياً، وخاصة في جانبها التصويبي للمعارف والأخلاق والسلوكات، وذلك أننا نجد أن مرحلة المعرفة الفطرية، تكون سابقة لمرحلة المعرفة الحسية الواعية، مما يقتضي اللجوء الى معايير فرز الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والخير من الشر، الأمر الذي يستدعي اجراءً فوق العادة، يتمثل بتفعيل الموازين الفطرية[105]، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: الفطرية ميزان نفسي داخلي

يقدم مفهوم الفطرية قاعدة عامة، وميزاناً نفسياً داخلياً يرتفع بالإنسان نحو تحقيق مشترك إنساني عام، تشترك فيه البشرية بعمومها عبر تاريخها الطويل، بفضل رجوع الانسان إلى أصله الفطري للكشف عما يصيب النفس الإنسانية؛ يقول أبو علي ابن سينا: "الفطرة أن يتوهّم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو عاقل، لم يسمع رأياً، ولم يعتقد مذهباً، ولم يعاشر أمة، لكنّه شاهد المحسوسات، ثم يعرِض على ذهنه الأشياء شيئاً فشيئاً فإن أمكنه الشك في شيء، فالفطرة لا تشهد به، وإن لم يمكنه الشك فيه فالفطرة توجبه، وليس كلّ ما توجبه الفطرة بصادق، بل الصادق منه ما تشهد به فطرة القوة التي تسمّى عقلاً، قبل أن يعترضه الوهْم"[106]؛ ويدخل في الفطرة الآداب العتيقة التي اصطلح عليها كافة عقلاء البشر، وارتاضت نفوسهم بها، إذ كانت تفيدهم كمالاً، ولا تفضي إلى فساد، فكانت الفطرة بصفائها ميزاناً ومعياراً لفعل صاحبها، ومن حَاد عن الإيمان والحق فقد حاد عن الفطرة[107].

من ثمة أمكننا اعتبار الفطرة ضابطا منهجيا لأمور الدنيا والآخرة، وقانونا للأمة يختص بسير الناس في الدنيا ويخضع لنسق عام، هو المقاصد العامة، فالجور والمفسدة والعبث كلها أمور تخالف قانون الاجتماع البشري وهي مضادة للفطرة التي فطر الله الناس عليها باعتبار أن الفطرة هي "الحالة التي خلق الله عليها النوع الإنساني سالما من الاختلاط بالرعونات والعادات الفاسدة وهي صالحة لصدور الفضائل عنها[108]، وإذا كان المقصد العام للتشريع هو حفظ نظام العالم واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان فإنه لا يعدو أن يساير حفظ الفطرة والحذر من خرقها واختلالها، فيكون الواجب الشرعي ما أفضى إلى حفظ كيان الفطرة، والمحرم ما أفضى إلى خرق عظيم فيها، وما

كان دون ذلك من الأمرين فهو منهي أو مطلوب في الجملة وما لا يمسها فهو مباح[109].

إن تقصي حقيقة الفطرة في علاقتها بالوعي الإنساني، لينبؤنا إلى كونها أداة في التمييز بين الخير والصلاح والمعقول، وبين الشر والخطأ، فهي تشكل المبدأ الابستمولوجي الوحيد المشترك للوجود والمعرفة معا، وتضمن لهما موضوعيتهما، وهذا يعني عدم إمكان فصل المعرفة عن الوجود، فهي تتضمن الميزان أو صور الاستدلال جميعا، بالتسوية بين المتماثلات والتفرقة بين المختلفات؛ كما أنها تشكل منطلقا قبلياً ضروريا للمعرفة الاستدلالية بكل توجهاتها، وهذا يعني ان المعرفة لابد لها أن تقوم على معرفة سابقة، وبذا تؤسس لقدرات الانسان وإمكانياته في تحصيل المعرفة، وذلك باعتمادها مركزية القلب، منفعلا فاعلا، ومحلا للتصور، ونطقة الانطلاق في المعرفة والسلوك؛ كما أنها تؤكد مركزية الذات الإنسانية في الوجود، وبالتالي انسانية الوجود ومعرفته، بفعل ملكات كالدوق والحدس، إلى جوار التعقل، ووغيرها من الملكات التي تواكب الانسان في معرفته وسلوكه، كالمحبة للملائم، والنفور من الضار[110]؛ وعليه كانت الفطرة ميزانا نفسيا، بفعله كانت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور يقدفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف[111].

ثانيا: الفطرية ضمير[112] انساني يهدف للكمال

خلق الله سبحانه وتعالى عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به، ومعرفة الباطل والتكذيب به، فما كان حقاً موجوداً صدقت به الفطرة، وما كان نافعا عرفته الفطرة وأحبته واطمأنت إليه، وذلك هو المعروف، وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته وأنكرته، وذاك هو المنكر[113]، الذي يرفضه الضمير الإنساني ويلغيه، فتكون غايته "الارتفاع بالعلاقات الإنسانية فوق مستوى الكراهية والثأر، وتحريرها من سيطرة الشر عليها"[114].

فالضمير يصدر أحكاما معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية لبعض الأفعال الفردية المعينة، وحين يتعلق هذا الضمير بالأفعال المقبلة، فإنه يتخذ شكل صوت يأمر وينهى، وإذا تعلق بالأفعال الماضية، فإنه يترجم عن نفسه بمشاعر السرور والرضا، أو الألم والتأنيب"[115]، بواسطة عمل القلب، يقول تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[116]، فمن حكّم قلبه العاقل تذكّر واتعظ، واتضحت له

مصالح الدنيا ومفاسدها[117]، وفي الحديث النبوي بيان صريح لأهمية القلب في الصلاح وضده: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي: القلب"[118] ويوضح عليه السلام أهمية عمل القلب في معرفة الخير وامتثاله، بقوله: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"[119].

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى عدة نقاط أهمها:

- الفطرية أصل منهجي ومفهوم معرفي إنساني، يروم العودة الى الأصل البشري الأول، والبحث فيما يتيحه من مشتركات بين الأنا والآخر.

- للفطرة أصول وجدانية متأصلة، جماعها الحواس الإنسانية وحضور عمل القلب.

- الفطرة الإنسانية قد يصيبها الخرم والخدش، لذا كان لا بد من إقامة أصولها التربوية المكتسبة، وتفعيل موازين الفطرية.

- الفطرية مقوم اعتباري وميزان نفسي داخلي يهدف إلى تحقيق التكامل والتعاون الإنساني.

المصادر والمراجع:

مقاييس اللغة، ابن فارس.

تاج العروس من جواهر القاموس.

تهذيب اللغة، الأزهري.

المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده.

أساس البلاغة، الزمخشري.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية.

المعجم الأوسط، الطبراني.

المصباح المنير، الرافعي.

المخصص، ابن سيده.

المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء المتكلمين، الآمدي.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر.
التعريفات، الجرجاني.
المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.
معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي.
فتح الباري، ابن حجر العسقلاني.
كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي.
الفطرية بعثة التجديد المقبلة، فريد الأنصاري.
فلسفة التربية، فيليب فينكس.
العقائد الإسلامية، سيد سابق.
التخلي عن التقليد، عمر العرباوي الحملاوي.
التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، محروس سيد مرسي.
أصول التربية، أحمد علي الفنيش.
التربية عبر القرون، عبد الله عبد الدائم.
حياتي، سيغموند فرويد.
جامع البيان، الطبري.
مفاتيح الغيب، الرازي.
الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
صحيح ابن حبان.
التأملات، روني ديكارت.
جامع البيان، الطبري.
البحر المديد، أبو العباس بن عجيبة الحسني.
مفاتيح الغيب، الرازي.

الانسان بين المادية والإسلام، محمد قطب.
أصل الأنواع، تشارلز داروين.
نشأة الدين، النشار.
الدين، محمد عبد الله دراز.
النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج.
تفسير القرآن، العز بن عبد السلام.

* * *

الهوامش:

1 - طالب باحث بسلك الدكتوراه، جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ببني ملال المغرب؛ وأستاذ التعليم الثانوي التأهيلي لمادة التربية الإسلامية، بثانوية أبي بكر الصديق التأهيلية بخريبكة، المغرب.

2 - نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، أبو الفضل منى عبد المنعم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1996م، ص8.

3 - مقاييس اللغة، ابن فارس، 510/4.

4 - أنظر: العين، 417/7؛ مقاييس اللغة، 510/4؛ تاج العروس من جواهر القاموس، 326/13-331؛ تهذيب اللغة، الأزهري، 398/4؛ المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده، 152/9؛ أساس البلاغة، الزمخشري، 476/1

5 - سورة فاطر، الآية 1.

6 - سورة الزخرف، الآية 26.

7 - مسلم، رقم 771، الترمذي، 3421، ابن ماجة 2131، البيهقي 2864.

8 - البخاري، رقم 1385، مسلم، رقم 2675.

9 - تاج العروس من جواهر القاموس،326/13-331.

10 - المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، 2000م، 152/9؛ مقاييس اللغة، 510/4.

11 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 694/2.

12 - سورة الانفطار، الآية 1.

13 - البخاري، حديث رقم 4837، المعجم الأوسط، الطبراني، حديث رقم 7199.

14 - كتاب العين، 417/7.

15 - ينظر: المصباح المنير، الرافعي، 2/319؛ المخصص، ابن سيده، 27/4.

16 - الصحاح في اللغة، الجوهري، 345/2؛ مختار الصحاح، الرازي، 517/1؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 694/2.

17 - المعجم الوسيط، النجار وآخرون، 694/2.

18 - يستعمل الآمدي لفظ الطبيعة محل لفظ الفطرة.

19 - المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء المتكلمين، الآمدي، ص94-95.

20 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، 78/18.

21 - التعريفات، الجرجاني، ص 215.

22 - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص382.

23 - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص 1105.

24 - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 367/3.

25 - فتح الباري، 339/10.

26 - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، 1278/2.

27 - الفطرية بعثة التجديد المقبلة، فريد الأنصاري، ص 95.

28 - الفطرية، فريد الأنصاري، ص 95.

29 - الفطرية، الأنصاري، ص 105.

30 - فلسفة التربية، فيليب فينكس، ص 858.

31 - مال إلى هذا الرأي سقراط وأرسطو واسبينوزا ومالبرانش وليبنز... ينظر: مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد يوسف موسى، ص 61 وما بعدها.

32 - أميل أو في التربية، ص 24.

33 - أميل أو في التربية، ص 81.

34 - ينظر: كتاب دين الفطرة، ص 87 وما بعدها.

35 - سورة الشمس، الآيات 7-8.

36 - صحيح البخاري، 178/4؛ وصحيح مسلم، 1958/4.

37 - ينظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص 101، والتخلي عن التقليد، عمر العرباوي الحملاوي، ص 207.

38 - التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، محروس سيد مرسي، ص 29.

39 - أصول التربية، أحمد علي الفنيش، ص 85.

40 - التربية عبر القرون، عبد الله عبد الدائم، ص 490.

41 - حياتي، سيغموند فرويد، ص 3.

42 - جامع البيان، الطبري، 402/17، وتفسير الرازي، ص 1923؛ مفاتيح الغيب، الرازي، 2785.

43 - سورة النحل، الآية 25.

44 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 158/7.

45 - صحيح مسلم/534/1، صحيح ابن حبان، 71/5.

46 - سورة التين، الآية 4.

47 - التأملات، روني ديكارت ص 24-31.

48 - سورة البقرة، الآية 31.

49 - جامع البيان، الطبري، 483/1.

50 - البحر المديد، أبو العباس بن عجيبة الحسني، 71/1.

51 - سورة الغاشية، الآية 21.

52 - مفاتيح الغيب، الرازي، 1053.

53 - الانسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص 268.

54 - الانسان بين المادية والإسلام، ص283.

55 - أصل الأنواع، تشارلز داروين، ص 184.

56 - سورة الرحمن، الآية 1-3.

57 - سورة النحل، الآية 78.

58 - ينظر: نشأة الدين، النشار، ص33 وما بعدها؛ والدين، محمد عبد الله دراز، ص 35، ص 115؛ والنصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ص 25.

59 - سفر اشعياء، 41/10.

60 - سورة يونس، الآيات 22-23.

61 - تفسير القرآن، العز بن عبد السلام، 449/1.

62 - سورة البقرة، الآية 155.

63 - سورة قريش، الآية 4.

64 - البخاري، رقم 2822- مسلم، رقم 2706.

65 - الفطرة، حقيقتها ومذاهب الناس فيها، ص 35.

66 - سورة النحل، الآية 4-5.

67 - سورة الانفطار، الآيات 6-8.

68 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، 12/1.

69 - سورة النحل، الآية 78.

70 - المعرفة الفطرية في ضوء اسهامات الفكر العربي الإسلامي، أنور الزغبي، ص 226.

71 - مبدا العلة، مارتن هيدغر، ص 215.

72 - معيار العلم في المنطق، أبو حامد الغزالي، ص167.

73 - ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ص 542،541.

74 - ينظر: الفطرية، فريد الأنصاري، ص 39.

75 - السنن الكبرى، البيهقي، حديث رقم 20782.

76 - سورة الانفطار، الآية 13-14.

77 - الأخلاق في الإسلام د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، ص 36.

78 - سورة فاطر، الآية 24.

79 - سورة النحل، الآية 36.

80 - تفسير الفخر الرازي، ص 2713.

81 - لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيرى، 297/2.

82 - ينظر: التحرير والتنوير، 264/28.

83 - سورة البقرة، الآية 36.

84 - قصة نوح، وسفينته التي تستشعر أنها كانت فتحا حضاريا متقدما، وفي قصة يوسف ورؤياه الاستشرافية، واستخلاص ما تنبه عليه من خطط لاستشراف المستقبل وتدبير الأزمات.

85 - المنقذ من الضلال، الغزالي، 54.

86 - ينظر فتح الباري، 416/10.

87 - فتح الباري، 339/10.

88 - مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار، خليل الميس، 109/2.

89 - شفاء العليل، ابن القيم، ص 513.

90 - ينظر: درء التعارض، 277/10؛ ومجموع الفتاوى، 348/16.

91 - سورة ق، الآية 37.

92 - سورة الغاشية، الآية 21.

93 - الفطرية، الأنصاري، ص 14.

94 - ينظر: الفطرية، الأنصاري، ص39.

95 - ينظر: الفطرية، الأنصاري، ص 96-106-110.

96 - سورة لقمان، الآية 32.

97 - العقلانية فلسفة متجددة، جون كوتنجهام، ص 136 وما بعدها.

98 - ينظر: فطرية الإيمان، كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله، ص 20-21.

99 - سورة الروم، الآية 30.

100 - التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، اسماعيل راجي لفاروقي، ص149.

101 - نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص243.

102 - سورة المائدة الآية 2.

103 - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور ص 57.

104 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، ص91-92.

105 - المعرفة الفطرية في ضوء اسهامات الفكر العربي الإسلامي، أنور الزغبي، ص 236.

106 - النجاة في الحكمة الالهية، ابن سينا، ص 117.

107 - ينظر: التحرير والتنوير، 264/28؛ و194/3 وما بعدها

108 - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور58-59.

109 - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص 60.

110 - المعرفة الفطرية في ضوء اسهامات الفكر العربي الإسلامي، الزغبي ص 228-229.

111 - المنقذ من الضلال، الغزالي، ص 11.

112 - لفظ الضمير، يأتي مرادفا للفطرة الخيرة، والقلب والنفس اللوامة، ينظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد زيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى بغداد، ط2، ص38.

113 - نقض المنطق، ابن تيمية، ص 29.

114 - مع الضمير الإنساني في مسيره ومساره، خالد محمد خالد، الطبعة الثالثة، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة 1425هـ/2004م. ص 59.

115 - مفهوم الفطرة بين الفكر الإسلامي والفكر العربي، نظرة تربوية، رسالة ماجستير، للطالب محمد البيشي، اشراف الدكتور عبد اللطيف محمد بالطو، جامعة أم القرى كلية التربية مكة المكرمة، 1416هـ، ص 56.

116 - سورة ق، الآية 37.

117 - ينظر: قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، 6/1.

118 - صحيح مسلم، رقم الحديث 1599.

119 - صحيح مسلم، رقم الحديث 2553.

براهين التعرف على الله عند الاستاذ بديع الزمان النورسي برهان العلوم التجريبية أنموذجا

محمد الحيان -المغرب

- ملخص-

تروم هذه الورقة العلمية البحث والكشف عن البرهان التجريبي، وكيف أن الأستاذ بديع الزمان النورسي جعله واحدا من البراهين والأدلة التي تعرف بالله سبحانه وتعالى وتدل عليه، وكذا بمعاني وتجليات الأسماء الحسنى. والبحث في هذا الدليل والبرهان إنما هو في استثمار قواعده الكلية، الدالة على أن جميع العلوم إنما هي أداة المعرفة بالله، بخلاف ما يعتقده ويزعمه أهل الالحاد الذين استندوا إلى هذه العلوم على أنها مصدر الالحاد، لا مصدر الايمان والاعتقاد، ومن ثم أوقعوا الشرخ بين الايمان والعلم، فربطوا الايمان بالخرافة، وربطوا العلم بالحداثة، وأخذوا من العلوم التجريبية الطبيعية أرضا خصبة لبناء أفكارهم وأطروحاتهم العمياء، فصاروا يربطون كل شيء موجود في الوجود بالأسباب المادية المحضة، زعما منهم أن الطبيعة والأسباب هي التي أوجدت تلك الموجودات والكائنات، مما يستدعي البحث وتقصي الحقيقة وتتبع معالم تلك الشبهة عند الأستاذ بديع الزمان النورسي باعتباره واحدا من أعلام الفكر الاسلامي المعاصر الذي استثمر البرهان التجريبي في الدفاع عن العقيدة والايمان، حيث جعله دليلا هاديا إلى الله، ومعرفا بمعاني أسمائه الحسنى.

الكلمات المفتاحية: البراهين، التعرف على الله، النورسي، العلوم التجريبية، رسائل النور.

The Proofs for Knowing God in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi: The Proof of Empirical Sciences as a Model

Mohammed Al-Hayyan – Morocco

–Abstract–

This academic paper aims to explore the empirical proof and how Bediuzzaman Said Nursi employed it as one of the key arguments for recognizing and affirming the existence of God, as well as understanding the meanings and manifestations of His Most Beautiful Names (*al-asmāʾ al-ḥusnā*). The study investigates how Nursi utilized the foundational principles of this type of proof to demonstrate that all sciences ultimately serve as tools for knowing God—contrary to the claims of atheists, who have relied on these very sciences as a supposed foundation for disbelief rather than faith.

By divorcing faith from reason, atheists have fostered a dichotomy between religion and science, associating belief with superstition and science with modernity. They have turned the natural empirical sciences into fertile ground for promoting blind philosophical assertions, attributing all aspects of existence solely to material causes. They claim that nature and material causes alone are responsible for the creation of beings, thereby necessitating a closer investigation of such claims.

This paper seeks to analyze and deconstruct these misconceptions through the lens of Said Nursi—one of the leading figures in contemporary Islamic thought—who effectively utilized empirical proofs to defend faith and belief. Nursi repositions empirical science not as an enemy of belief, but as a guiding evidence pointing to the Divine and revealing the meanings of God's Most Beautiful Names.

Keywords: Proofs, Knowledge of God, Nursi, Empirical Sciences, Risale-i Nur.

* * *

المقدمة:

لقد أثيرت شكوك وشبهات حول العقيدة في العصر الراهن، وظهرت بلباس حديث وثوب جديد، وكان لها بريق يشد الناس لما تعلقت بالعلم التجريبي، الذي يهيئ للناس الحاجات المادية. ومنطلق هذه الشبه؛ القول بفصل العلم عن الايمان؛ لأن العلم والايمان-عندهم- شيئان منفصلان يؤدي كل منهما وظيفته بعيدا عن الآخر، فعلقوا

وظيفة العلم بالإلحاد والزندقة، وعلقوا وظيفة الايمان بالغيب والخرافة، إلا أن الله سبحانه وتعالى وتحقيقا لوعده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/9). قيض لهذه الأمة رجالا وعلماء ومفكرين، واجهوا هذا الفكر بالحجة والدليل والمحاورة العلمية، وجعلوا العقيدة قضيتهم الكبرى ومشروعهم الأول في الإصلاح، وعلى رأس هؤلاء وطليعتهم الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمة الله عليه، الذي كرس حياته للدفاع عن العقيدة وتجديد الإيمان، وصيانة العقول والقلوب من الشبه التي تحاول التشويش على الناس في ايمانهم وعقيدتهم، وهو المفكر الذي جند كل طاقاته وقدراته العلمية والمعرفية من أجل حماية العقيدة والإيمان.

وكانت شبهة الفصل بين العلم والإيمان موضع عناية بالغة، ومحل مناقشة مستفيضة في مواضع كثيرة من رسائل النور، وفي سياقات متنوعة. فأتى رحمه الله المسألة من أصلها؛ لأن هذه الشبهة (فصل العلم عن الإيمان) هي الأساس الكبير للمادية وللفكر الطبيعي، فبدأ رحمه الله من الأصل والأساس؛ لأنه بانهيار الأصل ينهار به غيره مما قام عليه.

ولقد بين رحمه الله بالبيان والإجمال، وبالاختصار والتفصيل؛ أن العلم لا يمكن أن ينفصل عن الإيمان، كما لا يمكن أن ينفصل الرأس عن الجسد، وأن هذه الشبهة ليس لها مستند شرعي، ولا أساس واقعي، ولا منطلق فلسفي عقلي. فانبرى رحمه الله إلى نقض منهج الفكر الطبيعي وبيان تهافته بالدليل العلمي نفسه، ليقلب الدليل على أصحابه، ويقلب النتيجة، فتصير المسألة هي: أن العلوم التجريبية طرق سالكة إلى الله، تعرف بالخالق بشرط استقامة المنهج، وسلامة التفكير، وجمع رحمه الله في رد هذه الشبهة بين القواعد النظرية، وبين الأمثلة العملية الواقعية من العلوم التجريبية، وزاوج بين المحاورة العلمية التجريدية، وبين التمثيل بالمحسوس.

ولهذا كانت رسائل النور أنموذجا من الموسوعات التي ساهمت في قطع حبال المد الالحادي المسيطر، بأدوات ومناهج تتناسب وأطروحات المخالفين، فلم يجدوا بدا من أن يسلموا بنتيجة كون العلوم أداة المعرفة بالله، وهي القاعدة والبرهان الذي كان حاضرا عند الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله في كليات رسائله.

وإبراز هذه القضية- أعني قضية الفصل بين العلم والايمان- من خلالها مما يرجى أن تكون له فائدة علمية كبيرة، لذا جاءت هذه الورقة البحثية لتبرز جانبا من جوانب

جهود الاستاذ بديع الزمان النورسي في الرد على من يزعم أن العلوم التجريبية ما هي إلا مصدر من مصادر الإلحاد، وهو الأمر الذي نسفه ورده الاستاذ باستقرائه لقواعد ومناهج العلوم التجريبية والطبيعية، فجاء بقاعدة عامة هامة وهي: " أن جميع العلوم- بما في ذلك العلوم التجريبية- ما هي إلا مسلك من مسالك التعرف على الله".

وينتظم الكلام حول هذه القاعدة في ثلاثة محاور رئيسية هي كالآتي:

المحور الأول: التأليف بين العلم والإيمان عند الأستاذ في كليات رسائله:

لقد اتخذ الناس العلم التجريبي منذ أعوام مضت على أنه علم مادي محض خالص، يبحث في حقائق الأشياء وحكمتها عن طريق التجربة، وعن طريق المختبرات العلمية، إلا أن الأستاذ بديع الزمان النورسي قد سلك بهذا العلم مسلكا ومنحى آخر، وإن كان في السياق الذي ظهر فيه -العلم التجريبي- لا من حيث الزمان، ولا من حيث المكان، ولا من حيث النتائج والغايات غير السياق الذي يستثمره فيه الأستاذ بديع الزمان النورسي؛ حيث يرى من خلال نظرته الموسوعية للعلوم، أنه ليس ثمت شيء في الكون إلا ويدل على الله، فجميع ما في الكون بما في ذلك العلوم و المعارف المختلفة، فإنها تعرف بالله بلغتها الخاصة، وبقواعدها وقوانينها الكلية العامة، وقد انتقد الأستاذ بديع الزمان النورسي نقدا لاذعا من يزعم أن العلوم التجريبية لا يمكن أن توصل إلى المعرفة بالله؛ لاعتمادها على المحسوسات والمجربات، وأن من أراد معرفة الله فعليه بغير هذه العلوم؛ لأن موضوعها ليس هو المعرفة بالله، وهذا الأمر هو الذي عرض له الأستاذ بديع الزمان النورسي في سياقات مختلفة من كليات رسائل النور؛ للرد على مزاعم ومطاعن أولئك الذين يأخذون العلم التجريبي أداة ووسيلة وطريقا إلى الالحاد، والانحراف العقدي والفكري.

ومن هذا المنطلق، سأحاول أن أبين كيف جعل الأستاذ بديع الزمان النورسي العلم التجريبي مسلكا ومنهجا في التعرف على الله. فقد جاء في رسائله في الكلمات؛ أن مجموعة من الطلاب أتوه مشتكين من مناهج التدريس والتحصيل بالمؤسسة التي يتابعون الدراسة فيها، ولم يسمعوا يوما على ألسنة أساتذتهم ذكر لله، مما جعل أولئك الطلبة الغيورين على دينهم وعقيدتهم وايمانهم مضطرين للذهاب إلى الأستاذ بديع الزمان النورسي من أجل أن يعرفهم بربهم وخالقهم، وقد ساق الأستاذ بديع الزمان النورسي هذه القصة في سياق التدليل والتنصيص على أن: (جميع العلوم تعرف بالله)

فقال: "جاءني فريق من طلاب الثانوية في قسطموني قائلين: عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا. فقلت لهم: "إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين".[1]

لما لاحظ وشاهد الأستاذ ـ رحمه الله ـ ورأى وسمع تسرب الالحاد إلى نفوس وعقول وقلوب أبناء المسلمين باسم العلم، تجند إلى رد تلك المزاعم والمطاعن والدعاوى المغرضة، فبين رحمه الله استنادا إلى القواعد الكلية لجميع العلوم الكونية؛ أن المعرفة بالله سبحانه وتعالى هي أس وأساس وأم سائر العلوم الكونية، بما في ذلك الطبيعية والتجريبية. يقول رحمه مبينا هذه الحقيقة: "فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى، كما أن أس هذا الاساس هو: الايمان بالله جل وعلا".[2]

وعليه؛ فإن العلوم التجريبية لم تكن قط مصدر الالحاد، ولا أصله، ولا منبعه على حد ما أوضحه الأستاذ بديع الزمان النورسي وغيره ممن ألفوا في التأليف بين العلم والإيمان، وأطبقوا جميعا على أن العلوم الكونية جميعها تؤدي إلى الايمان لا إلى الالحاد، وممن دافعوا بشدة على هذا المبدأ والاساس للعلوم، الأستاذ: حسين أفندي الجسر، وابنه، حيث قال في نص نفيس له يبرز من خلاله كون مباحث هذه العلوم تدل بقوة وبدون شك ولا ريب على الله. قال:" فليعلم أن هذه العلوم التي تقدم ذكرها... ومثلها علم الفلكيات، والجويات، وباقي العلوم الطبيعية التي تبحث عن نواميس الكائنات، من نحو نواميس النور، والماء، والهواء والكهربائية، وغير ذلك، لاشك ولا ريب أن مباحثها تدل بأقوى الأدلة على وجود الخالق لهذه الكائنات المبحوث عنها في تلك العلوم (...)".[3]

فاعتماد التجريبين والطبيعيين على الأسباب كانت إحدى وأهم العوامل التي حجبت عقولهم وقلوبهم عن الايمان بالله، وعن معرفته سبحانه، ومرد ذالك إلى أن العالم الطبيعي كان همه الوحيد: (دراسة المظاهر الطبيعية للمادة)، من غير أن يكلف نفسه ويعمل عقله فيما وراء هذه المادة. من خالقها؟ ما أصلها؟ ما علة وجودها؟ فاكتفى بالسطحيات والظواهر، بدل الحقائق والجواهر. يقول الأستاذ حسين الجسر مبينا وظيفة العالم الطبيعي:" فالعالم الطبيعي إذن يكتفي بدرس المظاهر الطبيعية للمادة، من غير أن يفكر في أصلها، وعلة وجودها".[4]

فلو فكر العالم الطبيعي في البحث عن جواب الاسئلة الثلاثة المتقدمة؛ لكان من

أقوى الناس ايمانا واعتقادا؛ لأنه أولى من غيره ممن لم يطلع على عجائب مخلوقاته، ومصنوعاته، وغرائبه. يقول حسين أفندي الجسر:" فالعلماء المطلعون على تفاصيل هذه المباحث، وتظهر لهم أسرارها، ودقائقها، وحكمها، هم الجديرون بأن يكونوا من أقوى الناس ايمانا بوجود اله العالم، الخالق الحكيم، المدبر العليم...؛ لأن أولئك القوم هم المطلعون على أعجب العجائب في مصنوعات الباري تعالى".[5]

فالعلوم التجريبية إذن لم تكن أداة ووسيلة للإلحاد، بقدر ما كانت أداة ووسيلة للتعرف على الله والدلالة عليه، وهو الأمر الذي يدافع عنه الأستاذ بديع الزمان النورسي في كلياته، معرضا عن منهج التجريبين، ومنتقدا إياه بالدليلين: البرهاني العقلي، والحسي التجريبي. يقول رحمه الله:" لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق، والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم؛ أن الخير، والحسن، والجمال، والإتقان، والكمال، هو السائد المطلق في نظام الكون، وهو المقصود لذاته، أي هي المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية، على أن في كل نوع، وفي كل طائفة انتظاما وإبداعا، بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه".[6]

فعلى وجه الاجمال والاختصار أقول: إن الأستاذ بديع الزمان النورسي اعتبر العلم التجريبي مسلكا من مسالك التعرف على الله، ولكن ليس على أساس كونه مسلكا مستقلا عن باقي المسالك والطرق الاخرى، بل هو كجزء لا يتجزأ من العلوم الكونية، ودافعه في اعتباره منهجا ومسلكا: (رد مزاعم ومطاعن الذين تعلقوا وافتتنوا بهذه العلوم، واعتبروها أنها هي سبب ومصدر إيجاد الكائنات و الموجودات). ومن ثم فقد اعتبر رحمه الله: " الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق".[7]

المحور الثاني: العلوم التجريبية مسلك من مسالك التعرف على الله: قضايا ونماذج

1. أنموذج علم الطب/ علم التشريح:

إن علم الطب من أهم العلوم التي تقرب الإنسان من خالقه سبحانه وتعالى، إذ الاطلاع على هذا النوع من العلوم يمكن الإنسان من إدراك أسرار الله تعالى في خلقه، أثناء الفحوصات الطبية التي يجريها على أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة، خاصة عندما يقوم بعمليات التشريح، فما وسعه بعد ذلك إلا أن يعلن إيمانه بالحق سبحانه، ويعترف بعجزه وتقصيره جراء ما شهده في خلق الله سبحانه من أسرار وحكم لا تعدوا أن تكون إلا رسالة قوية تدعم إيمان الإنسان بربه وخالقه عز وجل، وأن الإنسان مهما بلغ من

العلم والتطور في ميدان الطب فلن يوصله علمه ولا ينتهي به إلا إلى الإيمان، ولذلك دعا الحق سبحانه عباده إلى النظر والتفكر في أقرب شيء إليه، ألا وهو نفسه التي بين جنبيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾8 فهذه الآية تحمل من الدلالات والمعاني ما لا يدركه غير الله سبحانه وتعالى، فمن جملة الآيات والعلامات الدالة على عظمة الباري سبحانه وقدرته وخالقيته: (خلق الإنسان)، لما أودع الله فيه من العجائب الدالة على حكمة الخالق المبدع المصور.

وقد نقل جمال الدين القاسمي(1332ه) نصا في هذا السياق في غاية النفاسة يقول فيه:" ومن يطالع علم التشريح- وهو الذي يهم كل نبيه مراجعته- يجد فيه من عجائب صنع الله وبدائع حكمته، ما يضطر معه إلى الاعتراف بقادر حكيم، ومدبر عليم، ولذلك قيل:" فكرك فيك يكفيك، وهذا معنى القول المشهور: من عرف نفسه عرف ربه".9

علم التشريح من أقوى الأدلة والبراهين على التعرف على الله ليس ادعاء ولا افتراء ولا تقولا، بل ذلك قد ثبت بالبحث، والنظر، والاستقراء، والتجارب المتكررة العديدة للعلوم، والتي أفادت وزكت كون هذا العلم يقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ويدفع دفعا إلى الايمان به. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي مبينا دلالة العلوم والتي من جملتها (علم التشريح) الذي يخص علم الطب:" لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق، والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم، أن الخير، والحسن، والجمال، والاتقان، والكمال، هو السائد المطلق في نظام الكون، وهو المقصود لذاته، وهو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية، على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاما وابداعا، بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه، فمثلا: علم التشريح الذي يخص الطب،... وبقية العلوم، كل منها تفيدنا بقواعدها الكلية، وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة، وحكمته التامة، فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ 10".[11]

فمثل هذه العلوم خاصة علم التشريح يزيد الايمان بالله سبحانه وتعالى ويقويه، ويعلق الإنسان بربه أكثر من غيره من باقي العلوم، وقد حكي في ترجمة ابن رشد رحمه الله أنه كان يقول في معرض ذكره لعلم التشريح:" ومن اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى".[12] وقد علق الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس تعليقا حسنا لطيفا بعد ايراده لكلام ابن رشد وضع له عنوانا نفسيا- وهو ما سيق هذا البحث لبيانه- وهو: (علم التشريح طريق الايمان). يقول:" وهو في ذلك13ينبه إلى باب هام من أبواب المعرفة

بالله، وهي من العلوم العملية التي يواجه فيها الإنسان أسرار المخلوقات، ونظام الأجسام، للوقوف على كمال صنعة الخالق سبحانه وتعالى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلا سُبْحَٰنَكَ﴾ ".[14]

هذا وقد ضرب الأستاذ بديع الزمان النورسي مثلا بعلم التشريح، لما فيه من تجلي الابداع والانتظام، الذي لا يمكن للعقل البشري أن يتصور أبدع وأكمل كما تجليه حقيقة الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [15]".[16]

فليس ثمت عذر لمن يتعاطى هذه العلوم وخبرها وعلم دقائقها وأسرارها أن يتمرد على الله، ويسند مخلوقاته إلى الأسباب، والطبيعة، والصدفة بعدما وقف على ما يدله على أن تلك المخلوقات يستحيل أن تكون من محض الصدفة، ووليدة الأسباب والطبيعة، إذ كل عضو من أعضاء الجسم يدل على الله، حتى أصغر وحدة جزئية في الانسان، كالكريات الحمراء مثلا، تدل على الله من خلال وظائفها اللامتناهية، مع دقة نظامها التي لا تدع مجالا للشك في أنها من بدائع مصنوعات ومخلوقات الباري سبحانه وتعالى. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي في سياق الرد على الملحدين مستعرضا دليل وبرهان علم الأعضاء الدال على الله تعالى، مخصصا الحديث بالكريات الحمراء من الدم ما نصه:" تقول:[17] إنني لست وحيدة منفردة، فأنا وأمثالي جميعا في جيش الدم الكثيف نظامنا واحد، ووظائفنا موحدة، نسير تحت امرأة آمر واحد...، إذ لا تدع وظائفنا الجليلة ودقتها ونظامها مجالا لنسمع هذرك".[18]

2. أنموذج: علم الهندسة/ دليل العناية والاتقان:

إن أصل علم الهندسة ومنبعه ومأخذه ومشربه هو دليل الاتقان والعناية، فالنظام الذي نشاهده في الكون برمته يستقي قواعده وأسسه ومرتكزاته منه؛ بحث إن كل تصميم بديع وراءه مصمم بارع، ومهندس ماهر، سواء تعلق هذا التصميم والابداع والهندسة بالكون أم بالإنسان.

يقول الأستاذ حبنكة (ت1332ه): "من أعظم من ما يدهشنا في أنفسنا، وفي الكون من حولنا، هذا الاتقان العجيب في الصنع والتركيب...، أليس من الاتقان هندسة هذا الكون في مخطط كواكبه، ونجومه، ومجراته...، أليس من الاتقان العجيب المدهش خلق هذا الانسان، وتقدير عناصره وخلاياه". [19]

فدليل أو علم الهندسة من أهم الأدلة التي تدعوا إلى الايمان بالله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن العالم المهندس يستدل بالمؤثر على الأثر، وبالإبداع على المبدع، وبالتصميم

على المصمم، وبالإتقان على المتقن، فهذه الاستدلالات إنما هي أسباب ودوافع وحوافز على الايمان والمعرفة بالله سبحانه وتعالى. وقد نقل الأستاذ حبنكة الميداني نصا في هذا المعنى عن أحد المهندسين قائلا:" أما الأسباب الفكرية التي تدعوني إلى الإيمان بالله؛ فإنني أحب أن أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل إلى انكارها، وهي أن التصميم يحتاج إلى مصمم، وقد دعم هذا السبب القوي من أسباب ايماني بالله ما أقوم به من الأعمال الهندسية... نحن لا نستطيع إلا أن نسلم بوجود الله".[20]

وقد أفاض الحديث في هذا الدليل الأستاذ جمال الدين القاسمي في كتابه: دلائل التوحيد، ومن جملة ما جاء فيه: اعتباره دليل العناية إحدى الطرق الدالة على وجود الخالق تعالى؛ لانبنائه على أصلين عظيمين:

- أحدهما: أن العالم بجميع أجزائه يوجد موافقا لوجود الانسان ولوجود جميع الموجودات.

- ثانيها: كل ما يوجد موافقا في جميع أجزائه لفعل واحد، ومسددا نحو غاية واحدة، مصنوع ضرورة، فينتج من هذين الأصلين بالطبع: أن العالم مصنوع وأن له صانعا.[21]

أما الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله، فقد أتى بهذا البرهان في سياق استدلاله على وجود الباري سبحانه وتعالى في كتاب الكون حيث قال:" إذ النظام المندمج في الكائنات، وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والاتفاق الاعمى". وقد أفصح الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله في كلياته عن وظيفة علم الهندسة حيث علقه وربطه بأمرين اثنين:

1. التنظيمات: أي أن علم الهندسة موضوعه التنظيم والتصميم.
2. التقديرات: أي أن علم الهندسة موضوعه التقدير والإحكام للأشياء.

وفي هذين الأمرين-أعني أمر التنظيم والتقدير- يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله ما نصه: "علم الهندسة يتم بتنظيم، ويعمل بتقدير، فيعين الحدود... كذلك الصانع الحكيم ولله المثل الاعلى، ينظم الجنة، والدنيا، والسماوات والارض، ...ينظم سبحانه وتعالى جميع الأشياء كليها وجزئيها، ينظمها جميعا بتجليات أسمائه الحسنى".[22]

فيكون علم الهندسة بناء على النص أعلاه واحدا من العلوم الكونية، إذ لم يختص بمجال دون مجال، هذا إذا نظرنا إليه باعتبار كونه نظاما سائدا في الكون، وهو الذي يختص به الباري سبحانه وتعالى، أما باعتباره علما، ومهارة، وصناعة، فهو الذي قال فيه الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله محددا مجالاته وأبعاده:" هو العلم الذي يبين هيئة الشيء، وشكله العام، ومقداره، الذي يذكر بأسماء الله الحسنى: يا مصور، يا منظم، يا مقدر".

ولا يقل علم الهندسة أهمية عن باقي العلوم الأخرى في أنه يسوق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ويرشد إليها، ومن جملة هذه العلوم: علم الكهرباء الذي يمكن اعتباره واحدا من علوم الهندسة المتعددة، ويعرف هو الآخر بالله ويدل عليه، ويرشد إليه بطريقته الخاصة.

فهذا الترتيب وهذا النظام وهذه الهندسة للكون، لا يمكن أن تحدث وتقع، ولا يمكن أن يكون لها وجود فعلي وحقيقي لولا وجوده سبحانه وتعالى، إذ لو أوجدت النجوم نفسها بنفسها لوقعت هناك تصادمات وتقلبات بينها، ولاختل نظامها، ولسادت بينها العشوائية، وما دام الأمر ليس كذلك، دل على أن لها موجدا مدبرا حكيما، لا يمكن أن يكون غير الله سبحانه وتعالى. يقول جمال الدين القاسمي رحمه الله: "...هذا الترتيب لا يكون له وجود لولا وجود خالق مدبر لنظامه، مريد لسيره في سننه، تري من يسعه أن يفرض أن ألة التلسكوب (المنظار الذي يكشف الأجسام البعيدة السماوية) أوجدت نفسها للاستطلاع على حركات الاجرام".[23]

هذا وقد تبين بناء على ما تقدم؛ أن علم الهندسة من العلوم الكونية التي هي الأخرى تعرف بالله وتدل عليه بطريقتها الخاصة، وعلم الهندسة- في نظري- إنما هو تطوير واستمرار لدليل العناية والنظام والإتقان، الذي توصل إليه الإنسان في العصر الحديث من خلال كشوفاته وتجاربه، ليكون هو الآخر أحد الأدلة والبراهين الدالة على معرفة الله سبحانه وتعالى، وأحد تجليات ومظاهر معاني أسماء الله الحسنى، وأصل هذا الدليل – أعني دليل الهندسة- هو الكون المنظور، والكتاب المسطور.

أما الكون المنظور فهو ما تحدث عنه في فقرات سابقة، وأما الكتاب المسطور ففيه من الآيات الشيء الكثير، منها على سبيل المثال لا الحصر. قول ربنا سبحانه وتعالى:" وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَة وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۖ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ إِنَّهُۥ

خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَۖ. وقول ربنا سبحانه وتعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدا ٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادا ٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجا ٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتا ٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسا ١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشا ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعا شِدَادا ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجا وَهَّاجا ١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجا ١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبّا وَنَبَاتا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافاً .[24]

وبعد سوق هذه النماذج للعلوم أقول إن الذي قاد الملحدين إلى جميع ما ذكر من هذه الأسباب يمكن تلخيصه في القول بأنهم مستلبون، ولم يحرروا عقولهم وبصائرهم من التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم، ولم يدرسوا العلم بعقل منفتح، بقدر ما درسوه بعقل متحجر منغلق، الأمر الذي أدى بهم إلى ما كانوا يعتقدونه في الله وفي الكون؛ لذا نعتهم الاستاذ بديع الزمان النورسي بكونهم حمقى ومتمردين وأهل ضلال:" إن أهل الضلال والإلحاد يبدون تمردا غريبا، وحماقة عجيبة، إلى درجة تجعل الإنسان نادما على إنسانيته، وذلك في سبيل الحفاظ على مسلكهم المعوق لصحوة الايمان".

ويعجبني في هذا السياق الكلام الذي نقله الأستاذ حبنكة الميداني (ت1398ه) عن بعض الأساتذة قوله: "لو أن جميع المشتغلين بالعلوم، نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق، بنفس روح الأمانة، والبعد عن التحيز الذي ينظرون به إلى نتائج بحوثهم، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم؛ فإنهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق، فدراسة العلوم بعقل منفتح سوف تقودنا بدون شك إلى إدراك وجود السبب الأول الذي هو الله".[25]

المحور الثالث: العلوم التجريبية مسلك من مسالك التعرف على تجليات معاني أسماء الله الحسنى: قضايا ونماذج:

لقد اهتم الأستاذ بديع الزمان النورسي غاية الاهتمام بالاسماء الحسنى وتجلياتها، بل يمكن اعتبار ذلك من أهم النظريات عنده في الرسائل، حيث يعتبر رحمه الله أن الاسماء الحسنى تتجلى معانيها في جميع الموجودات، مما لا يدع مجالا للمشككين والمنكرين للاسماء الحسنى تبعا لإنكارهم لأصل الوجود. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله:" وحيث إن الموجودات قاطبة تتجلى فيها الاسماء الحسنى، وكأن كل جزء منها مرآة تعكس تجليات تلك الأسماء المقدسة، فيكتسب ذلك الجزء أهمية بها ترتفع منزلة، فإن انكار الملحد لتلك الاسماء ولتلك المنزلة الرفيعة للموجودات وأهميتها، هو إهانة عظيمة وتحقير شديد فوق كونه تشويها، ومسخا، وتحريفا، إزاء تلك

الاسماء".[26]

ومما تجلت فيه معاني الأسماء الحسنى مقتضيات العلوم التجريبية العملية، وقواعدها الكبرى، ونتائجها الكلية، التي هي مسلك من مسالك التعرف على تجليات معاني الاسماء الحسنى، فإن كل علم من العلوم فإنه يعرف بالله – كما تقدم- وبأسمائه الحسنى، وفي هذه الحقيقة العلمية، والنظرية الإيمانية، المنبثقة من عمق التجربة الروحية، والممارسة العلمية للعلوم العملية. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله: "وهكذا فإن كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الاسماء الحسنى وينتهي إليه، كما أن حقيقة جميع العلوم... تستند كلها إلى الاسماء الإلهية الحسنى".[27]

واليك اخي القارئ بعض نماذج ذلك من باب التمثيل والاستشهاد لا من باب الحصر والاستقصاء.

1. أنموذج: علم الصيدلة: (اسم اللّه البديع):

لا يخفى على ذي لب أن علم الصيدلة من العلوم التي تعرفنا وتدلنا على جملة من الاسماء الحسنى المستفادة منه، وأنه لم يكن علما مجردا عن هذه الغاية والمقصد، الذي هو التعريف ببعض الاسماء الحسنى التي يجمعها اسم الله الحكم؛ لأن جميع العلوم التي توصل الانسان إليها بما يملك من حواس ومشاعر تدل على هذا الاسم. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي:" كل علم من مئات العلوم التي توصل الانسان إلى كشفها بما يملك من شعور يعرف تجليا واحدا من تجليات اسم (الحكم) في نوع من الانواع"

فهذا العلم يطلعنا ويعرفنا باسم من أسماء الله الحسنى الذي هو اسم (البديع)، الذي تتجلى معالمه في الكون وفي الخلق من النباتات والانسان، فكلها ترينا بحق معنى هذا الاسم، وتجلي لنا حقيقته ومغزاه، والكون والمخلوقات جميعا شاهدة حق وناطقة بهذا المعنى. فما معنى هذا الاسم؟ وما تجلياته؟

أ. معنى اسم (البديع) ودلالاته:

البديع مأخوذ من مادة (بدع) والبديع والمبتدع هما من أسماء الله الحسنى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيئ.

من أحسن ما وقفت عليه في معنى ودلالة اسم البديع كلام الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قال:" والبديع مشتق من الإبداع وهو الإنشاء على غير مثال، فهو

عبارة عن إنشاء المنشآت على غير مثال سابق، وذلك هو خلق أصول الانواع وما يتولد من متولداتها، فخلق السماوات إبداع، وخلق الأرض إبداع، وخلق آدم إبداع، وخلق نظام التناسل إبداع، وهو فعيل بمعنى فاعل (...)[28]

وقد فسر الإمام الحليمي هذا الاسم بأنه هو إحداث ما لم يكن مثله في الكون والوجود. يقول رحمه الله:" ومعنى البديع المبدع، وهو محدث ما لم يكن مثله قط، قال الله عز وجل: بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ أي مبدعها، والمبدع من له ابداع، فلما ثبت وجود الابداع من الله عز وجل لعامة الجواهر والاعراض استحق أن يسمى بديعا ومبتدعا".[29]

نخلص من هذه الأقاويل أن اسم الله (البديع) يعني: الإحداث والإنشاء والإبداع للأشياء، على غير مثال سابق، فهو إذن: بديع، ومبدع، ومبتدع، ومحدث بكسر الدال.

ب. علم الصيدلة وتجلي معنى اسم (البديع):

إن من أهم ما يتميز به فكر الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله أنه ربط كل شيء في الكون بإحدى النتيجتين:

1. **إما أن هذه الأشياء تعرف بالله سبحانه وتعالى وتدل عليه.**
2. **إما أنها تعرف بواحد من أسمائه الحسنى وصفاته العلى.**

فأسماؤه سبحانه وتعالى تتجلى في الكون كله، ومن جملة ما تتجلى فيه العلوم التجريبية، وعلى رأسها علم الصيدلة، الذي يعرفنا باسم الله (البديع) ومعناه. وفيه يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله: "تحتوي الصيدلة مئات الدوارق والقناني المملوءة بمواد كيماوية متنوعة ...، وقد استحضرت فيها بمقادير مختلفة، على وفق موازين دقيقة... إلى أن قال" إن كل كائن حي هو مركب حيوي، ومعجون ذو حياة، وأن كل نبات شبيه بترياق حيوي مضاد للسموم إذا ركب من أجزاء مختلفة، ومن مواد متباينة، على وفق موازين دقيقة، في منتهى الحساسية...، فلا ريب أن إسناد خلق هذا الكائن البديع إلى الأسباب المادية والعناصر والقول بأن (الأسباب أوجدته) باطل ومحال وبعيد عن موازين العقل...".[30]

فاسم البديع إذن يتجلى من خلال عملية التركيب بين الاجزاء الكيماوية المختلفة والمتباينة، ليخرج في النهاية دواء ومرهما صالح للتداوي وللاستشفاء، ولم تكن هذه العملية عملية عشوائية، وإنما هي عملية محكمة متقنة، أخضعت لموازين علمية دقيقة عن طريق المختبرات، التي تدل في النهاية على أن وراء تلك العملية مبدعا وماهرا

وحاذقا من خلال معرفته وخبرته بالصناعة الصيدلانية وعلميتها، وما اكتسبه من التجارب التي أوصلته لتلك النتيجة الدالة في النهاية على أن" كل علم من مئات العلوم التي توصل الانسان إلى كشفها بما يملك من شعور يعرف تجليا واحدا من تجليات اسم (الحكم) في نوع من الانواع ... يشهد قطعا أن هذا الكون قد زين بحكم ومصالح شتى ضمن انتظام كامل لا نقص فيه، وأن تلك الأنظمة البديعة، والحكم السامية النابعة من تلك الحكمة المعجزة المحيطة بالكون قد أدرجت بمقياس أصغر، حتى في أصغر كائن حي، وفي أصغر بذرة".[31]

هذا وقد تبين واتضح على أن علم الصيدلة يعرفنا باسم الله (البديع)، عن طريق الحس والمشاهدة والتجربة، لنخلص في النهاية إلى أن الغاية والفائدة المقصودة، والثمرة المرجوة من ذلك كله" أن يعيش الانسان في كنف هذه الاسماء، من خلال رؤية جمالها في الكون، واكتشاف تجلياتها في الوجود، ونسبة كل أحوال الكون إليها، ورد كل حدث إلى الاسم الذي نتج عنه".[32]

ومعنى ذلك؛ أن العلوم التجريبية العملية لم تكن علوما صناعية مهارية فقط، بل هي أدوات ووسائل ومنافذ نتعرف بها على ربنا عز وجل، وعلى أسمائه الحسنى، وعلى صفاته العلى، مع علمنا ويقيننا الجازم أن الطبيب والتطبيب ما هما إلا وسائل وأسباب للشفاء، والشافي الحق هو الباري سبحانه وتعالى، وإنما الفائدة المرجوة معرفتها هنا أن ندرك أن علم الطب يدل على معنى واحد من معاني الاسماء الحسنى الذي هو الشافي، وهذا الامر يفسره طبيعة النظرية النورسية التي ترى أن كل شيء في الكون وفي الوجود وما فيهما من الإتقان والإبداع إنما يعرفان بالله وبمعاني أسمائه الحسنى. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله:" إن الإتقان الموجود في الاشياء يستند إلى اسم من الاسماء... وعلم الطب يستند إلى اسم الله الشافي".[33]

وعليه؛ فإن كل علم من العلوم يستند إلى اسم من الاسماء الحسنى وينتهي إليه، لأنه يترجم بلسانه الخاص تسبيحات الموجودات التي هي إعلانات عن اسم أو عدة أسماء.

خاتمة:

لقد ناقشت في هذه الورقة العلمية قضية محورية وجوهرية في الوقت نفسه، وهي: أن جميع العلوم التجريبية العملية إنما هي في حقيقتها وجوهرها أداة ووسيلة ومسلك ومنهج للتعرف على الله سبحانه وتعالى وعلى أسمائه الحسنى، ويخطئ من يزعم ويظن

أن العلوم التجريبية والطبيعية ما هي إلا مصدر من مصادر الكفر والالحاد، وقد تجند الاستاذ بديع الزمان النورسي لرد هذا الزعم والظن والوهم بما حباه الله به من علوم ومعارف شتى جاعلا العلوم التجريبية واحدا من أقوى مسالك المعرفة بالله، شأنها شأن باقي العلوم الأخرى؛ حيث زاوج ـ رحمه الله تعالى ـ في إثبات ذالك والرد على الخصم بين المحاججة العلمية، والتمثيل بالمحسوسات العملية، وأتى من خلال تلك المحاورة والمحاججة بأدلة تلامس القلوب والوجدان والعقول، وتخاطب وسائل الادراك في الانسان عله ينفض الغبار وصدى الجهل والعمى عليها، فإذا كان ـ أهل الإلحاد ـ لا يومنون إلا بقانون التجربة فإن استقراء قوانين التجربة تقول: ليس هناك سبب إلا ووراءه مسبب عظيم ولا يمكن أن يكون غير الله سبحانه وتعالى.

فكما أن العلوم التجريبية والطبيعية تعرف بالله وتدل عليه كذلك تدل وتعرف بمعاني أسمائه سبحانه وتعالى، وأن كل اسم من اسمائه له تجل في الكون المنظور، وقد أتيت في الورقة بنماذج من أسماء الله الحسنى لتكون عونا ومثالا وشاهدا على ذلك، ومن تتبع رسائل النور ـ وغيرها ـ سيجد آلاف الشواهد والأدلة والأمثلة في هذا السياق والاتجاه.

ونخلص بعد هذا البيان كله إلى النتائج التالية:

المعرفة بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى هي أساس جميع العلوم الحقيقية.

اعتبار العلوم التجريبية من أقوى الأدلة والبراهين الدالة على معرفة الله لكون موضوعاتها ومباحثها التي تبحثها من بدائع وعجائب مخلوقات ومصنوعات الباري سبحانه وتعالى.

الصاق مصدرية الالحاد بالعلوم التجريبية؛ إنما هو وهم وخيال، إذ العلوم نفسها شاهدة وناطقة بلسان الحق والصواب.

العلوم التجريبية تؤدي إلى الايمان ولا تؤدي إلى الالحاد، يؤيد ذلك التجارب العديدة للعلوم، وشهادات علماء الطبيعة أنفسهم.

العقل، والحس، والتجربة، والمشاهدة، والفطرة يرفضون جميعا أن تكون العلوم الطبيعية سببا من أسباب الالحاد ودوافعه وبواعثه.

ضعف الحصانة الفكرية بالقرآن الكريم وسنة نبيه الكريم عندهم أدى بهم إلى التطرف والزندقة والإنحلال.

جميع العلوم هي موضوع المعرفة بالله وبأسمائه الحسنى، وإن اختلفت العبارات والاشارات والمسالك والطرق في التعبير عن تلك المعرفة.

جميع العلوم العملية تستند إلى واحد أو أكثر من أسماء الله الحسنى وتنتهي إليه.

جميع الاسماء الحسنى هي نور وحسن وجمال وكمال وجلال.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

سعيد النورسي، الكلمات/ الكلمة الثالثة عشرة.

حسين أفندي الجسر، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية، طبعة: دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت،

حسين الجسر، قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 26.

سعيد النورسي، صيقل الاسلام/ الخطبة الشامية.

سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري.

جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ط1، ط: الفيحاء- دمشق الشام.

أبو العباس احمد بن القاسم المعروف بابن أصبيعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، الطبعة الأولى 1299ه، طبعة: دار الوهبية.

مجلة دعوة الحق، العدد: 344، الصادرة في صفر: 1420 هجرية، الموافق ل: يونيو 1999م.

حبنكة الميداني، براهين وأدلة إيمانية،ط1، 1408هـ، ط: دار القلم.

سعيد النورسي، اللمعات: اللمعة الثالثة عشرة.

الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص1، 1984م، طبعة: دار التونسية للنشر.

أبو عبد الله القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته،ط1، 1426هـ، ط: المكتبة العصرية- بيروت لبنان.

سعيد النورسي، اللمعات/اللمعة الثانية والعشرون.

الدكتور: عبد الكريم عكيوي، اشراقات نورية من الديار المغربية،ط1، 2015م، ط: جمعية المركز المغربي للثقافة والتنمية والتعاون.

* * *

الهوامش:

[1] سعيد النورسي، الكلمات/ الكلمة الثالثة عشرة، ص: 173.

[2] سعيد النورسي ، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 355.

[3] حسين أفندي الجسر، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقية الشريعة المحمدية، طبعة: دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت، ص: 251-252.

[4] حسين الجسر، قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص: 26.

[5] حسين أفندي الجسر، الرسالة الحميدية، ص: 250.

[6] سعيد النورسي، صيقل الاسلام/ الخطبة الشامية، ص: 502.

[7] سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ص: 423.

[8] الذاريات، الآية رقم:21

[9] انظر، جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ص 47

[10] السجدة، الآية رقم:6

[11] انظر، سعيد النورسي، صيقل الاسلام، ص: 502.

[12] انظر، ابو العباس احمد بن القاسم المعروف بابن أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، الطبعة الأولى 1299ه، طبعة: دار الوهبية، ج2 ص: 77.

[13] اي ابن رشد رحمه الله تعالى.

[14] انظر، مجلة دعوة الحق، العدد: 344، الصادرة في صفر: 1420 هجرية، الموافق ل: يونيو 1999م.

[15] السجدة، الآية رقم:6

[16] انظر، سعيد النورسي، صيقل الاسلام، الخطبة الشامية، ص: 502.

[17] الكريات الحمراء.

[18] انظر، سعيد النورسي، الكلمات: الكلمة الثانية والثلاثون ص: 696.

[19] حبنكة الميداني، براهين وأدلة إيمانية، ص: 165 بتصرف.

[20] حبنكة الميداني، براهين وأدلة إيمانية، ص: 165 بتصرف.

[21] جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ص: 25-26 بتصرف.

[22] سعيد النورسي، الكلمات، ص: 736/735.

[23] جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ص: 46

[24] سورة النبأ، الآية رقم: 15

[25] حبنكة الميداني، براهين وأدلة إيمانية، ص: 66

[26] انظر، سعيد النورسي، اللمعات: اللمعة الثالثة عشرة، ص 128.

[27] انظر سعيد النورسي ، الكلمات: الكلمة الثانية والثلاثون، ص: 734.

[28] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص1، 1984م، طبعة: دار التونسية للنشر، ج1، ص: 686.

[29] ابو عبد الله القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته،ط1، 1426ه، ط: المكتبة العصرية- بيروت لبنان، ص: 322

[30] سعيد النورسي، اللمعات/اللمعة الثانية والعشرون، ص: 269-270، بتصرف.

[31] سعيد النورسي، اللمعات/اللمعة الثلاثون، ص: 532-534بتصرف.

[32] الدكتور: عبد الكريم عكيوي، اشراقات نورية من الديار المغربية، ص: 13.

[33] سعيد النورسي، الكلمات، ص: 734.

مقاصد القصص القرآني في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

أسماء الشايب – المغرب

– ملخص–

لاشك أن رسائل النور نابعة من فيض القرآن الكريم ونوره، لذلك فقد اعتمد النورسي في منهجه في تفسير القصص القرآني على قاعدة استخلصها من منهج القرآن الكريم، وهي أنه يبين في مثال جزئي وفي حادثة خاصة، دساتير كلية واسعة وقوانين عامة طويلة، وهكذا استطاع أن يبين من خلال جزئية أو مثال في القصة الواحدة قضية أو أكثر من القضايا الكلية، فكان كل مقصد من مقاصد القصص القرآني يشير إلى قضية من القضايا الكبرى المبثوثة في رسائل النور. من هنا يمكن أن نلخص مقاصد القصص القرآني عند الأستاذ النورسي في المقصد العقدي الذي يروم ترسيخ قضايا الإيمان والتوحيد والمقصد التربوي الذي يهدف إلى تثبيت طرق التزكية فضلا عن المقصد الحضاري الذي يرسخ قواعد بناء الأمة في جانبها العلمي والفكري والحضاري.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، القصص القرآني، النورسي، رسائل النور.

The Objectives of Qur'anic Stories in the Risale-i Nur by Bediuzzaman Said Nursi

Asmaa Al-Shayeb – Morocco

–Abstract–

There is no doubt that the *Risale-i Nur* emanates from the light and inspiration of the Holy Qur'an. Accordingly, Nursi based his method of interpreting Qur'anic stories on a principle he derived from the Qur'anic methodology itself: namely, that the Qur'an illustrates broad, comprehensive principles and long-standing universal laws through specific examples and particular incidents. In this way,

Nursi was able to present one or more general issues through a single example or episode from a Qur'anic story. Thus, each objective of the Qur'anic stories points to one of the major themes interwoven throughout the *Risale-i Nur*. From this perspective, the objectives of Qur'anic stories, according to Nursi, can be summarized as follows: Doctrinal Objective – aimed at affirming faith and monotheism; Educational Objective – focused on establishing methods of spiritual purification; Civilizational Objective – reinforcing the principles of nation-building in its intellectual, scientific, and cultural dimensions.

Keywords: Objectives, Qur'anic Stories, Nursi, Risale-i Nur.

* * *

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي بعث الأنبياء والرسل هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم وإمام الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سلك نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن القرآن الكريم رسالة الله إلى الإنسانية كافة، أنزله هداية ورحمة للعالمين، قال الله تعالى:﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين, يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه, ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[1]. وآيات القصص القرآني تشغل مساحة واسعة وجانبا عظيما من القرآن الكريم فلا غرو من أن تكون وافية بجميع مطالب الحياة الإنسانية في تطورها ورقيها الفكري، فللقصص القرآني عبر وفوائد جمة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾[2].

وقد كانت رسائل النور التي استلهمها بديع الزمان النورسي من القرآن الكريم كنزا ثمينا من البصائر القرآنية والحقائق الإيمانية، لذلك كانت الفوائد والهدايات التي استخلصها الأستاذ سعيد النورسي من القصص القرآني من جملة هذه البصائر. وكان رحمه الله حريصا على أن تكون الفوائد المستخلصة منها قواعد كلية جامعة تصلح دستورا لحياة المسلمين خاصة وللإنسان عامة في الزمن المعاصر وذلك من خلال تتبع مقاصدها الكلية، وقد استجمعتها في المقاصد التالية:

1 – المقصد العقدي من خلال مباحث التوحيد، أسماء الله الحسنى، طرق معرفة الله والإعجاز.

2 – المقصد التربوي من خلال مباحث التزكية، العجز والفقر إلى الله، الشفقة واستحضار المآل.

3 - المقصد الحضاري من خلال مباحث العلم، معرفة الأوامر التكوينية، التسخير الكوني والعدل.

المقصد العقدي:

1 – التوحيد:

استثمر النورسي قصة إبراهيم عليه السلام في توجهه بالفكر والنظر إلى المخلوقات، والاعتبار بظهورها واحتجابها، ومجيئها وأفولها، ليخلص إلى حقيقة الشعور بالفقر والحاجة والعجز إلى خالق هذه المخلوقات ومدبر أمرها، ليقرر قاعدة عظيمة في التوحيد وهي أن الفناء يجري على المخلوقات كلها، فلا يمكن التعلق بالفاني، وإنما البقاء الحقيقي في التوجه إلى الباقي الذي لا يزول تبارك وتعالى.

ففي قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾[3]، يقول رحمه الله: "فالإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات، وأخذ حب الدنيا بلبه حتى غره تبسم الفانيات وسقط في أحضانها، لا شك أن هذا الإنسان يخسر خسرانا مبينا، إذ يقع في الضلال والفناء والعدم، أي يعدم نفسه معنى. ولكن إذا ما رفع هذا الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن، وتوجه إلى الوحدانية فإنه يستطيع ان يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو إنسانا باقيا"[4].

فمقام إبراهيم هذا يحتاجه كل إنسان ليعرف أن البقاء لمن فطر المخلوقات، فينجو من عذاب الخوف من الزوال، ولهذا يقول النورسي مخاطبا نفسه لتنظر بنظر إبراهيم فيقول:"يا نفسي، لما كانت الحقيقة هي هذه، وأنت من الملة الإبراهيمية فقولي على غرار سيدنا إبراهيم ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ وتوجهي إلى المحبوب الباقي وابكي مثلي."[5] . ويعيش النورسي هذه التجربة بنفسه من خلال مناجاة رقيقة عميقة[6] .

واستثمر النورسي رحمه الله قصة يونس عليه السلام، ليبين كيف أن التوحيد الخالص هو سر النجاة. حيث يقول في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]: "فما أن رأى عليه السلام بعين اليقين ألا ملجأ له من أمره تعالى إلا اللواذ إلى كنف مسبب الأسباب، انكشف له سر الأحدية من خلال نور التوحيد الساطع، حتى سخرت له تلك المناجاة الخالصة الليل والبحر والحوت معا، بل تحول له بنور التوحيد الخالص بطن الحوت المظلم إلى ما يشبه جوف غواصة أمينة هادئة تسير تحت البحر، وأصبح ذلك البحر الهائج بالأمواج المتلاطمة ما يشبه المتنزه

الآمن الهادئ، وانقشعت الغيوم عن وجه السماء ـ بتلك المناجاة ..."[8].

ومعنى ذلك أن نجاة يونس كان سببها تحققه بالتوحيد، هذا التحقق الذي بلغه يونس عليه السلام لما أدرك ورأى بعين اليقين آية قدرة الله عز وجل، وأنه لا تأثير للأسباب قط، فأقبل كليا على مسبب الأسباب ملتجئا إليه متضرعا بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فكانت هذه المناجاة هي سر نجاة يونس عليه السلام، بسر التوحيد الخالص الذي هو الركن الأساس للنجاة.

وفيه فائدة أخرى وهي أن التضرع إلى الله وسؤاله إنما يعتبر إذا رجع العبد رجوع المحتاج الفقير اليائس من كل ما سوى الله تعالى، فيأتيه المدد بقدر افتقاره وعلى حسب ما يحس به من العجز، وأن الأسباب الظاهرة ليست إلا ستائر تخفي وراءها حكمة الخالق الحكيم العليم. والأسباب إنما هي رسل مأمورة من خالقها تبارك وتعالى، فحتى لو تهاوت الأسباب الظاهرة، فإن آمر الأسباب باق فلا يعجزه أن يأمر أسبابا أخرى. فهذه فائدة عظيمة من فوائد التحقق بالتوحيد وإفراد الله تعالى وحده بالتصرف والتدبير، وإن الأسباب رسل مأمورات.

2 - تجليات أسماء اللّه الحسنى:

والنورسي رحمه الله يرى أن الكون مرآة تعكس أسماء الله الحسنى، وتتجلى فيه آثار صفاته وأفعاله. لذلك يمكن رؤية تجليات أسماء الله الحسنى من خلال الكائنات باعتبارها مرايا أسمائه.

كما أن حقائق الموجودات والمهارات الدالة على الكمال تستند كلها إلى أسماء الله الحسنى، "فحقيقة كل شيء تستند إلى اسم من الأسماء أو إلى كثير من الأسماء، وأن الإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء "[9]. ويوقفنا النورسي على هذا المعنى من خلال قصة آدم عليه السلام حيث يقول رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [10].

" إن كل ما ناله الإنسان، من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات، من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. وهذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن، أيا كان، حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم

(...) يجد ذلك العلم وذلك الكمال وتلك الصنعة، كل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلا، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش"[11].

فيوقفنا النورسي من خلال قصة آدم ومن خلال قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، إلى أن الاستمساك بأسماء الله الحسنى والاعتصام بها هو سبيل الإنسان لبلوغ أعلى المراتب وأسماها في كل العلوم والفنون والمهارات حتى يتسنى له أداء وظيفته التي خلق من أجلها وهي خلافة الله في الأرض، ذلك أن كل كمال في هذه العلوم إنما يستند إلى أسماء الله الحسنى.

3 - تثبيت طرق معرفة الله: طريق إزالة حجاب الإلف والعادة، والعبور من الأسباب الظاهرة إلى الحقائق الكلية والدساتير المخفية.

لقد توقف الأستاذ النورسي رحمه الله عند منهج العلوم التجريبية الذي ساد في العصر الحاضر، وافتتن به الكثير من أهل الفكر في العالم الإسلامي. واستطاع رحمه الله أن يرقى بهذا المنهج فبين أنه طريق من طرق معرفة الله تعالى، لكن ليس بالنظر القاصر الذي ساد وراج وهو الاعتماد الكلي على معرفة الأسباب والمسببات، والربط بين الظواهر وأسبابها والوقوف عند هذا الحد، وإنما ينبغي الارتقاء من العلل السببية التي هي علل ظاهرية عادية، إلى العلة الحقيقية. واعتبر رحمه الله الأسباب والمسببات ستائر للدستور الحقيقي الذي يحكم هذه الأسباب والمسببات. فبين رحمه الله أن من منهج القرآن الكريم في التعريف بالله إزالة غشاء العادة الذي تنشره الأسباب والمسببات، لأن تعلق السبب بالمسبب يخفي وراءه دستورا كليا هو الذي يحكم علاقة السبب بالمسبب. وكان القصص القرآني أحد الطرق التي يقصد منها ترسيخ هذه القاعدة.

ففي قصة موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[12].

توقف رحمه الله عند الحكمة من ذكر هذه الأحوال الطبيعية العادية من تفجر الماء من الأرض، فماذا يعني ذكر حالات طبيعية وفطرية للأحجار الاعتيادية وبيانها كأنها مسألة عظيمة، مع أنها معلومة لدى الناس؟ (...) ولبيان الحكمة من ذلك يقول النورسي: "إن الإيجاز الذي هو أساس مهم من أسس الإعجاز، وكذا لطف الإرشاد وحسن الإفهام الذي هو نور من هدي القرآن، يقتضيان أن تبين الحقائق الكلية والدساتير الغامضة

العامة، في صور جزئية مألوفة للعوام الذين يمثلون معظم مخاطبي القرآن، (...) زد على ذلك: ينبغي أن تبين لهم التدابير الإلهية تحت الأرض التي هي خوارق العادات والتي تسترت بستار العادة والإلفة، بصورة مجملة"[13].

وفي قصة سليمان يقول في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِے ٱلسَّمٰوٰتِ وَالَارْضِ﴾[14]: "ألا ما أحسن رؤية الهدهد، إذ ليس من مقتضى فطرة ما تحت التراب من المعادن والنوى والبذور التي لا تحصى، أن تخرج من الأسفل إلى الأعلى. لأن الأجسام الثقيلة التي لا روح لها ولا اختيار لا تصعد بنفسها إلى الأعلى، وإنما تسقط من الأعلى إلى الأسفل. فإخراج جسم مخفي تحت التراب، من الأسفل إلى الأعلى ونفض التراب الثقيل الجسيم من على كاهله الجامد لابد أن يكون بقدرة خارقة لا بذاته"[15].

فتفجر الأنهار من الحجارة، ومسألة خروج ما تحت التراب من المعادن والبذور، وغيرها من الظواهر الطبيعية التي ألفها الإنسان، حتى أصبحت عادية، هي في حقيقتها معجزات تدل على الله وعلى وحدانيته، فكان لابد من تمزيق غطاء الألفة وستار العادة الذي جعل حس الإنسان يتبلد، وحال دون رؤيته معجزات القدرة الإلهية. وقصة هدهد سليمان إذ تكشف لنا الغطاء والستار عن معجزة من معجزات وخوارق لا تحصى، وتظهر لنا هذا البرهان الذي أدركه الهدهد وعبر عنه بقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِے ٱلسَّمٰوٰتِ وَالَارْضِ﴾[16]؛ فهي تدلنا في نفس الأمر على الطريق المؤدي إلى ذلك البرهان وبالتالي إلى معرفة الله، وهو طريق العلم. "فهدهد سليمان الذي يمثل عريف الطيور والحيوانات (...) فهو طير ميمون مأمور بإيجاد الماء ويعمل عمل المهندس لدى سيدنا سليمان عليه السلام، فلذلك يثبت بمقياس صنعته الدقيقة، كون الله معبودا ومسجودا له، بإخراجه سبحانه ما خبئ في السماوات والأرض، فيعرف إثباته هذا بصنعته الدقيقة"[17]

فنجد أن النورسي يلفت نظرنا إلى مسألة مهمة وهي أن من طرق معرفة الله معرفة الكون وإتقان الصنعة فما توصل إليه الهدهد كان من خلال علمه وما يتقنه، ويرد النورسي بذلك كل دعوى باطلة تحاول أن تفصل بين العلم ومعرفة الله، ويثبت أن العلوم إنما هي مسالك تعرف بالله، فعندما جاءه فريق من طلاب الثانوية قائلين:" عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا"، قال لهم:" إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين"[18].

ومن خلال قصة ذبح البقرة وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾[19].

بين النورسي أن الأمر بذبح البقرة، كان أمرا بذبح مفهوم عبادة الأسباب المادية، والتوجه إلى عبادة مسبب الأسباب، هذا المفهوم الذي ما زال ساريا إلى يومنا هذا متمثلا في الفكر الطبيعي المادي، الذي وقف عند الأسباب وغفل عن الله عز وجل خالق الأسباب، ذلك أن بنو إسرائيل الذين تأثروا بطبائع أهل مصر، قدسوا الزراعة ومن تم قدسوا واسطة الزراعة من ثور وبقر إلى حد العبادة كما يفهم من حادثة العجل المعروفة، وقال: "وهكذا يعلمنا القرآن الكريم بذبح بقرة واحدة، أن سيدنا موسى عليه السلام، قد ذبح برسالته مفهوم عبادة البقر، ذلك المفهوم الذي سرى في عروق تلك الأمة، وتنامى في استعداداتهم."[20].

4 - الإعجاز:

أ – الإعجاز البلاغي: عمل النورسي رحمه الله على إبراز وجوه هذا الإعجاز واصفا إياه بقوله:" هذه البلاغة المعجزة نبعت من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها، ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها "[21].

ومن خلال قصة نوح أظهر النورسي بعض وجوه الإعجاز البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[22].

فقال:" فانظر إلى علو هذا الأسلوب، إذ الأرض والسماء كجنديين مطيعين مستعدين للطاعة وتلقي الأوامر. فتشير الآية بهذا الأسلوب إلى أن الكائنات تغضب من عصيان الإنسان وتغتاظ منه السماوات والأرض. وبهذه الإشارة تقول: إن الذي تمتثل السماوات والأرض بأمره لا يعصى ولا ينبغي أن يعصى، مما يفيد زجرا شديدا رادعا للإنسان"[23]. وهكذا أشار رحمه الله إلى البداعة الخارقة في أسلوب القرآن الكريم، وهو يعبر عن غضب الكائنات على أهل الضلالة والعصيان حين يصف اشتراك السماء والأرض بالهجوم على قوم نوح عليه السلام، وما في ذلك من الزجر والوعيد الشديد، وحين يصف مدى انقيادهما وامتثالهما لأوامره سبحانه وتعالى، مما يشعر بعظمة الله جل جلاله وعلو كبريائه، فيلفت النورسي رحمه الله النظر إلى أن استحضار من هو الآمر؟ ومن هو المأمور؟ لهو عامل أساسي في مدى قوة الأسلوب وتأثيره وبلاغته." اعلم أن منابع علو

طبقة الكلام وقوته وحسنه وجماله أربعة: المتكلم، والمخاطب، والمقصد، والمقام، لا المقام فقط كما ضل فيه الأدباء. فانظر إلى من قال؟ ولمن قال؟ ولم قال؟ وفيم قال؟ فالكلام إن كان أمرا ونهيا فقد يتضمن الإرادة والقدرة بحسب درجة المتكلم، فتتضاعف علويته وقوته"[24].

كما عمل النورسي على بيان الإيجاز المعجز للقرآن في عدد من آيات القصص القرآني، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِے ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّے كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[25].

يقول: "إن ما بين قوله تعالى: ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾إلى جملة: ﴿فَنَادَىٰ فِے ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّے كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هناك كثير من الجمل المطوية. فتلك الجمل غير المذكورة لا تخل بالفهم ولا تسيء إلى سلاسة الآية، إذ تذكر الآية الكريمة الحوادث المهمة في حياة سيدنا يونس عليه السلام وتحيل البقية إلى العقل. وكذلك في سورة يوسف، فإن ما بين كلمة فأرسلون إلى يوسف أيها الصديق هناك ما يقرب من ثماني جمل قد انطوت، ولكن دون إخلال بالمعنى ولا إفساد لسلاسة الآية "[26].

ب – الإعجاز الغيبي: في سياق تأكيد النورسي على جامعية القرآن الكريم الخارقة التي تجمع بين أسلوبه ومعانيه ومقاصده، وأنه يشكل خطابا لكل عصر "لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا (...) حتى إنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع نظرا كأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته ملقنا دروسه ملفتا إليها الأنظار"[27]. يكشف النورسي من خلال **قصة موسى** التي تكررت كثيرا في القرآن الكريم، بعض صور الإعجاز الغيبي من إخبار بالغيب واستشراف للمستقبل وغير ذلك مما تضمنته هذه القصة من عبر ودروس، حتى قال "أن فيها من العبر والدروس بقدر ما في عصا موسى عليه السلام من الفوائد"[28].

فمن خلال **قصص بني إسرائيل**، بين رحمه الله أن الحرص والفساد اللذين غلبا على طبائعهم، كانا وراء قيامهم بالإطاحة بمعايير المجتمع الأخلاقية والإنسانية، وسببا لما يتعرضون له من عقاب في كل عصر.

ففي الآيات القرآنية: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[29]، ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[30]، ﴿وَيَسۡعَوۡنَ

فِے اِلَارْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ اُلْمُفْسِدِينَ﴾[31]، ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَي بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ فِے اِلْكِتٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِے اِلَارْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[32]، ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِے اِلَارْضِ مُفْسِدِينَ﴾[33].

بين النورسي أن اليهود بسبب حرصهم الشديد على المال والدنيا كانوا وراء المؤامرات التي كانت وما زالت تحاك ضد الإنسانية بمختلف الوسائل الدنيئة. فقال: "هذان الحكمان القاضيان في حق اليهود، الحرص والفساد، يتضمنان هذين الدستورين العامين المهمين، اللذين يديرهما أولئك القوم في حياة المجتمع الإنساني بالمكر والحيل والخديعة؛ فالآية تبين أنهم هم الذين زلزلوا الحياة الاجتماعية الإنسانية وأوقدوا الحرب بين الفقراء والأغنياء بتحريض العاملين على أصحاب رأس المال. وكانوا السبب في تأسيس البنوك بجعلهم الربا أضعافا مضاعفة، وجمعوا أموالا طائلة بكل وسيلة دنيئة بالمكر والحيل، هؤلاء القوم هم أنفسهم أيضا انخرطوا في كل أنواع المنظمات الفاسدة ومدوا أيديهم إلى كل نوع من أنواع الثورات، أخذا بثأرهم من الشعوب الغالبة ومن الحكومات التي ذاقوا منها الحرمان وسامتهم أنواع العذاب"[34]. وهكذا بينت هذه الآيات دستورين مهمين كانا ومازالا يحكمان حياة اليهود وهما الحرص والفساد.

ومن خلال قصة **موسى عليه السلام** أشار النورسي إلى الإعجاز الغيبي في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[35]، وذلك في إخبارها عن نجاة جسد فرعون، الأمر الذي لم يكتشف إلا بعد أربعة عشر قرنا. حيث قال إن الآية الكريمة تفيد "بأسلوب معجز إشارة غيبية إلى أن الجسد الذي اكتشف في العصر الأخير هو نفسه جسد فرعون الذي غرق، فكما ألقي به إلى الساحل في الموضع الذي غرق فيه، فسيلقى به كذلك من بحر الزمان، فوق أمواج العصور، إلى ساحل هذا العصر"[36].

المقصد التربوي:

1 - التزكية

من أول الأمور التي نبه الأستاذ النورسي إلى حاجة الأمة الملحة إليها، وأكد على ضرورتها للنهوض بها هي التزكية، ففي الخطبة الشامية التي ألقاها بجامع دمشق الأموي رصد رحمه الله الأمراض التي أدت إلى الصراعات والنزاعات والتخلف الثقافي والحضاري للأمة. وكانت كلها أمراض متعلقة بنفس الإنسان وباطنه وهي: اليأس، وموت الصدق، وحب العداوة، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، والاستبداد، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية[37]. وقد استثمر النورسي القصص

القرآني لتثبيت طرق التزكية.

ففي قصة أيوب عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[38].

قابل النورسي رحمه الله بين الجروح الظاهرة التي أصابت سيدنا أيوب عليه السلام، وبين جروحنا الباطنة المتمثلة في أمراض قلوبنا والتي تولدت عندنا من الآثام والذنوب، فخلص إلى أننا في حاجة دائمة إلى التزكية لعلاج أمراضنا الباطنة، وأننا في ذلك محتاجون أشد الحاجة إلى مناجاة أيوب عليه السلام، فقال: "إنه إزاء تلك الجروح الظاهرة التي أصابت سيدنا أيوب عليه السلام، توجد فينا أمراض باطنية وعلل روحية وأسقام قلبية، فنحن مصابون بكلّ هذا. فلو انقلبنا ظاهرا بباطن وباطنا بظاهر، لظهرنا مثقلين بجروح وقروح بليغة، ولَبَدَت فينا أمراض وعلل أكثر بكثير مما عند سيدنا أيوب عليه السلام (...) ثم إن جروح سيدنا أيوب عليه السلام كانت تهدد حياته الدنيا القصيرة بخطر، أما جروحنا المعنوية نحن فهي تهدد حياتنا الأخروية المديدة بخطر...."[39].

ومنهج التزكية يقوم أساسا على اتهام النفس ورؤية عيوبها، وهذا مسلك النورسي في كل رسائل النور، حيث قال: "ما دامت نفسي التي بين جنبي أمارة بالسوء فلابد أن أبدأ بها أولا لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز"[40]. وقال أيضا: "يا نفسي المرائية! لا تغتري قائلة: "إنني خدمت الدين". فإن الحديث الشريف صريح في "أن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"[41]. فعليك أن تعدي نفسك ذلك الرجل الفاجر، لأنك غير مزكاة"[42].

واستثمر النورسي قصة يوسف عليه السلام، لتأكيد هذا المعنى:

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾[43]. يقول رحمه الله: "وكيف يُوثَقُ بهذه النفس الأمارة بالسوء ويعتمد عليها، وقد ذكرها القرآن الكريم بلسان نبي عظيم، يوسف عليه السلام: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)[44] فمن يتَّهم نفسه ير عيوبها وتقصيرها، ومن اعترف بتقصير نفسه يستغفر ربه، ومن يستغفر ربّه يَسْتَعِذ به من الشيطان الرجيم، وعندها ينجو من شروره... وإنه لتقصير أكبر ألا يرى الإنسان تقصيره، وإنه لنقص أعظم كذلك ألا يعترف بنقصه، ومن يرى عيبهُ وتقصيره فقد انتفى عنه العيب، حتى إذا ما اعترف يصبح مستحقاً للعفو"[45]. فيلفت انتباهنا إلى أن النبي يوسف عليه السلام وهو من طبقة الكمل من البشر

لايثق في نفسه وهي عنده متهمة، فكيف بنا نحن؟ فنحن أولى منه في اتهام النفس والاعتراف بنقصها وتقصيرها.

2 - العجز والفقر إلى اللّه

إن أقصر طريق للوصول إلى الله وأسلمه، وفق ما استخرجه النورسي من القرآن الكريم هو طريق العجز والفقر واالشفقة والتفكر، حيث قال:"وقد استفدت من فيض القرآن الكريم- بالرغم من فهمي القاصر- طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر. نعم، إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية.. والفقر مثله يوصل إلى اسم الله "الرحمن".. وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله"[46].

ولما كانت حياة بديع الزمان مثالا حيا لما يقوله من حكم فإنه كثيرا ما يذكر فضل وإكرام مسلك العجز والفقر في حياته ومن ذلك ما حكاه عن نجاته من الأسر الروسي أثناء الحرب العالمية الأولى حين استطاع الفرار في أيام قليلة مسافة لا يمكن قطعها مشيا على الأقدام إلا في عام كامل حيث يقول:" فقد أصبح "عجزي" و"ضعفي" في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقة والغربة وسيلتين للتقرب إلى عتبة الرحمة الإلهية، وشفيعين لدى الحضرة الإلهية (...) فلقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيرة، بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناء على عجزي وضعفي"[47].

وبين النورسي من خلال القصص القرآني الحكم والفضائل الكامنة في العجز والفقر إلى الله، من خلال قصة أيوب عليه السلام. في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[48]. يقول رحمه الله: "إن الله سبحانه قد أدرج في الإنسان عجزاً لا حد له، وفقرا لا نهاية له، إظهارا لقدرته المطلقة وإبرازا لرحمته الواسعة. وقد خلقه على صورة معينة بحيث يتألم بما لا يحصى من الجهات، كما أنه يتلذذ بما لا يعد من الجهات، إظهارا للنقوش الكثيرة لأسمائه الحسنى، فأبدعه سبحانه على صورة ماكنة عجيبة تحوي مئات الآلات والدواليب، لكل منها آلامها ولذائذها ومهمتها وثوابها وجزاؤها،(...) وكما أن ما فيه من أمور نافعة ـ كالصحة والعافية واللذائذ وغيرها ـ تدفعه إلى الشكر(...) كذلك الأمر في المصائب والأمراض والآلام وسائر المؤثرات المهيجة والمحركة، تسوق الدواليب الأخرى لتلك الماكنة إلى العمل والحركة وتثيرها من مكمنها فتفجر كنوز العجز والضعف والفقر المندرجة في الماهية الإنسانية.

فلا تمنح المصائب الإنسان الالتجاء إلى البارئ بلسان واحد، بل تجعله يلتجئ إليه ويستغيثه بلسان كل عضو من أعضائه،(...) فيؤدي وظيفة فطرته"[49]. ومن تم اعتبر النورسي الأمراض إحسانا إلهيا إذ يفجر العجز والضعف الموصلين إلى الله.

وبين النورسي القوة الهائلة الكامنة في الضعف والعجز في الإنسان التي بها سخر الله له الكائنات فإذا أدرك الإنسان ذلك والتجأ إلى الله بالدعاء قولا أو بلسان حاله، يسخر له ما لا يقدر على عشر معشاره بقدرته المحدودة، أما إذا اغتر بنفسه وظن أن هذا التسخير كان بفضل قوته واقتداره فحتما سيلاقي عقابا على ادعائه وتطاوله. وبين هذا المعنى من خلال قصة قارون، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾[50].

فقال:"...وكذلك الإنسان إذا أنكر رحمة خالقه واتهم حكمته وقال مثل ما قال قارون جاحدا النعمة: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾[51]، فلا شك أنه يعرِّض نفسه للعذاب. فهذه المنزلة والسلطنة التي يتمتع بها الإنسان وهذه الترقيات البشرية والآفاق الحضارية ليست ناشئة من تفوقه وقوة جداله وهيمنة غلبته ولا هو بجالب لها، بل منحت للإنسان لضعفه ومدَّت له يد المعاونة لعجزه، وأُحْسِنت إليه لفقره، وأُكْرِم بها لاحتياجه.(...) فيا أيها الإنسان! مادامت الحقيقة هكذا فدع عنك الغرور والأنانية، وأعلن أمام عتبة باب الألوهية عجزك وضعفك، أعلنها بلسان الاستمداد، وأفصح عن فقرك وحاجتك بلسان التضرع والدعاء، وأظهر بأنك عبد لله خالص قائلا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فارتفع وارتقِ في مدارج العلا"[52].

ونبه النورسي إلى أن العجز والفقر يجب إعلانه وإظهاره أمام الله، وليس أمام الناس، وأن الشكوى يجب أن تكون لله لا منه من خلال قصة يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[53].فقال: "نعم، إن الإنسان الضعيف العاجز يتألم ويبكي من ضربات المصيبة ويشكو، ولكن يجب أن تكون الشكوى إليه لا منه، كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[54] أي شكوى المصيبة إلى الله وليس الشكوى من الله إلى الناس والتأفف والتحسر وقوله: "ماذا عملت حتى جوزيت بهذه المصيبة" لإثارة رقة قلوب الناس العاجزين، فهذا ضرر ولا معنى له"[55].

3 - الشفقة

الشفقة هي المسلك البارز في خطاب النورسي رحمه الله، يظهر ذلك من خلال

نهجه مسلك التودد والرحمة والرأفة في المحاورة، حتى "إن دأب "رسائل النور" في الخطاب هو الرحمة والشفقة والرأفة"[56]. والنورسي يعد الشفقة " ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأحلاها"[57]. وهي أحد الأساسات الأربعة لأقصر طريق موصل إلى الله وأسلمه إلى جانب العجز والفقر والتفكر.

وقد استخلص النورسي من قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام، ومن خلال مقارنة مشاعر النبي يعقوب ومشاعر امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام، أن الشفقة أعلى وأسمى من المحبة والعشق، فقال:" إن المشاعر والأحاسيس الشديدة التي كان يشعر بها سيدنا يعقوب تجاه سيدنا يوسف عليهما السلام ليست مشاعر نابعة من المحبة والعشق. بل نابعة من الشفقة، لأن الشفقة أنفذ من المحبة والعشق، وأسطع منهما وأعلى وأنزه، فهي الأليق بمقام النبوة. (...) إذن فالقرآن الكريم بأي مدى بين سمو مشاعر سيدنا يعقوب ورفعته على أحاسيس "زليخا"، فإن الشفقة أيضا تبدو أرفع وأسمى من المحبة بتلك الدرجة"[58].

ومن تم كانت الشفقة هي الأليق بمقام النبوة. والأنبياء هم رمز الكمال البشري، ومادام كل كمال يستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، فإن أخلاق الأنبياء وأعمالهم تظهر جليا أسماء الله الحسنى، فاستخلص النورسي أن شفقة سيدنا يعقوب عليه السلام تظهر اسمي " الرحمن الرحيم". حيث قال: "إن شفقة سيدنا يعقوب التي هي أسطعُ نور يتلمع في أسطع سور القرآن، سورة يوسف، تظهر اسمي "الرحمن الرحيم" وتعلن: أن طريق الشفقة هي طريق الرحمة، وأن ضماد ألم الشفقة ذاك إنما هو: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[59]"[60].

4 - تذكر الموت واستحضار المآل.

اعتنى النورسي ببيان حقيقة الموت عناية بالغة ليزيل عنها ما لحقها من أوهام جراء الفلسفات المادية التي حصرت حياة الإنسان في الحياة الدنيا، وأوهمته أن الموت نهاية ورحلة إلى العدم، فأصابته بالتشاؤم والرعب من تذكره. فعرف النورسي الموت بتعاريف أزال من خلالها هذا التصور الخاطئ . فالموت هو "تبديل مكان وإطلاق روح وتسريح من الوظيفة، وليس إعداما ولا عدما ولا فناء"[61]، وهو" دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها"[62].

وأكد النورسي هذا المعنى من خلال **قصة يوسف عليه السلام**، في قوله تعالى:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِما وَأَلْحِقْنِي بِالصَّلِحِينَ﴾ [63]. فقد بين رحمه الله من خلال هذه الآية التي تخبر عن ختام أحسن القصص، أن طلب يوسف عليه السلام للموت وتشوفه للحياة الآخرة دليل على أن الموت في حقيقته ليس إلا بداية للحياة الحقيقية التي فيها تكمن السعادة الحقة واللذة الحقيقية، فقال: "وإذ تخبر الآية الكريمة عن موت يوسف في هذه الأثناء التي كان يوسف عليه السلام في ذروة السعادة والسرور تخبر أن يوسف عليه السلام نفسه هو الذي يسأل ربه الجليل وفاته لينال سعادة أعظم من هذه السعادة التي يرفل بها. وتوفي فنال تلك السعادة العظمى، بمعنى أن ما وراء القبر سعادةً أكبر وفرحا أعظم من هذه السعادة التي ينعم بها يوسف وهو الأنيس بالحقيقة، إذ طلب الموت المرّ وهو في ذلك الوضع الدنيوي المفرح اللذيذ كي ينال تلك السعادة العظمى هناك"[64].

فبين أن الموت نعمة إلهية كبرى ذلك أن "الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة (...)، إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم"[65].

المقصد الحضاري:

1 – في الحث على العلم

لقد استنبط النورسي من القصص القرآني، بدلالة الإشارة، أن الله ﷻ أطلع الإنسان على وسائل الارتقاء الحضاري، وفتح له أبواب التقدم العلمي من خلال معجزات الأنبياء، ففي كل معجزة تشويق وتشجيع للبشر للسعي والاجتهاد للوصول إلى أشباهها. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص:231. وقال: "كل معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية، أما معجزة سيدنا آدم عليه السلام فهي تشير إلى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات، وتشوق إليها جميعا مع إشارتها إلى أسس الصنعة مجملة مختصرة"[66].

فمن خلال قصة **آدم عليه السلام** وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾البقرة[67]. بين رحمه الله أن في تعليم الأسماء لآدم، إشارة إلى قابلية الإنسان للارتقاء في مختلف العلوم والفنون، وأن "هذا التعليم هو الذي أهّل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضا على السماوات والأرض والجبال في

حمل الأمانة الكبرى"[68].

كذلك فكل معجزة من معجزات الأنبياء تشير إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في علم أو صنعة، فهي تحفيز للإنسان للارتقاء في العلوم والصناعات، لإرساء أركان خلافته.

فمن خلال قصة **عيسى عليه السلام** وفي قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْاَكْمَهَ وَالَابْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [69].

بين رحمه الله أن معجزة عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وهي أبعد مما توصل إليه الطب الحديث، فيها تحفيز وإثارة لخيال الإنسان وحث له للسعي والاجتهاد من أجل اكتشاف علاج للأمراض المادية والمعنوية قائلا: "وهكذا ترى كيف ترسم هذه الآية الكريمة أقصى المدى وأبعد الأهداف التي يصبو إليها الطب البشري من تقدم. فالآية تشير إلى ذلك الهدف وتحث الإنسان على الوصول إليه"[70].

ومن خلال قصة موسى عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اَضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اُثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[71].

يقول النورسي: "فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: ما دمت أسلم بيد عبدٍ يعتمد علي ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء. فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضا أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا، أو نظيرة لها. فهيا اسعَ لتجد تلك الآلة"[72].

ففي هذه الآية تحفيز للإنسان لاختراع المضخات وتطويرها لاستخراج الماء من باطن الأرض. وكذلك الأمر في سائر المعجزات فتليين الحديد، وإسالة النحاس لداود عليه السلام يدفعان إلى تطوير صناعة الصلب والحديد، التي هي أساس الصناعات البشرية وسبيل التقدم الحضاري، وقطع سليمان عليه السلام في الهواء مسافة شهرين في يوم واحد، تحفز الإنسان لاختراع الطائرات وجلبه لعرش بلقيس يرسم أقصى ما يمكن أن يصل إليه التقدم العلمي في وسائل الاتصال السمعية البصرية.

وهكذا بين رحمه الله أن معجزات الأنبياء دوافع وحوافز قوية في بناء الحضارة، فهي تشوق لتطوير مختلف العلوم والصناعات التي تعود بالنفع للبشرية.

2 - في أن العلم قائم على معرفة الأوامر التكوينية.

انطلاقا من قصة داود عليه السلام، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[73].و﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[74].

بين النورسي رحمه الله كيف أن الله عز وجل آتى داود عليه السلام الذي أطاع أوامره التكوينية الحكمة وألان له الحديد وإنه سبحانه يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة: "فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامري التكوينية توهب لكم أيضا تلك الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منهما وتبلغوهما. "[75]. وطاعة الأوامر الكونية معناها اكتشاف سنن الله الجارية في الكون أو القوانين التي بها تنشأ العلوم التجريبية وعليها يقوم التقدم العلمي، فمن أطاعها كان ثوابه الازدهار العلمي والتقدم الحضاري، ومن عصاها، كان عقابه الركود العلمي والتخلف الحضاري. لأن الحضارة تقوم على العلم، والعلم يقوم على معرفة الأوامر التكوينية التي أنشأ الله عليه الكون. وفي ذلك يقول:" فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول (مطيع الشريعة والعاصي لها) جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني (مطيع السنن الكونية والعاصي لها) غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا"[76].

وأكد النورسي هذا المعنى من خلال قصة سليمان وفي قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[77].

فقال: "هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له، أي أنه قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد.(...) فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبدا من عبادي ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء. وأنت أيها الإنسان! إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيدا من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضا أن تمتطي صهوة الهواء"[78].

3 – في أن الكون مسخر للإنسان:

بين النورسي من خلال القصص القرآني أن التسخير الكوني قائم على معرفة السنن الكونية، فملاحظة الظواهر الطبيعية، وكشف القوانين الجارية هو ما يفتح للإنسان أبواب العلوم للانتفاع بمدخرات الكون واستثمارها، حيث يقول:"فمن يعتمد على الله سبحانه إذن ويطمئن إليه، ويسأله بلسان استعداداته وقابلياته التي فطر عليها، وسار في حياته

على وفق السنن الإلهية والعناية الربانية، يمكن أن تتحول له الدنيا الواسعة كأنها مدينة منتظمة أمامه"[79].

فمن خلال قصة آدم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[80]. يقول النورسي: "أن القرآن الكريم بذكره طاعة الملائكة وانقيادهم لشخص آدم عليه السلام وتكبر الشيطان وامتناعه عن السجود، إنما يفهم أن أغلب الأنواع المادية للكائنات وممثليها الروحانيين والموكلين عليها، مسخرة كلها ومهيأة لإفادة جميع حواس الإنسان إفادة تامة، وهي منقادة له (...) وإذ يدير القرآن الكريم هذه المحاورة مع آدم عليه السلام وهو فرد واحد ضمن حادثة جزئية، فإنه في الحقيقة يدير محاورة سامية مع الكائنات برمتها والنوع البشري قاطبة "[81].

فبين النورسي أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام، الذي يعني طاعتهم وانقيادهم له، يدل على تسخير الكون للإنسان، " فالملائكة إذ يمثلون الموجودات"[82]، دل انقيادهم لآدم عليه السلام، على انقياد جميع الموجودات التي تمثلها هذه الملائكة، والتي أوكلها الله عليها. فدلت هذه الحادثة الجزئية وهي سجود الملائكة لآدم عليه السلام على قانون عام وكلي وهو التسخير الكوني للإنسان.

وفي قصة داود وسليمان عليهما السلام، وفي قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾[83]. و﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[84]. بين النورسي كيف أن هذه الآية تفتح آفاقا قصوى للإنسان، وترسم له أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الانتفاع من الحيوانات والطيور التي سخرها الله له، لإرساء أركان خلافته، كما سخرها لداود وسليمان عليهما السلام. "إذ مادام سطح الأرض مائدة رحمانية أقيمت تكريما للإنسان، فيمكن إذن أن تكون معظم الحيوانات والطيور التي تنتفع من هذه المائدة مسخرة للإنسان، ضمن تصرفه وتحت خدمته (...) هذا الإنسان يمكنه أن يستفيد إذن كثيرا إذا علم لسان الاستعداد الفطري للطيور وقابليات الحيوانات الأخرى، كما استفاد من الحيوانات الأليفة. فمثلا: إذا علم الإنسان لسان استعداد العصافير "من نوع الزرازير" التي تتغذى على الجراد ولا تدعها تنمو، وإذا ما نسق أعمالها فإنه يمكن أن يسخرها لمكافحة آفة الجراد "[85].

كما بين النورسي أن هذا التسخير لا يتأتى إلا لمن توفرت فيه شروط العبودية الحقة. وأن الله سبحانه وتعالى يقول بالمعنى الرمزي لهذه الآيات الكريمة:" يا بني الإنسان! لقد سخرت لعبد من بني جنسكم، عبد خالص مخلص، سخرت له مخلوقات عظيمة في

ملكي وأنطقتها له(...) فعليكم إذن أن تنقادوا وتخضعوا لأوامر من بيده مقاليد هذه المخلوقات وزمامُها، لتنقاد إليكم مخلوقاته المبثوثة في ملكه. فالطريق ممهَّد أمامكم إن استطعتم أن تقبضوا زمام تلك المخلوقات باسم الخالق العظيم، وإذا سمَوتم إلى مرتبة تليق باستعداداتكم ومواهبكم"[86].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَنْ يَّغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَۖ﴾[87]. بين النورسي أن الكون كله مسخر للإنسان حتى الجن والشياطين "بمعنى أن الله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآيات: أيها الإنسان! إني أسخر الجن والشياطين وأشرارهم لعبد قد أطاعني وأجعلهم منقادين إليه مسخرين له، فأنت إن سخرت نفسك لأمري وأطعتني، قد تسخر لك موجودات كثيرة بل حتى الجن والشياطين"[88].

4 - في أن العدل أساس الحضارة، وأن القوة العلمية والمادية شرط في تحقيقه.

ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَنْ يَّرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾[89]

بين النورسي أن إقامة العدل في الأرض تقوم على مشاهدة ما يجري في الأرض، والإحاطة به فقال: "فالله سبحانه يخاطب بالمعنى الرمزي لهذه الآية الكريمة: يا بني آدم! لقد آتيت عبدا من عبادي حكم مملكة واسعة شاسعة الأرجاء، ومنحته الاطلاع المباشر على أحوال الأرض وأحداثها ليتمكن من تطبيق العدالة تطبيقا كاملا "[90].

كما بين رحمه الله أن **قصة سد ذي القرنين** التي ذكرها القرآن على صورة حادثة تاريخية، هي في الحقيقة جزء من قانون كلي أجراه الله كشرط أساسي لبناء أي حضارة، وهو إرساء العدالة، فإنشاء السدود لإنقاذ المظلومين من الظالمين هي مسألة تكررت في التاريخ، "ومثلما أسس ذو القرنين هذا السد فقد بنيت سدود كثيرة أخرى بهمة ملوك إيران القدماء في جبال القفقاس في منطقة المضيق صدا للنهب والسلب والغارات التي امتهنتها أقوام التتار. وهناك سدود كثيرة من هذا النوع، فالقرآن الكريم لأنه يخاطب البشرية كافة، فإنه يذكر ظاهرا حادثة جزئية ويذكر بها أحداثا مشابهة لها"[91]. وأشار النورسي إلى أن السدود التي بنيت لإرساء العدالة يمكن أن تكون مادية أو معنوية، فوصايا الأنبياء وهديهم، وإرشادات الأولياء من بعدهم هي بمنزلة سدود معنوية تمنع

الظلم[92]. فهذه القصة ترشد إلى ضرورة الجمع بين القوة المادية والقوة المعنوية، لمنع الظلم وإرساء العدالة التي هي أساس بناء الحضارة.

الخاتمة:

وخلاصة ما سبق أن الأستاذ النورسي له منهج قرآني في استخلاص الفوائد والهدايات من القصص القرآني مفاده أنه يبني على مثال أو حادثة جزئية قواعد كلية، لذلك جاءت هذه الفوائد المستخلصة من آيات القصص القرآني على شكل مقاصد كلية يمكن إجمالها في:

- إثبات وتثبيت الإيمان في القلوب من خلال التدبر والتفكر في آيات الله.
- دفع شبهات الملحدين والماديين، وإبطال دعوى فصل العلم عن الدين.
- ترسيخ قواعد التربية السلوكية والتزكية الروحية.
- ترسيخ الروابط النورانية بين المؤمنين.
- بيان قواعد بناء الحضارة والتخلص من العجز واليأس.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1432ه/2011م. جمهورية مصر العربية.

سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1432ه/2011م، جمهورية مصر العربية.

الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1430ه/2009م، جمهورية مصر العربية.

صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، ترجمة إحسان قاسم

الصالحي دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1431ه/2010م، جمهورية مصر العربية

الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1432ه/2011م. جمهورية مصر العربية .

اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1432ه/2011م. جمهورية مصر العربية.

المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1433ه/2012م، جمهورية مصر العربية.

المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي(ت 1379ه/1960م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1432ه/2011م. جمهورية مصر العربية.

* * *

الهوامش:

- [المائدة: 17 -18].[1]

- [يوسف:111].[2]

[3]- سورة الأنعام، الآية: 77.

[4]- الكلمات، الكلمة الرابعة والعشرون، ص:413.

[5]- الكلمات ص:413.

- انظر الكلمات، الكلمة السابعة عشرة، الصفحات من 234 إلى 237.[6]

[7]- سورة الأنبياء، الآية: 86

[8]. اللمعات، اللمعة الأولى، ص:7/6.

[9]- الكلمات، الكلمة الثانية والثلاثون، ص: 730.

[10]- سورة البقرة، الآية: 30.

[11]- الكلمات، الكلمة العشرون، المقام الثاني، ص:288.

[12]- سورة البقرة، الآية: 73.

[13]- الكلمات، الكلمة العشرون، ص:271/270.

[14]- سورة النمل، الآية: 25

[15]- اللمعات اللمعة الثامنة والعشرون ص:385.

[16]- سورة النمل، الآية: 25

[17]- اللمعات اللمعة الثامنة والعشرون ص:385.

[18]- الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة، ص:173.

[19]- سورة البقرة، الآية: 66

[20]- الكلمات، الكلمة العشرون، ص:270/269.

[21]- الكلمات ـ الكلمة الخامسة والعشرون، ص:420.

[22]- سورة هود، الآية: 44

[23]- الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص:429.

[24]- المثنوي العربي النوري، ص:91.

[25]- سورة الأنبياء، الآية: 86

[26]- المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون ص:385.

[27]- الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص:463.

[28]- المصدر نفسه، الصفحة:450.

[29]- سورة البقرة، الآية:95.

[30]- سورة المائدة، الآية:64.

[31]- سورة المائدة، الآية: 66.

[32]- سورة الإسراء، الآية: 4.

[33]- سورة البقرة، الآية:59.

[34]- الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص:458.

[35]- سورة يونس: الآية: 92.

[36]- الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص:458/457.

[37]- انظر صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص:460.

[38]- سورة الأنبياء، الآية: 82.

[39]- اللمعات – اللمعة الثانية ص: 18 – 19.

[40]-الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون، ص:295.

[41]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، رقم الحديث:3062.

[42]- الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ص:543.

[43]- سورة يوسف، الآية: 53.

[44]- سورة يوسف، الآية: 53.

[45]- اللمعات، اللمعة:13، الإشارة:13، ص:121.

[46]- الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ذيل، ص:545.

[47]- اللمعات، اللمعة السادسة والعشرون، ص:327.

[48]- سورة الأنبياء، الآية: 82.

[49]- اللمعات – اللمعة الثانية ص: 19/18.

[50]- سورة القصص، الآية: 78.

[51]- نفسها.

[52]- الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون: المبحث 2 ص:367.

[53]- سورة يوسف، الآية: 86.

[54]- سورة يوسف، الآية: 86

[55]- . المكتوبات – المكتوب الثالث والعشرون ص: 342.

- اللمعات، اللمعة: 24/ص:283.[56]

- المكتوبات، المكتوب السابع عشر، ص: 101.[57]

[58]- المكتوبات، المكتوب الثامن، ص: 37/36.

[59]- سورة يوسف، الآية:64.

[60]- المكتوبات، المكتوب الثامن، ص:38.

[61]- المكتوبات، المكتوب الأول، ص:7.

[62]- المصدر نفسه، ص:8.

[63]- سورة يوسف، الآية: 101.

[64]- المكتوبات، المكتوب الثالث والعشرون ص: 345.

[65] - المكتوبات، المكتوب الأول، ص: 9.

[66]- الكلمات/الكلمة 20/ المقام الثاني ص290.

[67]- سورة البقرة: الآية:30..

[68]- الكلمات، الكلمة العشرون، المقام الأول ص:269.

[69]- سورة آل عمران، الآية:48.

[70]- الكلمات، الكلمة العشرون، المقام الثاني ص 279 – 280.

[71]- سورة البقرة، الآية:59.

[72]- الكلمات/الكلمة 20 المقام 2 ص 279.

[73]- سورة سبأ، الآية: 10.

[74]- سورة ص، الآية:19.

[75]- الكلمات – الكلمة العشرون – ص 281.

[76]- الكلمات، اللوامع، ص:852.

[77]- سورة سبأ، الآية: 12.

[78]- الكلمات – الكلمة العشرون ص279.

[79]- الكلمات – الكلمة العشرون – ص 281 – 282.

[80]. سورة البقرة، الآية:33.

[81]- الكلمات، الكلمة العشرون،ص:269.

[82]- الكلمات، الكلمة التاسعة والعشرون، ص: 591

[83]- سورة ص، الآية: 18.

[84]- سورة النمل، الآية: 16.

[85]- الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 285.

[86]- الكلمات – الكلمة العشرون – ص: 286.

[87]- سورة الأنبياء، الآية: 81.

[88]- الكلمات – الكلمة العشرون ص: 283.

[89]- سورة النمل، الآية: 41.

[90]- الكلمات – الكلمة العشرون – ص:282.

[91]- اللمعات – اللمعة السادسة عشرة ص: 149.

[92] - نفسه.

معلومات عن النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث الأصيلة تنشر أول مرة المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
2. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
3. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
4. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
5. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
6. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
7. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
8. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
9. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
10. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
11. يمنح صاحب البحث نسخا عدة مستلات من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
12. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
13. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
14. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن 42000 حرف مع الهوامش والفواصل.

الإشتراك السنوي عددان

الإشتراك في تركيا: ..... 20 ليرة تركية

الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: ..... 15 دولار أمريكي

الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ..... 30 دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بابيارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
30 شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: 938 602 22 202+

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 pbx
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note……..……: 3

Articles and Studies

- Prof. Dr. Ishak Özgel: Faith in Resurrection and the Hereafter as a Source of Marital Happiness and a Foundation for Social Life……..……..……: 11

- Prof. Dr. Mohammed Khalil Çiçek: The Psychological Dimensions in Nursi's Method of Proving the Doctrine of the Afterlife……..……..……..: 29

- Dr. Farhad Akbar Al-Shawani: The Murmur of Souls and the Psalms of Preparation Reflections on the Risale-i Nur Concerning the Hour and the Hereafter……..…..…..…..: 46

- El-Zubeyr Maslouhi: Innate Disposition as Evidence of Faith in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi……..…...…..: 77

- Mohammed Monsif – Beni Mellal: Innateness, Foundational Principles, and Human Characteristics……..……..……..…...:126

- Mohammed Al-Hayyan: The Proofs for Knowing God in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi: The Proof of Empirical Sciences as a Model……...……: 144

- Asmaa Al-Shayeb: The Objectives of Qur'anic Stories in the Risale-i Nur by Bediuzzaman Said Nursi……...……...…: 167

Contents ……..……...……..: 168

-Only papers conforming to academic standards will be considered for publicatio

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January - July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 15, Number 25 (July 2024)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalenderhane Mahallesi, Dedeefendi Cd. Cüce Çeşmesi Sk. No. 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL - TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax : +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 0 00 602 938

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

ISSN 1309-4424